الأعمال الكاملة

للشاعر

محمود حسن إسماعيل

المجلد الأول

أغانى الكوخ

هكـــذا أنت

المـــلـــك

أيـــن المفـر

الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٤

الاخراج الفني: مادلين أيوب فرج

الديـوان الأول

○ أغانى الكـوخ ○

الطبعة الأولى، القاهرة، أول يناير ١٩٣٥

○ مقدمة الطبعة الثانية ○

... من عام ١٩٣٣م

... من عويل السواقى وهى تذرف حسرة الإنسان لتراب الكوخ!

... من إطراق الوجوه الطيبة التى طحنت إباءها مسيرة الظلم على إيمانها الصابرة، وجزعتها غفلة الرق، وطمأنينة الهوان!

... من الضجر القانت الذى أختى على كاهل الفلاح بالة الفقر والقهر، وقناعة الحرمان!

... ومن أعماق ليل هذا الشجن المخنوق الآواز فى صدر القرية، نزح مع الشاعر من قريته فى صعيد مصر نأى أخرس الغناء.. لم يكد ينشق لجات المدينة فى أكتوبر ١٩٣٢ حتى هزجت ناره بهذه الالتفام التى حملتها أوراق «أغانى الكوخ» وطلعت بها للناس أول يوم من عام ١٩٣٥م.

... فلهرت فى مناخ شعرى أحول الروافد، زاخر الدرب، يقبس بيد مما غبر من تراثه، ويخلس بالأخرى

مما عبر من غير ذاته! ومن بينهما تحركت أقلام بريئة الإصغاء للقاء صوت جديد..

واليوم.. يطل «أغانى الكوخ» فى طبعته الثانية هذه، بعد ثلاثة وثلاثين عاما..

والفنّ مازال.. إصغاء الطبيعة، وترنم الذات، وحداءَ الإنسان!!

... غنى جراح الكوخ، ومظالم أيامه، وامتدت أنفاسه حتى سمعَ أصداءها تناغمُ صرير الحق على أعتاب ليله الطويل..

... فإلى الجيل الذى لم يكن مع مولده أول عام ١٩٣٥

... وإلى الشباب الذى شبَّ بعده، والتف ضرامهَ بأغانيه، حتى طلع من قلبه الفجر... أعيدُ نشره كما صدر.. ليرى الفجر شرراً من أغلال أمسه الذاهب، ويرى النور أثراً من جراحات ليله الذى مات!!

٢ يوليو ١٩٦٧م

محمود حسن إسماعيل

○إهـــداء ○

إلى الزهرة التي روّحت أطيابُها عني شجن الحياة..!!

إلى شذاها الخالد الذي رشفت من أثيره الإلهام. وسبحت روحي إلى ضفافه السحرية المجهولة في عالم الخيال !!

إلى...

○ الكـوخ ○

بعـثـرْ عليـه الدمعَ مـا صـفُقتْ
فى قلبكَ الألحـانُ يا شـاعـرُ
واحـرقْ له له الأجـفـانَ، مـا مـسّهـا
برحُ الضنَى، والحـزنُ يا سـاهِرُ
عـرِّجْ عليـه سـاعـةً، واتخـذْ
فى ظلّهِ مـأواكَ يا عـابـرُ
وطُفْ حـوالىْ ركنهِ، والتـمسْ
نُورَ الهُدى والرُّشـدِ يا حَائـرُ
هنا خـبـايا النفسِ مطمـورةً
غـشى عليـهـا الزمنُ الجـائرُ
لو «لابنِ سـينا» خطرةً بينهـا
مـا قـال: نفسٌ لغـزها قـاهرُ!

* * *

ضُمَّتْ حواشيه على عابد

محرابهُ من فاقةٍ دائرْ

ينعى عليه تحت جُنْحِ الدُّجى

شيخُ الليالى يومُها الصافرُ

ويشتكى بلواهُ رادَ الضحى

حَمامُهُ المسْتَرحمُ الذّاكرُ

سُمارهُ فى الليل أنعامُهُ

والنجمُ، والنابحُ، والخائرُ

تُمليه من وَحىِ الوَفَا حكمةً

ألوىَ عليها دهرهُ الغادرُ

هذى تناغيه، وذى تجتلى

من صوتهِ ما يجتلى السامرُ

إن هبَّ يشدو سَحَرًا بينها

فاحْطِمْ مزاميرك يا زامرُ

أو راح يُزْجى أغنياتِ المسا

ضُيِّعتَ يا شعرُ ويا شاعرُ!

رُهْبانُ.. عبّادون حازوا الهدى

ليلاً، فما فى دَيْرِهم كافرُ

من لم يقمْ منهمْ صلاةَ الدجىَ

فى النوم، أدّاها له الساهرُ

يغفون والكلبُ على مهدهمْ

سهرانُ، لا يُغفي له ناظرُ

يصرخُ إن غرتهُ أطيافُهُ

أو راعهُ بالسطوةِ الخاطرُ

إن غاب نجمٌ فوقهم سُحرةً

فهو على أرواحهم حاضرُ

أو أرجفَ الليلُ ينادي به:

حلفتُ يا ليلُ.. أنا الخافرُ

أرعى عيونًا أمعنتْ في الكرى

وهالها بحرُ الرؤى الزاخرُ

تحلم أنّ الكوخ في جنّةٍ

يزهو عليها السندمُ العاطرُ

وأنّ أهليه على رفرفٍ

في الخلدِ لا يسمو له طائرُ

حظوظهمْ من طيبات المنى

وعيشهمْ مبتسمٌ ناضرُ..

حتى أراق الفجرُ أقداحَهُ

وانسابَ منها ضوؤه الغامرُ

مرتْ عليهم ساريات الصبا

ينفخ منها السوسنُ الباكرُ

فاستيقظوا.. والكوخ فى غفلةٍ

ما دار فيه بالمنى دائرُ!

يُلقى عليه الديكُ أرجوزةً

غنى بها إصباحهُ السافرُ

كأنه ينعى مماتَ الدجى

ونعشهُ فوق الربىّ سائرُ

أو أنه يشدو لعرسِ السَّما

ونورها ضافى السنا طافرُ

أو أنه يُسمع ركبَ الملا:

كذا يدُيلُ الأول الآخرُ!

* * *

يا زورقًا ألقى بشط الضحى

مجدافَهُ. كما كبا العاثرُ

يهنيكَ شمسٌ خلَّدتْ قُبلةً

على جبينٍ حظُّه خاسرُ

لم يحلم القصرُ بها فى الكرى

ولا رآها بُرجُه العامرُ

وجنةٌ حولك.. غيسانةٌ

ريحانها منتفقٌ زاهرُ

وجـــــدولٌ يرويك.. مـــــعـــــذوبٌ

سلســـــالـه مـــــصطفقٌ زاخـــــرُ

ونخلةٌ فـــــوقك.. تهـــــدى الجنى

والظلُّ.. يستـــــذرى[1] به العـــــابر

تهـــــتـــــزُّ للســـــارى، ونخلُ الورى

فى القـــصـــر مـــرهوب الحـــمىَ كـــاشـــرًا

يهـنيكَ عـــــذراء إذا أقـــــبلتْ

للنيل أصـــــفى مـــــوجُه الهـــــادرُ

يســـــتلهمُ العـــــفَّةَ من جـــــرةٍ

يحنو عليـــــهـــــا ملكٌ طاهـرُ

قـــدسـيَّةُ القلب، بهـا عـــصـــمـــةٌ

لم يُؤتهـا نسـرُ السـمـا الكاسـرُ

كـــأنمـــا ريشـــتْ جـــلابيـــبُهـــا

فـــالويلُ إن مـــرَّ بهـــا فـــاجـــرًا

حـــــرائرٌ أطلعـنَ عُرسَ الهـــــوى

فـيك، حـديثـا نبـرةٌ سـاحـرُ

خـــبـــأتَ كنزَ الحـــسنِ فى أيكةٍ

والقـــصـــرُ مـــا حـــجْبُـــهُ سـاترُ

---

(١) يستظل.

شتان ما الدرُّ بأصدافه
والدرُّ في كومته بائرُ!

* * *

شهدتهُ يذرو دخان الأسى
والوجدُ في كانونه ساعرُ
تبكي سواقي الحقل أشجانه
وما بكاه مرةً شاعرُ!
والبائسُ الفلاحُ في ركنه
عريانٌ! يشكو ضنكه! خائرُ!
شالت بزرع النيل أكتافه
وما رعاه البلدُ الغادرُ
لها[1] بزيف الغرب في مدنه
والريف من أوجاعه حائرُ!

* * *

بَعْثِرْ عليه الدمعَ، ما صفّقت
في قلبك الألحانُ يا شاعرُ
واحرقْ له الأجفانَ ما مسها
بُرْحُ الأسى والحزنِ يا ساهرُ!

○

(١) من الثهر.

○ كنز الذهب الأبيض! ○

زهرة القطن

حين ذاب الطلُّ فى كاساتها
لؤلؤًا يجرى على كفِّ الشعاعْ
لثمتْ خدَّ الضحى، وابتسمتْ
كابتسامِ الطفلِ فى عهدِ الرُّضاعْ
وبدت صفراءَ تحكى غادةً
ذبلتْ نضرتها يوم الوداعْ
تخفق النسمةُ فى أهدابها
خفقةَ العاشقِ فى ليلِ الزُّماعْ[1]
فتراها فى الربى راقصةً
زانها الضوءُ بزهو والتماعْ
ذاتُ كاس أترعتْ شمسُ الضحى
ريقها من خمرةِ النورِ المشاعْ

---

(١) السفر.

كلما خفقتْ لها ريحُ الصبَا

أهرقتْ صهباءها فوق البقاعْ

فجرتْ في كل حوضٍ جدولاً

ساريًا حول الروابي واليَفاعْ[1]

هامسًا يشدو على أعوادها

نغمًا مستعذبًا حلوَ السماعْ

ينهلُ الفلاحُ من كوثرهِ

ريقةَ النحلِ، وسلسالَ الدُّماعْ[2]

* * *

يا عروسًا لم تزينها يدٌ

غيرُ كفِّ المبدعِ الفنِّ، الصُّناعْ!

عقدتْ إكليلها من سوسنٍ

باهتِ الأطرافِ، تبرى القِنَاعْ

مستعارٍ من ضنى العشقِ، ومن

لوعةِ الهجرِ، ومن لونِ الوداعْ

يسجدُ الشاعرُ من فتنته

سجدةَ الفنِّ زها حسنًا وراعْ!

عانقتْ طيفَ الضحى، واكتابتْ

لأصيلٍ لاحَ مخنوقَ الشعاعْ

---

(١) المنخفض أو المرتفع من الأرض.

(٢) ما يسيل من الكرم إبان قطفه.

ورنتْ للشمس يخبو سحرها

بعد ما أذهلَ أجفانَ القلاعْ

فبدت حانيةَ الرأس أسىً

ترمقُ الغربَ بمضٍّ والتياعْ

مثل صوفىٍّ تراءى خاشعًا

مطرقَ الرأسِ بمحرابِ التلاعْ!

• • •

وأتاها الصيفُ وهّاجَ المنى

يضرمُ الأنفاسَ نارًا فى البقاعْ

فارتدت برنُسها من ذهبٍ

أبيضٍ توّجَ هاماتِ الضياعْ

تحسبُ الأغصانَ لاحتْ بينهُ

أسطرًا تزهو على بيضِ الرِّقاعْ

ذاك تاجُ النيلِ! فاندبْ عنهُ

أملَ الفلاحِ، والجهدَ المضاعْ

وارثٍ للمعسكين عيشًا أسودًا

رانَ فى كوخٍ حقيرٍ متداعْ

نامت النغمةُ عنه! وجفتْ

مُعدمًا، لم يزْعهُ فى مصرَ راعْ

عفّرتْ ريحُ الأسى كبْرتهُ

وطوت نعماهُ دنيا الصراعْ

رقص القـــصـــرُ على أكـــتـــافـــهِ

وهـوجـــــاتٍ.. بـيـن ذلٍّ واقـــــتـناعْ

وسَطا البـــؤسُ عليـــه، فـــقـــدا

زورقًا فى اليمِّ مـــحطومَ الشـــراعْ!!

○

○ الفردوس المهجور ○

ريف النيل

تفجّرَ فى صفحتيهِ الجمالُ
ورفَّ على جانبيهِ الخلودْ
وطوَّفَ ريحانةٌ فى الجنانِ
وفى كلِّ منضورةٍ بالوجودْ
يفتش عن روضةٍ برةٍ
بفيءِ الظلالِ الرطيبِ الرُّغيدْ
وعن سحرها فى ركابِ الضحى
وقد لبستْ أرجوانَ الورودْ
تناطرُ فى حُلةٍ من شعاعٍ
مُوَشّى بطلِّ الصباحِ النضيدْ
وترفلُ فى سندسٍ ضاحكٍ
ترنح من سكرة بالنشيدْ

إذا شـــامتْ[1] الخلدَ فى مـــجـــدهِ

تجـــرُّ على الخلد ضـــافى البـــرودْ..

فـــمـــا هـــزَّه للمـــقـــامِ الهنـــيءِ

ســـوى جنةٍ فـــوق هذا الصـــعـــيـــدْ!

ترنَّم من ســـحـــرِها «بنتـــؤورُ»[2]

وأوحتْ «لشـــوقى» أغـــانى الخلـــودْ

وخـــرَّ الغـــراعين فـــى عزِّهـــم

إذا شـــمـــمُـــهـــا شـــارفـــتْهُم، ســـجـــودْ

وحجَّ الفـــرنجُ إلى ســـاحـــهـــا

كـــأنَّ الصـــليبَ على كلِّ عـــودْ!

يعـــبـــون منهـــا الرحـــيقَ الشـــهىَّ

وأبناؤها يشـــربون الصـــديدْ!

تنفسَ ســـوســـانهـــا[3] عن شـــذى

كـــحلمِ الأزاهيـــر ذاكَ[4] شـــرودْ

يضـــوعُ لناشـــقـــهِ بالشـــبـــاب

وبالأمل المســـتطاب الســـعـــيـــدْ

إذا اســـتـــافـــه العـــاشقُ المســـتـــهـــامُ

تنسَّمَ ريَّاهُ طيفَ العـــهـــودْ

---

(١) رأت.

(٢) الشاعر الفرعونى القديم.

(٣) السوسان: الزهر.

(٤) عاطر فائح.

وينشقُهُ الطيرُ فوق الغصونِ

فيسكبُ فى الروضِ خمرَ القصيدْ

يغنى فتحسبُ الحانهُ

من الوجد أنغامَ شاكٍ عميدْ!

وريانةٍ فوق خدِّ الربى

ترعرعُ من عجبها أو تميدْ

إذا داعبَ النسمُ أعطافها

تفتَّقُ عن لؤلؤ فى الخدودْ

من الغلِّ ، أو من بناتِ الأقاحِ

تُضمِّخُ بالطيب جَيْبَ النجودْ

ترقرقَ فى مهدها جدولٌ

عطوفٌ على الزهرِ، عذبٌ بَرودْ

تسلسلَ من نيلهِ كالأمانى

ترفُّ على ناعمات المهودْ

وألقى الزمام إلى حادبٍ

على الأرض يغرسُ فيها الجهودْ

سميرُ العصافيرِ لا يانلى

يجاوبُ تغريدها بالنشيدْ

ويخلو مع النحل فى ربوةٍ

منغمةِ الصمتِ من غير عودْ

ترفّ الفراشة فى حوضه

رفيفَ المنى فى مجالِى السُّعودْ

تحومُ فى موكبٍ زاخرٍ

من الضوءِ غشّى عليه الهمودْ

تراها وقد كللتْ بالضياءِ

عروسًا تُزفُّ لزاهى الورودْ!

وندابةٍ(١) تحت ظلّ الكروم

على الثورِ يشكو إسارَ القيودْ

تضجُّ على دائرٍ كالرَّحى

يذوق من السوطِ ذلَّ العبيدْ

مضيعةَ النوح.. كم أرسلتْ

شجاها يئنُّ أنينَ الشريد!

وكم ضحك الزهر لما بكتْ

وهزَّ على الدمع رخْصَ القدود!

فلما خبا دمعها صوَّحت(٢)

أفانينهُ.. واعتراهُ الركودْ

أيحيا على فيض أجفانها

ويأبى لها الصفو؟. ياللجحودْ!

---

(١) الساقية.

(٢) ذبلت.

وسنبلةٍ فـــوق صـــدر الكثـــيبِ

تصـــيحُ لأحـــلامـــهـــا فى هجـــودْ

تهبُ لإيقـــاظهـــا فى المســـاءِ

رياحُ الصـــبـــا، والنســـيمُ الوئيـــدْ

فـــتـــخـــفقُ أهدابُهـــا للرياحِ

وتهـــفـــو ذوائبُهـــا للســـجـــودْ

فـــتـــبـــدو كـــخـــاشـــعـــةٍ للجـــمـــالِ

وقـــد لاح تمثـــالـــهُ من بعـــيـــدْ..

يرفـــرفُ من غـــادةٍ عَفـــةٍ(١)

مـــحـــجـــبـــةِ الحـــسنِ مـــيـــسـاءَ رودْ

كـــزنبـــقـــةِ الفـــجـــرِ فى طهـــرها

وأحـــلامـــهـــا كـــابتـــســـامِ الوليـــدْ

تعـــود إلى كـــوخـــهـــا فى الغـــروبِ

وقـــد حـــاكت الشـــمس قلبَ الحـــســـودْ

مـــؤجـــجـــةُ القـــرصِ ملهـــوفـــةً

على النيل.. ترجـــو له أن تعـــودْ

فـــتلهـــمـــهُ العـــهـــدَ فى قـــبلةٍ

من الشـــوق تذكـــو كنارِ الوقـــودْ

---

(١) حاملة الجرة.

وتسـبحُ فى لجـةٍ من دمٍ
على أفقها من غرامٍ شديدْ..
إذا عشقَ النيل عرشُ السماءِ
فواديه جنةُ هذا الوجودْ!

○

○ فى المحراب ○

ابدًا أجنُّ إذا تحـــدَّر طيـــفُهـــا

من عـــرشـــه الســـامى إلى مـــحـــرابى

واهمُّ ارشفُ من منابعِ حـــســـنهـــا

فـــيضَ الهـــوى المتـــرقـــرقِ المنســـابِ

خـــمـــرًا من الأنَق المسنِّ تدفـــقـــتْ

لا من جنى التـــفـــاحِ والأعنابِ

عـــافت شـــفـــاء الكون واعـــتـــزلتْ، فلمْ

تجـــد الحـــبـــيبَ لهـــا ســـوى أكـــوابى

فـــحـــسـوتهـــا لم يمـــتـــزجْ فى جـــامـــهـــا

إلا الحـنـيـنُ بـنـورهـا الخـــــــلابِ

تهـــتـــاجُ فى كـــبـــدى.. فـــتظمـــئُهـــا على

رَىٍّ، وتضـــــرمُ لوعـــــتى وعـــــذابى

الطهرُ فى لألائها، والسحرُ فى أضوائها

والنور فى صهبائها، والنارُ فى أعصابى!

* * *

صدحتْ على قلبى الجريح بهاتفٍ

من حسنها، شادٍ على أعتابى

سجدت له روحى، وصفق خافقى

وتدلهتْ نفسى، ومات صوابى!

ونهلتُ. أعذبَ ما نهلتُ. روائعًا

من لحنه، رفافةَ الأهداب

طوافةً بالزهر تنشقُ عطرهُ

وتحيلهُ فى الطَّرْس همسَ رباب

طفاحةً بالطهر تحسبُ ريحهُ

من نفحةِ الأملاك والأرباب

بسامةً.. لولا ضنى متصوفٍ

بين الضلوعِ، وَهى لطولِ غيابِ

متعبدٍ يشكو الهوى، فتخالهُ

داودَ يتلو الآىَ فى المحراب!!

نواحةً.. لولا أمانٍ أشرقتْ

من لحظ عينيها الغرير السابى

ســـاقى النفـــوس من الفـــتـــور عُلالـــةً

تُذكى وتشـــــرحُ كلّ ســـــرٍ خـــابى!

وشُـــيتُ من تبـــر الضـــحى تصـــويرها

ومن الأصـــيل الممـــرعِ الجـــذابِ

ورشـــفتُ من شطّ الغـــروب خـــيـــالهـــا

شـــــفـــــقًا يلوح بوجنةِ العُنّاب

وبعـــثـــتـــهـــا للكون فـــتنةَ شـــاعـــرٍ

من ســـحـــر أجـــفـــانٍ، وســـحـــرِ روابى!

* * *

يا فـــتنتى بالحـــسن يشـــرقُ هاتكًا

من ســـدة الأســـرار كلّ حـــجـــابِ!

يســـتـــشـــرفُ الفنُّ الرفـــيعُ ضـــيـــاءهُ

ويعبُّ من مـــجـــراهُ كلّ لبـــابِ

ويراهُ للفنان وحـــيًا صـــادقًا

لمعـــينه الصـــافى، وفـــيض عُبـــابِ

تنهل ديمـــتـــهُ على مـــتـــعـــفّفٍ

يـرنـو بـطـرفِ الـقـــــانـتِ الأوّابِ

وتُفـــيض عن مـــتـــصنعٍ لا ينثنى

يغـــــــرى الأنـامَ بفـنّه الـكـذابِ

يحنو إذا خطر الجمالُ تأدبًا

فإذا خلا أولاه طبعَ ذئابِ

ما المدمعُ المسفوحُ من أجفانه

إلا حبائلُ عفةٍ، وتحابى

ما الخافقُ النواحُ من الحانه

إلا خداعُ هوىً، وزيفُ تصابى!

* * *

من ثغرك الزاكى رشفتُ قصائدى

ومن اللحاظ قبستُ ومضَ شهابِ

ومن العيون الحالمات تعلمتْ

عيناىَ سرَّ القتك بالألبابِ

ارنو لها فأرى خيالى خاشعًا

فى مائها، كالعابدِ الثوّابِ

فى كل هدبٍ رفَّ من اهدابها

رشدٌ لقلبِ الحائر المرتابِ

من راح يُغويه الجمال، فإننى

ألهمتُ منكِ هدايتى وصوابى!

قدّست فيكِ الشرقَ.. فتنةَ منظرٍ

وجلال إيمانٍ، وقُدسَ جنابِ

مـــا النيلُ؟ مـــا مـــاءُ الحـــيـــاةِ به؟ إذا

أجـرىَ الهـوى من فـيكِ شـهـدَ رُضـابِ!

مـــا نفـحـــةُ الغلِّ المنورِ فى الضـحـى؟!

إن فـــاحَ زهـرُ عـــبـــيـــركِ الوثابِ!

مـــا خطرةُ الريحـــانِ برفلُ مـــائسًا؟!

إن تاهَ عطفكِ من هـــوىً وتصـــابى!

مـــا السـحـــرُ؟! مـــا تيـارةُ الخـافى؟! إذا

همـــسـتْ شـــفـــاهكِ مـــرةً بخطابِ!

مـــا بهـجـــةُ الدنيـــا وزينتـــهـــا؟! إذا

أشـــــرقتِ فى دلٍّ وفى تلعـــــابِ!

أفـدى ابتـســامـتكَ العـزيزةَ بالمنى

وبعـمـرى الزاهـى وشـرْخِ شـبـابى

وأرى الحـــيـــاةَ بدونهـــا أسطورةً

معلوءةً بالسُّخـــــرِ والأوصـــــابِ

عـيـشى بهـا عـيشُ اليـتـيم! ومنزلى

فى ظلهـــا المنبـــوذ ركنُ خـــرابِ!

فـتـبـسـمى.. فـعلى ابتـسـامـتك المنى

بيـضـاءَ، مـفـعـمـةً بكلِّ طِلابى..

فـيـهـا مـسـارحُ فـتنتى.. وتغـزلى..

وبهـــا المعـــينُ الثـــرُّ للأرابِ

وأثيـــرها للروحِ دنيـــا عـــذبةٌ..

رفـــاقـــةٌ بالســـحـــر والتـــرهابِ

تجـــرى على تيـــارها فتنُ الهـــوى

سكرى تروعُ بموجـــهـــا الصـــخّابِ

يتـــرشفُ القلبُ الحـــزينُ ضـــيـــاءها

راحًا تميتُ الهمَّ فى الأعـــصـــابِ

هى مـــاملى الســـامى.. وراحـــةُ خـــاطرى

والمنهلُ الصـــافى لعـــذب شـــرابى..!!

* * *

لولاكِ مـــا احـــبـــبتُ مـــصـــرَ، ولارنا

طرفى لروعـــةِ نيلهـــا السكّابِ

ولما هتـــفتُ لريفـــهـــا بملاحنٍ

فـــضـــحتْ هزارَ الروضـــةِ المطرابِ

شـــرحتْ لشـــانئـــهـــا اللدودِ روائعًا

غـــرّاءَ من مـــتعَ الجـــمـــال الخـــابى

تمـــرى على نفس الصَّبـــا بأصـــيلهِ

وعلى الضـــحـــى بالربوةِ المُنشـــابِ

وعلى الحـــقـــولِ المـــرعـــاتِ براقصٍ

مـــن نَـــوْرهـــا طـــربًا مـــن الـــدولاب..

أنتِ التى زينتـــــهـــــا فى ناظرى

فلمحتـــهـــا بالزهوِ والإعـــجـــابِ

لولاك لاحَ النور فى آفـــاقـــهـــا

نارًا.. وحـــالى الروض قـــفـــرَ يبـــاب!

وعـــشـــيتُ.. لا يبـــدو لعـــينى حـــسنهـا

إلا بمـــرآى المحـــلِ والإجـــــــداب!

* * *

أهواكِ روحًا ســـامـــيًا.. ومـــفـــاتنًا

عـــذراء.. قـــدســـهـــا فـــؤادى الصـــابى

حـــصنتـــهـــا بالطهـــر تشـــرق بينهُ

كـــالنجم يلمحُ من خـــلال ســـحـــابِ

ووهبـــتـــهـــا لمدلَّـــهٍ أوحتْ لهُ

قـــدسَ الخـــيـــالِ، ورقـــةَ الإطرابِ

* * *

هى صـــورةٌ أنا من جنون غـــرامـــهـــا

وغـــيـــابهـــا.. فى حـــرقـــةٍ وعـــذابِ!

كـــالشـــاردِ المخـــمـــور.. أمـــشى ذاهلا

من بعـــدهـــا.. أبكى عظيم مـــصـــابى!

أســـرى.. ويســـرى الشـــوق بين جـــوانحى

كـــالنار فى الذاوى من الأعـــشـــابِ

لا تستفيقُ من الحنان مشاعرٌ

يا طالما رجفتْ لحظى الكابى!

* * *

يا بؤس روحى.. إن هفا بكِ خاطرٌ

فى غير آمالٍ لدىَّ عذاب..

نستافُ ريحَ المجدِ من أعطافها

ونعيشُ فى يسرٍ، وفى إخصابِ

أو أشغلتكِ مُنى المقاصير العلا

ومباهجٌ للمالِ جِدُّ كِذابِ

كوخى الوديعُ أعزُّ من تلك الذرا

شأنًا.. إذا قدستَه بركابِ

أضفى عليه الطهرُ من أبرادهِ

ما عزَّ عن صلفِ القصورِ النابى

وهواكِ.. لو لمستْ خطاكِ ترابهُ

لزرى بكلِّ مشيَّدٍ معجابِ

وزهَا على الأيام، والتمستْ لهُ

فرصُ السعادة أمنعَ الأسبابِ!

يا بؤس روحى.. إن صغيتِ لعاذلٍ

حسبَ الجمالَ مراتعَ الأوشابِ!

فالحسنُ إن لم يسبِ مهجةَ شاعرٍ

أولى به فى الكون بطنُ ترابِ!

ولجّ العـــذارى بالصـــدودِ.. وأنت مـــا

أغـــراك إدلالٌ على إغـــضـــابى

فـعـشـقـتنى.. وعـشـقـتُ.. حـتى لم نتجْ

لغـــرامنا يومًا مـــسـيمنْ عِتـــابِ!

هى صـــورةٌ.. أنا من جنون غـــرامـــهـــا

وغـــيـــابهـــا.. فى حـــرقـــةٍ وعـــذابِ!

أبدًا أجنُّ إذا تحـــدرَ طيـــفـــهـــا

من عـرشـه السـامى على مـحـرابى!!

○ عـروس النيـل ○

حاملة الجرَّة

سـارتْ إلى جـدولهـا الدافقِ
سـيـر الكرى فى مـقلة العـاشقِ
وانيـة الخطو، كـأنّ الثرى
يحـمل منهـا خطرةَ السّارقِ
شـاهدتهـا والشـمسُ فى أفـقهـا
تحكى فـؤاد الشـائر الحـانقِ
والشـاطئُ المسـحـورُ من روعـةٍ
يسـبحُ فى مـوكـبـهِ الغـارقِ
كـأنه دنيـا المنى أقـبلتْ
تلمحُ فى ليلِ الشـجى الغـاسقِ!
جُنَّ جنونُ البـحـر لما رأى
أحـلامـهـا من فـيـضـهِ الرائقِ

فصفقَ الموجَ على ساقها

من فتنةٍ كالوالهِ الخافقِ!

وريحُ طيفُ الشمسَ لمَّا زها

جبينها عن لمحهِ البارقِ

فعالت الأضواءُ عنها لما

أخجلها من نورهِ الشائقِ!

تمتعُ بالجرةِ من منهلٍ

صافٍ كريقِ الكوثرِ الدافقِ

بنسابُ فوق التبرِ في سندسٍ

نضرٍ، ونخلٍ مثمرٍ باسقِ

يهزجُ في الوادي بأنشودةٍ

ألحانها من وترِ الخالقِ!

* * *

إذا دهتها الريحُ أبصرتها

حمامةً تفزعُ من باشقِ

نصيفها[1] تخفقُ أهدابهُ

خفقَ الأسى في الشجنِ الطارقِ

لهريرةُ اللحظِ لها نظرةٌ

زوراءُ عن خبلِ الهوى الفاسقِ!

(١) طرحة سوداء تستتر بها الريفيات.

كم ألهمتْ من وحيها شاعرًا
قدسها فى عصره السابقِ!
وكم شدا العصفور لما سرتْ
تختال تحتَ الفنِ الوارقِ!
وشاعرُ العصرِ سباءُ الهوى
فناح نوح الأسودِ الناعقِ!

* * *

من عهد «بنتاءور» ما شبوا
يومًا بسحر الجمرةِ الناطقِ
وهى التى توحى المنى.. والهوى
للشاعرِ المفتونِ.. والعاشقِ!

○ الفستان الأحمر ○

إنْ تكنْ نارًا، فما أشهى خلودى فى سعيرك!
أو تكن وردًا؛ فيا لهفةَ روحى لعبيرك!
طرفك الهفهاف بيدى لوعةُ خلف ستورك
وألهتْ روحى فطارت ترتوى من فيض نورك
تلك منّى لو تهادتْ موجةٌ فوق غديرك
أو خيالاً من هواها سابحًا طىَّ ضميرك!
ليتَ يا «فستانُ» لما لُحتَ تزهو فى حريرك!
كنتُ ذرًا نابضَ الإحساس يجرى فى أثيرك!
يلثمُ الحسنَ ويهوى فانيًا بين عطورك!

○ القرية الهاجعةُ ○

فى ظلِّ القمرْ!

لفّها الليلُ، فاستراحتْ من الأينِ
. على حضنِه الرفيقِ الهنِّى
وسدتها الأضواءُ من لمحها الضا
فى وسادَ الطبيعة العبقرِىْ
وحبتها المهادَ موجةَ نورٍ
اشرقتْ فى ترابها القرْمزىْ
لمعاتٌ من وجنةَ القمر الزاهـ
ـى، وفيضٌ من ثغرِهِ العسجدىْ
غرقت فى جلالهِ الروحُ سكرىَ
من طِلا جامهِ الوضىءِ السنِّى
تنهلُ الحلمَ من رؤى تتجلّى
هامساتٍ بكل معنى خفِّى

رائعاتِ الأطياف، لماحة الومضِ

. تهادىَ على مهادٍ رضىْ

نسجتهُ يدُ الشقاءِ من القشْ

. فراشًا لمستطامٍ شقىْ

بائسٍ شفَّهُ القنوعُ، فأغفىَ

فى حمى كوخه القنوع الأبىْ

صدفَ الحظُّ عن حظائره السُو

د إلى ساحةِ الركابِ الغنىّ!

حضنَتهُ على الضنىَ قريةٌ نا

مَتْ على شطِّ جدولٍ ريفىْ

لاح فيه نخيلها خافضَ الرَّا

س كطيفٍ فى خاطرِ الصوفىْ

وصغَى السدرُ للسكون كرهبا

نٍ أصاخوا فى معبدٍ قُدسىْ

لفعتهُ الأنوار من بُردها السا

مىِ بثوبٍ من السنا مَوشىْ

ورنا الدومُ للشعاع كملهو

فٍ صبا إلى نهرهِ الفضىْ

فاستطالتْ سيقانهُ تطلب النجوىَ

. وتهفو إلى الوميضِ القصىّ

كـــعـــذارى ســـبـــحنَ فى لجـــة النو

ر هيـــامًا بفـــيـــضـــهِ اللُجيْ!

* * *

إيه يا قـــريتى! أصـــيـــخى لشـــادٍ

سكبَ اللحنَ فى رنينٍ شـــجـــيْ

شـــاعـــرٌ هَـــزَّه هـــواكِ فـــغنىْ

لكِ أنشـــودةَ الجـــمـــالِ البـــهىْ

مـــداو تارةً اشـــعـــةَ بـــدرٍ

غـــارقـــاتٍ فى صـــمـــتكِ الســـرمـــدىْ

ســـاحـــراتِ النُهى برعـــشـــة أطيـــا

فٍ تراقـــصن فى الفـــضـــاءِ الوضىْ

نـاهـلاتٍ كـــأنهـــا حـلمُ صـبْ

تـاهَ فى سكرة الهـــوى العُـــذرىْ

صـدحتْ بالجـلالِ فى صـمـتهـا السنا

هى لســـرٍ مـــحـــجـــبٍ أزلىْ

بهـــرةٌ للعـــقـــول تملى على الكـــو

نِ نـــداء الطبـــيـــعـــة العلـــوىْ

تلهمُ الرشـــدَ للضلولِ، وتلقـــى

مـــعـــجـــزاتِ الهـــدىَ لكلِّ غـــوىْ

وتســـوقُ الإيمـــانَ للجاحـــدِ الغـــا

وى فـــتنضـــو من قلبـــه كـلَّ غىْ

فضحت كلَّ ملحدٍ حينَ أضفتْ

قدرة الله من سناها العليْ!

هي فنّ السماء لاحَ على الأر

ضِ بلوحٍ منمقٍ مَوْشيْ

خشعَ الزهرُ في نواحيهِ ريّا

ن رطيبًا من النسيم الندىْ

لشمتهُ الصَّبا فهرَّ من النشوةِ

. أكمامَ كأسهِ العطريْ

وأذاعَ العبيرَ يخفقُ في الحقلِ

. بنفحٍ مطيَّبٍ مسكيْ

سار في خاطر الربىَ وادعَ الأنفاسِ

. يحكي تنهداتِ الصبيْ

كم شجىَ عاشقًا! وهاج ادكارًا!

في فؤادٍ من الشجون خلِيْ!

• • •

إيه يا قريتي لقد شفَّ نايي

شجنٌ في الحشا عظيمُ الدويْ!

غرسته يدُ الليالي بقلبٍ

شدَّ ما ذاق من أساها العتيْ!

فاشدُ في رباك بلبلُ أيكٍ

هيَّجتهُ خواطرٌ بالعشيْ

صرخَ البؤسُ فى أغانيه لهفا

نَ على فرعه الرطيب الجنىْ

ناحَ فى جنة تلقنُ شاديها

. نشيدَ الهناءةِ السّحرىْ

وشّحَ النيلُ شاطئيها بأبرا

دٍ ضوافٍ على الرُّبى والقُنىْ

كلّلتها زنابقُ القاع، فازداً

نتْ كعرْسٍ تكللتْ بالحِلىْ

ضحكَ السّيسبانُ فيها بنوْرٍ

ساهمِ الطرفِ أصفرٍ ذهبىْ

وزها القطنُ وارتدىَ حلةً بيضاء

. كالطُّهرِ فى جبينِ نبىْ

نسجتها بنانةٌ حيّر العقلَ

. مدى فنّها الخصيبِ السرىْ!

منِ ثراكِ العزيز غذّتْ جنىَ الروْ

ض فأغرىَ لقطفه كلُّ حىْ

وارتوى نبتُها من العرَقَ الها

مىَ على تربك الطهور الزكىْ

من جباهٍ تعفرت فى ثرى الذلْ

. على موطىءٍ ظلومٍ قسىْ

رضـــــــخـتْ لـلـسُّراة مـن كـل فـظٍّ

عـــبـــد المالَ فى طِمـــاعِ زرىْ

أنتِ أســـعـــدته، وأشـــقـــيتِ أروا

حًاتهـــاوين فى حـــمـــاكِ الشـــقىْ

نمتِ فى الضنك والهـــوان! وأغـــفَى

رافـــه النفس فـــى حـــريرٍ طـــرىْ!

فـاسـتـفـيـقى من هجـعـةٍ تخـدع الرُّو

حَ رُؤاهـــا بـكـل طيـــفٍ فـــرىْ

وارشـفى خـمـرةَ الضـيـاء، وسـاقى

مـــوكبَ الزهـر من طِلاهـا الشـــهىْ

وارقـــصى للنشـــيـــد سلسلتُ روحى

نغَمـــا فى خـــيـــالهِ العـــبـــقـــرىْ

ســـحـــرَ الليلَ عـــزفُه، وانتـــشى البـــدْ

ر بصـــهـــبـــاء لحنـــه الروحـــىْ

فـــبـــدا عـــانسًا تطلّ على النيلِ

بـطـرفٍ مـن الـعَفَافِ حـــيّى

خـــدرَّ اللحنُ روحـــهـــا فـــتـــرامتْ

فـــوق مـــهـــدٍ مكوكـــبٍ شـــفـــقىْ!

واســـمـــعى أُرغنَ الطبـــيـــعـــة يُلقى

وحىَ صـــدّاحكِ الحـــبـــيـــب الوَفى

قبل أن يغرُب الشعاعُ، ويمضي
بنشيدي إلى الفضاءِ القصيّ!!

○

○ تَبَسَّمى ○

إنْ مـــات زهرُ الفـــولْ ... فى مـــزرعـــات الوادْ
ولـــفَّه (أبـــريـــلْ)[1] ... فى منجل الحـــصـــادْ...
تبـــسَّمى للنيلْ ... يزخـــرُ بالأعـــوادْ
وتمرعُ الحـــقـــولْ ... بالسندس المـيَّـــادْ
ويغـــتـــدى المقـــتـــولْ ... من زهرهـا (عـــبَّادْ)

* * *

إنْ مـــات فى الهـــجـــيـــرْ ... لحنٌ على العـــيـــدانْ
غنى به العـــصـــفـــورْ ... فى فـــجـــره الريانْ
تبـــســـمى للحـــورْ ... يهـــتـــزُّ كـــالسكرانْ
وتنـــهـــلُ الطـــيـــورْ ... من ثغـــركِ الألحـــانْ!
يا قـــدسَ هـــذا النـــورْ ... فى خـــافـــقى الحـــيـــرانْ
يلقى أسى المهـــجـــورْ ... فى واحـــة النســـيـــانْ!

* * *

(١) إشارة إلي موسم الحصاد في صعيد مصر.

إن مـــات فى المســـاءْ نورُ الضـــحىَ الرفّافْ
او مـــصّتْ الأنـواءْ مـن زهـره الأفـــوافْ..
فـــأرسلى الأضـــواءْ من ثغـــركِ الشـــفـــافْ
تمـزقُ الـظـلـمـــاءْ وتهـــتكُ الأســـدافْ
وتفـــعمُ الأجـــواءْ بـالـنـور والأطـيـــافْ!

* * *

فى ثغـــركِ الأعطـارْ نضّاحـــةَ العـــيـــونْ
فى ريحـــهـــا أنهـــارْ دفـــاقـــةُ الحنينْ
تطفى لهـــيبَ النـارْ فى مـــهـــجـــة المحـــزونْ
وتلهمُ الأشـــعـــارْ للعـــابد المفـــتـــونْ
روحى عليـــهـــا ســـارْ للشـــاطىء المكنونْ!

* * *

○

○ القيثاره الحزينة ○

السَّاقية

ناحتْ.. فـــلا الزّهـــرُ علـــى عـــودهِ
ألقى عـــقـــودَ الطـــلِّ مـــن جـــيـــدهِ
ولا مُغنّى الطيـــــــر فـــى وكـــــرهِ
رق لـهـــــا وازورَّ عـن عـــــودهِ
ولا رثـــىَ المـــطـــرابُ فـــى أيـــكـــهِ
مـن ســـاجع الـروض وغـــرّيـدهِ
والعـــاشقُ البلبـــلُ فـــى عـــشّهِ
أســـرفَ فى نجـــوى مـــعـــامـــيـــدهِ
يخـــتـــالُ فـــوق الغـــصن مـــســـتلهـــمًا
وحىَ الهـــوى من روحِ مـــعـــبـــودهِ
أقـــام للبـــســـتـــان عـــيـــد الهـــوى
فـــراحَ يلهـــو الـروضُ فى عـــيـــدهِ!

لم يسمع النوحَ لمخنوقةٍ

تشكو إلى الدهر أسىً قيدهِ

خرساءُ، لكنْ صوتها صارخٌ

يذيب قلب الصخر من وجدهِ

لها طنينُ النحل فى قفرة

يهماءَ لم تُبْق على شهدهِ

وهزةُ العاشقِ مستصرخًا

أذواه حرُّ الشوق فى بعدهِ

ولوعةُ النائى بَرَاهُ الهوى

ونال كيدُ الهجر من وُدهْ

لها عيونٌ دائماتُ البكا

بمدمعٍ كالسيل فى رفدهِ

تفنىَ دموعُ الناس من فيضها

ودمعُها باقٍ على عهدهِ

تحيا زروع الحقل من ريِّه

من سوْسن النَّبتِ ومن نَدْهِ

* * *

ويزدهى الزهرُ إذا ما جرى

مُنْهَلُّهَا الصَّافى على خدهِ

يفترُّ إن ناحتْ... ويذْوَى إذا

لم تسكب الدمع على مهَدِهِ

حـــيـــاتهُ فـــيـــهـــا.. ولكنهُ

عقُّ الهـــوى حـــرصًا على عـــوده!

* * *

دؤوبـــة الـــشـــكـــوى عـــلـــى راســـفٍ

فى الذلِّ مـــفـــجـــوعٍ على جـــدِّهِ

دارتْ به البلوى، فـــمـــا راعـــهُ

إلاَّ عـــمـــاءٌ غـــال من رشـــدهِ

وضـلـةٌ يـسـعـى بـلا رائـدٍ

عـلـى سـبـيـلٍ فـلَّ مـن جـهـدهِ

أعـــمـــى.. رمـــاه البـــينُ فى دارةٍ

لم يدرِ نحس الخطو من سـعـده!

شُـــدَّت حـــبـــالُ الـــذلِّ فـى رأســـه

وفتَّ صـــرفُ الدهرِ فى كـــبـــدهِ

منـادحُ الضـــجـــة فى أذنه

وملـعـب الـســـوط عـلـى جـلـدهِ

والســـائق الأبلـــهُ لا ينثنـــى

عـــن ضـــربه العـــاتى وعـــن كـــيـــدهِ

يتلـــو عـلـى آذانـــه ســـورةً

من قـــسـوة السـيـد على عـبـدهِ

كـــــــــانـهُ الـدهـرُ يـزجّى الـورى

قـــســـرًا إلى مـــانـدٌ عن وجـــدِهِ!

○

○ وقفةٌ حيال القصر! ○

المنصف ١٩٣٨

«هي ساعة مريرة تطاير فيها رشد الشاعر
من لوعة الحرمان، حيال معبد غرامه»

يا صرخةَ الأعصاب لا تهدئي
في مهجة المحروم من موردِهِ
فالنار مازالت على مضجعي
تذكي بخور القلبِ في معبدهْ

* * *

بعدَ الضنى الكاوي.. وما مزقت
من كبد المفتون أهدابها
وافيتها ظمآنَ، في لهفةٍ
فأوصدتْ دونيَ محاريبها..

* * *

ظمـــــان! يا بؤسى! ويا شـــــقـــــوتى!
والمنبع الصـــافى لشـــفـــرى قـــريب!
ترفّ روحى حـــــول سلســـــالـه
فـيـخـتـفى عنهـا.. كـأنّ غـريبْ!

* * *

هـجـــرتُ كـــوخى.. وهـوى ســـحـــرهِ
وعـــشـــبـــه الـزاهـــى، ونُـــوّارهِ
وجـــئتُ للقـــصـــر أنـادى بـه
مـعـبـــودةً غـــابت بأســـتـــارهِ

* * *

فـــأطرق القـــصـــر كـجـفـن الحـزينْ
ومـــاتتْ الأصـــداءُ فى وحـــشـــتـــهْ
وضـــجّتْ العـــذراءُ فى صـــمـــتـــهِ
ضـــجـــتـــهـــا الكبـرى على غـفـلتـه!

* * *

ياقـــصـــرُ! قـــد طال وقـــوفى! ألا
يشـــرق منكَ الحـــسنُ للهـــاتفِ؟
أجبْ! تكلمْ! إنّ ســـحـــر الهـــوى
طـار بـرشـــــــدِ المـدنـفِ الـواقـفِ!

* * *

أيُّ القرابين أضحّى بها
فتفتحُ الأبواب للعابدِ؟
الروحُ؟ ما الروح! وشعري؟ وما
شعري سوى ترنيمةِ الشاردِ!

• • •

والكونُ؟ ما الكون إذا لم تُصغْ
للصارخ المشدوه إلاّ عدمْ!
وبهجة الدنيا؟ وما قدرها
إن لم يذعْ فيكَ رنين النغمْ!

• • •

وأى كنز تشتهى جوهرُهْ؟
فأحرق القلبَ على تبرهِ!
وأى سرٌ تبتغى كشفهُ؟
فأهتك المسدولَ من ستره!

• • •

وأىُّ.. ما أىُّ وما أمرها!
والقصر فى إغفاءة الذاهلِ
والهاتف المحروم لمّا يزل
يشكو الهوى فى ذلةِ السائلِ!

• • •

يـا لـيـت أنـى ذرةٌ فـى الـضـحـى
تنسـاب فى الضـوء على مـخـدعكْ
يجـرى بىَ النورُ على مـوجـةٍ
تُدْنى فـعـى الظامى إلى منبـعكْ!

• • •

أوليتَ أنى نسـمـةٌ فـى الدجى
سـيُرها الليـل على جـبـهـتكْ
تسـجـدُ إن مـرتْ على وكـرها
وتنهلُ الأحـلام مـن جنّتكْ

• • •

وطالتْ النجـوى.. ولم يسـتـمعْ
وكـرُ الهـوى الألحـانَ من شـاعـرهْ
ولجّتْ الذكـرى علـى بـابـه
فـضـاع صـوتُ الشـعـرِ فـى سـامِـرهْ!!

○

○ القلبُ الحزين! ○

قلبي..!

ولي على الدهر قلبٌ باسمٌ أبدًا
لهفانُ!! يصرخ مضنًا من عواديه
معذبًا كلما رنتْ مواجعهُ
بكيتُ أنْ عزَّفى دهرى مواسيه
كأنهُ ناسكٌ طافتْ بعزلتهِ
سودُ الذنوبِ فهاجتْ حزنَ ماضيه
تسبيحهُ من نثارِ الدمع منتظمٌ
والروحُ ثورةُ هم فى أغانيه!
على الصبا كدتَ يا قلبى تموت أسىً..
فكيف لو شبتَ تحيا فى لياليه؟!

○

○ سنبلةُ تغنى ○

مـنْ لـه فـى الأرض مُلـكٌ ... مـثل ملكى فى الكثيبِ؟!
مـوردى النيلُ! وزادى ... من ثرى النيل الخصيبِ!
كلَّ الفجر جبينى ... بالندىَ الفضُّ الرطيبِ
والأصيلُ البرُّ ألقى ... تبرهُ بين جدوبى
وشعاعُ الشمس حيّا ... فى شروقٍ وغروبِ
لو رأى الرهبانُ طهرى ... وصلاتى فى المغيبِ!
هجروا الديْرَ، وخرّوا ... سجدًا فوق كثيبى!

• • •

طيبَ الصبحُ مهادى ... بعبير الزعفرانِ
والربى وشّحنَ عودى ... بوشاح السيسبانِ
والضحى لما رآنى ... ذاتَ دلٍّ وافتتانِ
ذوبَ النوز وأجرى ... نهرهُ فى طيلسانِ
وسقانى الطلُّ أشهىَ ... من بنيْاتِ الدنانِ

• • •

قبراتُ الحقل لمّا ... خشيتْ لفحَ الهجيرِ!
رشفتُ ظلى خيالاً ... نغمته فى الصفيرِ!
وحبا العُليق[1] فوقى ... عاشقًا لثمَ شعورى
كأسهُ البيضاء تحكى ... حُلُم الطفل الغريرِ
مدها شوقًا ليحسو ... هالة الضوءِ المنيرِ!

* * *

أنا عذراءُ تجلّى ... سحرها بين الحقولِ
الصبا جُنّتْ غرامًا ... بشحوبى ونحولى
فتلوّتْ حول ثغرى ... فى شرودٍ وذهولِ
تشتهى لثمى.. فتضرى ... آهةَ الصبِّ العليلِ
فأناغيها بهمسٍ ... رقّ عن نفحِ الأصيلِ!

* * *

كم ربيعٍ ناعمِ الأ ... صالِ، طلّقِ الغدواتِ!
نمتُ فيه عفةَ المهدِ ... بحضنِ الربواتِ
بين ترتيلِ السواقى ... ورفيفِ النحلاتِ
وترانيمِ الصبايا ... فى سكونِ الطرقاتِ
والصدى المشبوبِ حولى ... من أناشيدِ الرعاةِ..
ودنا الصيفُ فشابتْ ... من لظاهُ سبلاتى!
وذوىَ عودى! ولفُّ المنـ ... جل القاسى حياتى!

* * *

(١) نبات ذو زهر أبيض يلتف بعيدان القمح.

وتحطمتُ.. فأحيا النّا س عيشٌ من رفاتى!

أنا فى غرسى، وحصدى وحياتى، ومماتى!

مثلٌ أعلىَ ورمزٌ خالدٌ للتضحيات!!

○

○ عندَ زَهْرَةِ الفُول ○

طلعَ الحسنُ فى ثرىَ الريف روضًا
حالىَ الأيكِ بالأزاهر والندْ
سرقَ العطرَ من جيوب العذارى
وحباهُ للأقحوان المنضدْ
وسطا فى ثغورهنَّ فأجرى
كوثرَ الريق فى ثراهُ المعبّدْ
ثمِلَ النبتُ من طِلالها فرفّتْ
كلُّ ميّاسةٍ به تتأودْ
فهنا السنبلُ المرنحُ يهفو
فى مهب النسيم حينًا ويسجدْ
وهنا الفولُ أبيض الزهرَ نضر
كسدول العَفّافِ لاحتْ بمشهدْ
وترى الصادحَ الطروبَ من الطيرِ
. يناغى اليفهُ المتوجّدْ

يتطنّى ترتيله في ذرا الدو
ح صلاةٌ من الملائك تُنشدْ

وكان الريحانُ من رونق الخضرةِ
. صيغتْ عيدانهُ من زَبرجدْ

ضاعَ من كمّهِ العبيرُ كعذرا
ء براها الهوى فراحتْ تنهّدْ!

وتخالُ الضحى عليه برودًا
فصلتْ من سنا شعاعٍ وعسجدْ

وقدودَ النخيلِ قاماتِ غيدٍ
ساكراتٍ من خمرة الطلّ مُيّدْ

خفقت حولها الدّوالي[1] فريعتْ
وتأنّتْ على الأسير المقيّدْ

لطمتْ سوقها على الثوْرِ حزنًا
حرةٌ فجعتْ على مستعبدْ!

ونزاً في مراحه كلُّ جدي
حائرِ الروقِ ثائرِ الخطوِ، أغيدْ

قد سقاهُ الربيع كأس سُلافٍ
من رحيق الندى فثارَ وعربدْ!

وإذا ما الأصيلُ أهرق فيهِ
جامَ صَهْبائِهِ ، العتيقَ المعسجدْ!

---

(١) جمع دالية وهي الساقية.

شِعْـــتَ اغـــصـــانَهُ ذوائب شَعْـــرٍ

مـــذهبـــاتٍ على نواصى خـــرَدْ

وعلى النيل للســـفـــائنِ همسٌ

كطيـــوفِ الأحـــلام تهـــفـــو بمرقـــدْ

سبحتْ فى عبابهِ الشمس تبغى الطهرَ

فى مـــائه النعـــيـــر وتنشـــدْ!

* * *

جنةٌ تلهمُ الخـــيـــالَ، وتوحى

عـــبـــقـــرى الفنون من كلّ مـــشـــهـــدْ

شُغِلَ القـــوم عن هواهـــا .. وكـــانت

للأُلى شـــيَّدوا الحـــضـــارة مـــعـــبـــدْ!

○

ظمأ العيون!

١٩٣٥

عـــابد النور جـــاء للنور يشكو
ظمـأ فى الحشـا لسـحرِ ضـيـائهْ
وعلى الجـفن ضـجـةٌ.. مـات فـيـهـا
ألقُ النور والتـــمـــاعُ سنائهْ
وخـبتْ بهـجـةُ الحـيـاة وأضـفىَ
بؤسـهـا، لوعـةٌ علـى لألائِـهْ
جنتْ الأعـيـنُ الظِّمـاءُ إلى الحـسن
. وحنتْ دمـوعـهـا لبـهـائهْ
وتمشَّى الهـوىَ بأهدابهـا السـو
د فكادت تضىءُ من كـهـربائه!

• • •

عـــاشقٌ شـــفـــهُ النوى، وتلظّتْ

صـــالـيـــاتُ الغـــرام فى أحـــشـــائهْ!

جـالَ فى مـصـر هاتفًا ينشـد الحـسنَ

. ويبكى لبـعـدهِ واخـتـفـائهْ

وتنادى عـــيـناهُ فى سكرة الصـــمتِ

. وتـغـنـى أنـوارهـا فـى تـدائـهْ

فـيـغـيب النداءُ فى لُجـة الجـو

ويذوى الرنينُ فى ضـــوضـــائهْ

ويعـــودُ الصـــدى غـــيـــابة همٍّ

نشـــرتْ ليلهـــا على أرجـــائهْ!

* * *

صـــرخَ اللحظُ فى مـشـابك جـفنيـه!

. وضجّ الإفـــريزُ مـن أصـــدائهْ

وبـدا كـــالجنون فـى ثورة الـهـــا

ذى، وســـاجى الأحـــلام فى فكرِ تائهْ

صـاخـبـاً كـالهـوى بجنبـيـه! أعـمى!

غـمـرَ التـيـهُ واسـعـاتِ فـضـائه

كلمـــا صـــورّ الخـــيـــالُ أمـانيـه

. فـــخـف الأسى! تعـــايا بدائهْ

الجنانُ اللهـــيف يغلى بجنبـــيـــهِ

. فـــيـصلىَ العـــذابَ من بُرحـــائهْ!

ظامئًا للحبيب، يشتاقُ أن لوْ

رشفَ اللمحَ من قصىْ إنائهْ

تعسِ العمر إنْ قضىَ لم يزودْ

من سناه بلمحةٍ فى فنائهْ

فهى خلدٌ لخلد روحى، وعمرٌ

لا يدانى الفناءُ حدُّ انتهائهْ

* * *

غابَ يالهفة العيون ضياءٌ

كل زادى ومتعتى من روائهْ

جمحتْ خلفه الأمانى فضلتْ

فى اثيرٍ ضللتُ بينَ عمائهْ!

○

○ النعش! ○

يا زورق الموت ماذا دهاكَ من ذى الحياة؟
فرحت عجلانَ تجرى لضجعةٍ فى فلاة!

* * *

غادرتَ دنياك لم تحفلْ بضجتها
حول الركاب ولا بالمدمعِ الجارى
يمشى اليتامىَ باكبادٍ ممزقةٍ
من الجوى! ورحيل الموكب السارى!
وللأرامل صرخاتٌ لها ضرمٌ
تحت الأضالعِ مشبوبٌ من النارِ
لاحتْ مناديلهنُ السودُ خافقةً
كأنما فصلتْ من حالكِ القارِ
كأنها فى سماءِ الحزن أغربةٌ
تنعى حياتك فى لهفٍ وإنذارِ

* * *

لفـــوك فـــى ســـابرىٌ مـــكـــلـــل بـــالـــزهـــورْ..
مـــا قـــيـــمـــةُ الزهرِ يزهو على طعـــام القـــبـــورْ؟!

* * *

طوفتَ بالأرض حـــتى ملّ جـــانبـــهـــا
وعـــدتَ خـــمـــرانَ منهـــا نضـــوَ تســـيـــارِ
كـــأنّ عـــودكَ يوم البـــين مـــهـــتـــصـــرًا
ريحـــانـــةٌ فنيتْ فى جـــوفِ إعـــصـــارِ
واهًا على نظرة لم يحظَ مـــرسلهـــا
إلا بـرجـع الـعـــــمـى مـن دهـره الـزارى!
واهاً على أعظم همتْ مـــصـــادعـــةً
غـول الردى فـهـوت من بطشـه الضـارى!
وأصـبـحتَ كـاللّقى.. مـدتْ على خـشبٍ
مـــضـــمـخٍ بنفـــاحِ الطيبِ والغـــارِ

* * *

أيـــسْعِدُ الـــطـــيـــبُ مَيْتًا رنتْ إليـــه اللحـــودْ؟!
أكـــفـــانه عن قـــريبٍ يسـيلُ منهـا الصـديدْ..

* * *

يا عـــابرًا هبطَ الدنيـــا فظنَّ بهـــا

مـــوانعَ الخلدِ لا تحـــصى بمقـــدارِ

فـــراح يطرب مـــخـــدوعًا بفـــتنتـــهـــا

مـــا بين لهـــوٍ... وكـــاســـاتٍ.. وأوتارِ

حـــــتى أدارت لـه الأيـام هـازئـةً

كـــأسـاً مـبـرّأةً مـــن وصـمـةِ العـارِ

من كرْمةِ الدهـر مـنْ طافـت بساحتـهِ

لا يسـتـفـيق صـريعًا بين أحـجـار!

وكـم تزهّـدَ لا تنفـكُّ سـبـحـتـهُ

مـجنونةَ التـوْبِ من إثـمٍ وأوزار!

* * *

حـتى ثـوى فـى حـفـيـرِ

ويـلاه مـن ظـلـمـــــاتـهْ!

يلهـــو مع الدود فـــيـــهِ

لهـــوَ البلى فى رفـــاتـهْ

* * *

مـهـمـاً سقى الوردَ سـاقـيـهِ وأنعـشـهُ

خـمـرُ الندىَ..ونسـيمُ الربوةَ السـارى

فـرفَّ تحتَ الضـحىَ سـوسـانهُ نضـرًا

فى مـــوكـبٍ من بنـات الزهـر معْطارِ!

لابـدَّ للورد من ريح تقـصـفـهُ

رغم الضحىٰ ومعين الجدول الجارى!

يا حامل النعش لا تعجلْ.. فإن أسىً

من حيرة الموت أعيىٰ بطش أفكارى

هذا الذى ضاقت الدنيا بمطمعه؛

تصيبهُ كان منها عشرُ أشبارِ!!

* * *

وتستوى أن تردّتْ فى هاويات الحتوفِ!

جماجم البُلْه فيها ومخّة الفيلسوفِ!!

○

○ دُرٌّ ودمْعٌ! ○

«الزهرة بين الشتاء والربيع»

زهـــرةُ الـــوادى تجـــلّتْ كـــعـــروسٍ للربيـــعْ
زانهـــا الحـــسنُ بطلٌّ خـــاطفِ اللمح لموعْ
فـــهـــو دُر فـــى لماهـــا وعلى الجـــفن دمـــوعْ..

* * *

ضـحكت للفـجـر يضـفـو نـورهُ فـــوق الـزروعْ
ولصـبحٍ حـالمٍ كـالطيفِ ، رفّـــافٍ، وديـــعْ
ولصـحـو الطيـرِ يشـدو بعـد مـا طال الهـجـوعْ
ولأنفـــاسِ الأقـــاحى فى رُبى النيل تضـــوعْ
ولريحـــانِ الضـــحى منفـــتقَ الكمِّ خليعْ!

* * *

وبكتْ ترثي شتاءَ ... حائلاً يشكو النزوعْ

كم أساها حين أذواها ... ببردٍ وصقيعْ!

فتعرَّى من كساءٍ ... من حُلىّ الزهر بديعْ

عاش عُريانًا.. فلمَّا ... مات وشَّاهُ الربيعْ!!

○ دَمْعَةُ بَغِيٍّ! ○

«بغية تسقط فى المدينة...»

واهاً على دنيـــــاى.. مـــــا صنعتْ
بالحـــسن فى كنفِ الصـــبَا الفـــانى؟!
فـــتكتْ بعـــصـــمـــتـــهِ.. ولـــو عـــدلْت
فـــتكتْ بقلـــبِ الأثـــم الجـــانى!

* * *

فـى الـريـفِ فـــــتح للورى زهـرى
وســـرى بطهـــرى فى مـــغـــانيـــهِ
كـــحـــمـــائمِ البـــســـتـــانِ، لا أدرى
من ســـفـــرهِ أوهىَ مـــعـــانيـــهِ

* * *

لحظٌ لـعـــــمـــــركَ كنتُ أرسلهُ
عـــفـــواً.. نمـــاهُ ســـحـــرُ نظـــرانى

يلهـــو به الراني.. فـــيـــقـــتـلُه

ويُذيب قلبَ الصـــخـــرة العـــاتي!

* * *

عـــذراء كم لوعتْ مـــشـــتـــاقـــا

فنيـــتْ حـــشـــاشـــةُ قلبـــه الدامي!

ولكمْ مـــــررتُ بعـــــابدٍ لاقي

وضح الهـــدي بِعَفـــافِيّ السّامي!

* * *

عـــــصـــــفتْ بي الأرزاق بلدي

فـــتـــركـــتـــه .. واحـــســـرتا وطني!

كـــوخي الجـــمـــيل! وملعـــبي وددي[1]!

ومـــراحي المحـــبـــوب! واحـــزني!

* * *

ونـزلتُ في بلـد شـــهـــدت بهِ

قـــدسَ الحـــجـــاب ممزقَ الســـتـــرِ

مـــشتْ الفـــضـــيلة من كـــواعـــبهِ

مـــشي الذليل بربقـــةِ الأســـرِ

* * *

(١) الدد: اللهو واللعب.

يسرينَ والأجسامُ عاريةٌ

تغري بحسن القدِّ والقامةْ

فضحت معاطفهنَّ أرديةٌ

كحبائل الصياد.. نمّامةْ

* * *

وشبابهُ غاوٍ. قُصاراهُ

من عيشهِ لهو وتجميلُ

سلب الأنوثةَ من عذاراهُ

ومشيَ.. عليهِ العارُ مسدولُ!

* * *

والحبُّ.. ما أدني[1] رغائبهُ

بين الكؤوس.. ورنة الوترِ!

فإذ الهوي يرخي ذوائبهُ؛

كان العَفافُ لُبَابَةَ الوطرِ

* * *

وجرتْ علي حسني المقاديرُ

فوقعت فيما كنتُ أخشاهُ

عبثتْ بفتنتيَ القواريرُ

وصبابة الشاكي ونجواهُ

* * *

(١) من الد نامة

سرق الأثيم قداستي ومضيِ...

ومضيتُ أندبُ حظيَ الكابي

حيري! أروم القبر لي عوضاً

عن خسة الدنيا، وأوصابي..

* * *

فأبيَ االترابُ لما يدنسهُ

من لوثة الآثام والعارِ

فنزلتُ.. ما أقذي وأرجسهُ!

بيتَ الفجور، وعش اوزاري!

* * *

أفترُّ فيهِ لمنْ يساومني

عرضي.. بيما يلهي الطويَ شبعا

ويد تصافح من يكلّمني

ويد تصونُ القلبَ أن يقعا!

* * *

وردٌ جناهُ المرء من كمّهْ

واستافَ منه الرّوْح للقلبِ

حتي إذا اضوّعَ من شمّهْ

ألقاه مبتذلاً علي التربِ

* * *

ويقـــالُ فى حكم الهـــوى: ســـقطتْ!

ونَعَـــمْ! ولكـــن مـــن خـــداعكمُ

لـــولا أذي الإنســـان مـــا حـــملتْ

إثمَ الهـــوي عـــذراءُ.. ويحكمُ!

○ المسَاء! ○

«من خواطر المساء في القرية»

ووجْنَةُ الشمس حين تبدو
بشاطىء الأفق فى احتراقِ
كأنها كاعبٌ تعانى
مرارة العشق فى الفراقِ
ويسبحُ الحقلُ فى أثيرٍ
مذهبِ الوشى والنطاقِ
أزاهر القطنِ فيه لاحتْ
صفراءَ عُذريةَ العناقِ
تُصيخُ للجدولِ المغنّى
بمدمعٍ فى الثرى مراقِ
وتسمعُ النوحَ من أسيرٍ
مقيدٍ، هامَ بالسواقي..

* * *

هناكَ القاك يا فتاتي

في عزلةٍ برةِ التلاقي

فأرشف النور منْ طيوفٍ

شفافةٍ حلوةِ المذاقِ

أشكو إلي سحرها دموعًا

كالنارِ في ذابل المآقي!

عيناك قد طارتا بروحي

في عالمٍ ساحرِ الرواقِ

نهلتُ منِ وحيهِ الأغاني

عذراءَ قدسيةَ المراقي

سحريةَ اللحنْ.. في هواها

تمائمٌ تعجزُ الرواقي!

* * *

الهمتها القلبَ في خيالٍ

أصفيَ من الكوثرِ الدهاقِ

أظلُّ سكران من نَداها

أو تبلغَ الروحُ للتراقي!

○

○ خَمْرُ الأنوثة ○

«الأنوثة حياة عذرية سامية، مفعمة بالسحر والفتنة والجنون الروحى الغامض! وهى رحيق معنوى يترعه الجمال للعاشق فيغمره الذهول والتلاشى المادى بين يدى حبيبته... وعسير على النفس أن تسعد بهذه الحياة إلا إذا ضحضت للطهر وفنيت مشاعرها فى تقديس الجمال! وقد شف الشاعر فى فترة فراق، حنين جامح إلى تلك الحياة، فصور إحساسه فى هذه القصيدة..»

١٩٣٥

هىَ الخمرُ! ما سكبت فى الدنانِ

ولا عصرتْ من رحيقِ العنبْ

ولا شعشعتْ جامها فاغتدتْ

عروسًا مكللةً بالحببْ

إذا خلعتْ للنديم العذارْ

فيا ضيعةَ الرشد المستلبْ!

ولكنها من عبيرِ الجمال

ومن نوره الساحرِ المختلبْ

مـــرقـــرقـــةٌ من شـــفـــيفِ الخـــيـــال

على خـــدهـــا المشـــرقِ الملتـــهـــبْ

لهـــا نكهـــةٌ من جنونِ الشـــبـــاب

وإحـــســـاســـهِ الهـــائجِ المضطربْ

لـو انَّ «النُّواسىَّ» غـنـى بـهـــــا

لزين بالطهـــر شـــعـــرَ العـــربْ

تدفقُ انهـــــارهـا فـى الأثيـــــرِ

بشـــوقٍ على مـــهـــجـتى مـــصطخبْ!

إذا مـــــا تـنـفـسَ فـى أضلـعـى

طويتُ على القلب نجـــوىَ اللهبْ

عـــوالمُ طفـــاحـــةٌ بالطيـــوفِ

تـرفُّ على ثغـــرهـا المتـــربْ

تهـــدهـدُ للصـــارخِ المســـتـــهـــامِ

أمـــانىَّ فـــيـــاضـــةٌ بالأربْ

جـــمـــعنَ على الحب طهـــرَ الهـــوىَ

واشـــرقنَ للعـــاشقِ المكتـــئبْ

واسكرنَ روحى فـــارسلتـــهـــا

تغنى لغـــاتهـــا المغـــتـــربْ

فـتـسكُبُ الحـانهـا الداميـــاتِ

مـــجـــرحـــةً من وراءِ الحـــجبْ!

وتهفو على وكرهِ صبَّةً

مدلَّهةً شردتها النوبْ

ترفرفُ عابدةً حسنهُ

وأنوارَه الساطعاتِ الشهبْ

وترشفُ من كوثرٍ رائقٍ

كحلْم العذارى رقيقِ السربْ؛

مدامًا من الطهر معصورةً

ومن نَفَسٍ عبقريّ النسبْ!

ومن شفقٍ قرمزيّ الجبينِ

على شفةٍ صُوِّرتْ من لهبْ

ومن حُلُمٍ ذاهلٍ في العيونِ

تحيّر في نورها واضطربْ

ومن نغمٍ عازفٍ في الجفونِ

يترجمُ عن صارخٍ محتجبْ

تصوَّف من عفةٍ في الضلوع

وضجَّ على لوعتي واكتأبْ

وذوبَ إلهامهُ في شعاعٍ

من الحسن طهر قلب المحبْ

وألهمهُ من نشيد الغرامِ

روائعَ ما خالجتها الريبْ

أغـــاريدُ مـــفـــعـــمـــةٌ بالحنين
يصـــفق فى لحنهـــا المنتـــحبْ

* * *

بروحى من الخـــمـــر مـــا انهلتْ
عـــيـــونكِ من زاخـــرٍ مـــا نضبْ!
جـــلالُ الأنـوثـةِ فى طهـــرهِ
بعـــيـــدُ المدى، مـــســـتـــحـــيلُ الطلبْ
إذا مـــا تنفَّستُ فى ســـحـــرهِ
وفى عطرهِ المســـتـــراد المحبْ
ســـمـــوتُ إلى عـــالمٍ أقـــدسٍ
أتيهِ بـه فـــوق هام الســـحبْ
يلاطفنى فـــيـــه طيفُ الهـــوى
ويُشـــرق لى فى ظلالِ الرهبْ
ويمـــسح من شـــقـــوتى فى الحـــيـــاة
ظلامَ الأسى، والضنى، والتـــعـــبْ!

* * *

بروحى إذا لاح فـــجـــرُ الهـــوىَ
عـــبـــيـــرٌ بثـــغـــرك يُذكى العـــجب!
إذا رقَّ يـــنـــفـــح طـــيـــبَ الـــورودِ
وإنْ هـاج يضـــرم حـــرَّ اللهبْ

تنفّستِهِ فى سكونِ الحبيبِ

فنمَّ على ولهٍ محتجبْ

كتمتِ لواعجه فى حشاكِ

فكشّفها صدركِ المضطربْ

ولحظٌ تغلغل بين الأثير

وأمعنَ كالراصد المرتقبْ

كأنى به حارسٌ للجمالِ

فمن مال صرَّعَه بالهُدُبْ

رنوتُ لإنسانه فى ذهولِ

وبى ما به من جنونٍ وحبْ

فلما رأى عفتى فى هواهُ

وما شفَّنى عشقه من عطبْ:

تضاعفَ[1] لى جفنه رقةً

وخفَّ إلى شفتى واقتربْ

فذوبتُ روحىَ فى نورِهِ

وخلَّدتها فى السنا المنسكبْ:

○

(١) فترُ وتكسّر من الجنان.

○ مِن فم الراعي ○

١٩٣٥

شجتني رنة العصفو ... ر في فجر الرُّبى الصّاحي
وعذبُ اللحن من شادٍ ... رخيمِ الصوتِ صدّاحِ
وساري العطر من زهرٍ ... رطيبِ العود فيّاحِ
فرنمتُ على المزمار ... أغنياتٍ أفراحي..
نشيدَ الحقلِ.. والشاةِ.. ... ولحنَ الروح.. والراحِ!

• • •

لقد ذبنا مع الفجر ... ندى كاللؤلؤ الصافي
فرصّعنا كؤوس الزهـ ... ـر من لألائنا الضافي
ولحنا في مراعينا ... نجومًا بين أسدافِ
عدونا نسبقُ الشممنَ ... إلى مربعنا الغافي
لم نترك لرائينا ... سوى أشباح أطيافِ

• • •

رشفنا خمرة الأندا ... من زرع الربى النامى
وأرقصنا أغانينا ... فرفّت مثل أحلامِ
بعثناها مزاميرْ ... لمحراب الضحى السامى
يطوفُ الحقلَ شاديها ... بلحنٍ عازفٍ هامِ
كأنَّ الحقلَ فى عُرْسٍ ... بهيجِ اللمحِ بسّامِ

* * *

لنا العطرُ إذا فاحتْ ... بوادينا الأزاهيرُ
وعذبُ اللحنِ إن غنتْ ... على الأيكِ العصافيرُ
وإنْ رفّتْ على الوادى ... من النبت البواكيرُ
عقدناها أكاليلَ ... زهاها الحسنُ والنورُ
لشغر الشاة ضاحيها.. ... وللأذنِ المزاميرُ!

* * *

وكم ناعورةٍ ناحتْ ... على مستعبدٍ فيها!
أسير السوط كم ضجتْ ... له يومًا أغانيها
شربنا المدمعَ الصافى ... نميرًا من مآقيها
ونادمنا ظوامى الزهر ... حتى هام صاديها
ورحنا ننهبُ الخطوَ ... سكارىَ بين واديها

* * *

لنا ملكٌ يشوقُ الشمسَ لوْ تحبو بناديهِ
من الزهر بنيناهُ وشدنا من أواسيهِ
وبعثرنا أمانينا شعاعًا فى روابيهِ
إذا غنى به الراعى وألقى السحرَ منْ فيهِ؛
يصيخُ الكونُ مفتونًا بما توحى أغانيهِ!

* * *

نبذنا عشرة الإنسا نِ.. ذاكَ الآثم الفاجرْ
حليفِ الظلمِ، كم ألوىَ على المستضعفِ الخائرْ!
وكم مالَ فلم يدفعـ ـهُ إلا حتفه القاهرْ!
سواءٌ ذلك الطاغى ووحش الغيضةِ الكاسرْ
إذا هاجا من البغى؛ فيا ويلاهُ للعاثرْ!

* * *

وعشنا عيشةَ النُّسا ك فى طهرٍ بوادينا
ثغاءُ الشاءِ تسبيحٌ وتهليلٌ لبارينا
وصوتُ الناى ترتيلٌ به طارتْ أمانينا
إذا رنتْ خلال العشـ ـب من وجدٍ أغانينا؛
فقلْ: يا معبدَ الريفِ لقد هام المصلونا!

* * *

إذا مـــا الشـــفق الدامى ... شـــفتَ فى الأفق أنهـــارهْ
ولفَّ الشـــمسَ فى نعشٍ ... من النيـــران أســـتـــارهْ
ومـــات الموجُ فى النهـــر ... فـــمـــا يسـمعْ تهـدارهْ
ومـــات العطرُ في الروضِ ... فـــمـــا تنفحُ أزهارهْ
ولاح الـــنـــيـــلُ وســـنـــانًا ... تروع الفكرَ أســـرارهْ..!

* * *

تعـــينا الشـــمس فى لحنٍ ... شـــجى الأغنامَ شـــاديهِ
فـــراحت فى جناز النو ... رولهى من مـــرائيـــهِ
أقـــامتْ مـــاتمًا فى الوكـ ... ـر ما أشجى الأسى فيـهِ!
كـــأنا حين أرخى الليـ ... ـل - فى صمتٍ - دياجيـهِ!
شـجـونٌ فى ضـمـيـر الربـ ... ـف هاجتـهـا أمـاسـيـهِ!!

o

○ الغَديرُ الذَّهَبِيّ! ○

١٩٣٦

سَلَةُ الشِّعْر

«مهداة إلى الجبين الطاهر الذى فارقته...»

كَمْ تمنيتُ لو أنى بين طياتكِ ذرّة!
أنهلُ العطرَ لديها وأناغى كلَّ شعرة..

• • •

وأرى أنفاسَ عذرا ئى ضوافٍ فى أثيرك
طالداتِ النفح، تذكى أرجَ الحسن بنورك

• • •

أىُّ خمر تلك لم تشـ ـرقْ لحاسيها بكاسِ؟!
عربدتْ روحىَ من صهـ ـبائها دون مساسِ!

• • •

أتراها قطرةٌ منْ ثغرها ذابت بنهرك؟
يوم القتْ شفتاها قبلةَ العهد بشعرك!

• • •

أيُّ نور فاضَ كاللـ ـجة مجهولَ الضفا
رفَّ في ذهني بمعنىً غامضِ الأطيافِ خا

* * *

أتراه لُمعةً سحـ ـريةً ماجتْ بتبركْ؟
شردتْ من مقلتيها وتهادتْ فوق سترك!

* * *

أيُّ عطر ذاك لم يخـ ـلقْ لما يزكيهِ زهرُ؟!
جُنَّ حسي حين لفَّ الرُّ وحَ من ساريه نشرُ!(١)

* * *

أتراه نكهةَ الحبِّ (م) نماها في شعورِكْ؟
أم أريج الوصل يندى فوحهُ بين عبيركْ؟

* * *

يا غديرًا ذهبيًّا رقَّ عن نفح الأصائلْ!
ضفرتْ سلساله للصـ ـبِّ غيداءُ الأناملْ..

* * *

قد تهاديَ فيك مني زورقُ الروحِ الحزينةْ
وبكى الملاحُ شجوًا هل تسمَّعتَ أنينةْ؟!

* * *

غنوتي الحيرى، لكم طا رتْ هيامًا فوق موجكْ!
ضلت الخلد، فجاءتْ ترتجيه بين لجكْ..

* * *

(١) النشر: عبق الطيب.

كلمـــــا يممتُ شطًا منكَ لماح السمـــــاتِ!
غـــامتْ الأجـــواءُ فى عيـــ ـنى وضـــاعتْ أمنيـــاتى!

* * *

يا ترىَ أنتَ خـــيـــالٌ شـــفـــقىُّ الوحى، ســـامِ؟
صـــبـــغتْ أطيـــافـــه منْ لوعـــتى، نارُ الغـــرامِ؟!

* * *

أمْ نشـــيـــد عـــبـــقـــرىُّ هـزهُ نـاىُ الجـــمـــالِ؟
صـــور الوهـمُ صـــداهُ نغـمًا يهـفـو حـيـالى!

* * *

أم شـذى فـجـرٍ رفـيفِ النـ ـور فى حلمِ الحـبـيـبْ؟
روحتْ أطيـــابـهُ عنى (م) شجى العـمـر الكئيبْ!!

* * *

مـا لشـعـراتكِ صـفـرًا كـرياحين الخـريفْ؟
ذابلاتٍ.. تتـهـالـ ـكنَ بمسـود[1] الشـفـوفْ!

* * *

هل شـجـاهنَّ أسى ضـرَّ (م) مـهُ برحُ الشـتـاتْ؟
فـتـهـاوينَ منْ اللهـ ـفـة - مـثلى - فـانيـاتْ!

* * *

شـاقـهنَّ الحـسنُ لم يلـ ـمحْ عليـهـنَّ سناهُ
وأسـاهـنَّ حـنـين شفَّ جـسـمى وبراهُ

* * *

(١) رباط حريرى أسود.

كم تصافينا على مفـ ـرقه عند العناق!
وترشفنا الهوى من كأسه العذب الدهاق..

• • •

وسبحنا فى ضياء فاض سحرًا من جبينة
وشدونا الشعرَ للحبْ (م) وذبنا فى رنينة

• • •

وسكبنا الفجر فى قبـ ـلاتنا طهرًا مذابا
فتطايرنا على منـ ـهله الصافى حبابا

• • •

ثم عدنا من أسىَ البيـ ـن سكارى ذاهلينا
نندب الماضى، ونهفو فى جنونِ حائرينا..

• • •

شهد الصمتُ.. لكم صلـ ـيت بالروح لطهرك!
وتهافتُ لعلى انشقُ السلوى بمطرك!

• • •

فذوتْ روحى من النجـ ـوىَ ولم تغنِ صلاتى!
وامحى شعركِ وجدًا فى سعيرِ القبلاتِ!

٥

○ أحْـزانُ الغُـرُوب ○

«وهى هذه القصيدة أمسيات حزينة كانت تحضن الشاعر فى قريته (النخيلة) على ضفة النيل اليسرى فى أعالى الصعيد»

١٩٢٤

مـاتَ النهـارُ! وهذى الشـمس جـازعـةٌ
عليـــه، تخطرُ فى دامى الجـــلابيبِ
كـأنهـا نعشُ (خـوفـو)[1] مـال مـتكئًا
على سـريرٍ بذوب النور مـخـضـوبِ
أهرامـةُ الأفقِ، يجـرى فـوق سـاحلهِ
على دم من عـيـون الشـرق مـسكوبِ
ملفـفٍ فى سـحـاباتٍ سـبـحنَ به
لشـاطئٍ فى ضـمـيـر الغيب مـحـجـوبِ

(١) بانى الهرم الأكبر.

عُصْبٌ بالشفق الباكى، ولُحْنَ أسىً

فى موكبٍ رائعِ التسيار مرهوبِ

كأنهنَّ وركبُ النور مرتحلٌ

من ساحةِ النيلِ ، محتثٌّ لتأويبِ!

راياتُ مصرَ تهادتْ كى تشيعه

بلاعجٍ من أساها جدُّ مشبوبِ!

* * *

وثورةٍ من دخانِ الكوخِ فائرةٍ

تغلى على بائسٍ فى الكوخ محروبِ

كم بعثرتْ وجَدها فى الجوِّ صاخبةً

فطار والريحَ فى شتى الأهاضيبِ

تنفستْ بضناه المرُّ شاكيةً

الام شيخٍ[1] رقيقِ العيش مغلوبِ

طبٍّ[2] بفن الثرى.. إن مسَّ قاحله

يعود ريانَ مفتنَّ التعاشيبِ

تزهو به جنةٌ لفاءُ ناضرةٌ

مخضلةُ الأيك، تذكى نافحَ الطيبِ

لكنه فى مَجَالِ الرزق مرتفقٌ

بعاثر من سواد الحظ منكوبِ!

---

(١) الفلاح المحروم.

(٢) خبير بارع.

طعامه لقمةً عفراءُ يابسةً!

والماء من أكدرٍ فى النزْ مربوبِ!

ومهدهُ! لا تسلْ إن لفهُ وسنٌ

عشُّ الهوامِ، وأبيات العناكيبِ!

كأنهُ حكمةٌ عمياءُ نائمة

فى عاطلٍ من فجاج الفكر مخروبِ

سجى الظلامُ فغطتْ فى مجاهلها

واسترسلتْ فى خيالاتٍ وتغييبِ

لا ضجةُ الضفدع المجنون تقلقها؛

فلا تلذُّ بحلم فيه مرغوبِ!

ولا الرعاة؛ إذا غنوا لسربهمُ

مروحين بإنشادٍ وتطريبِ

يغريهمُ لرقيق الشدو ذو طربٍ

من الجداء[1]، ولوعٌ بالألاعيبِ.

طوىَ المروجَ طليقًا فى مخاضرها

وعاد مبتهجًا من غفلة الذيبِ!

ولا صدىَ بومةٍ هتّافةٍ؛ نعبتْ

فلم تدعْ فى الدجى شجوًا لمكروبِ!

---

(١) جمع جدى.

ولا الظلامُ، سرتْ فى الكون؛ وحشتهُ

بهاجسٍ حالك الأطياف غريبِ

يذيعُ فى النفس أصداءً مروعةً

من عالمٍ لصحيحِ الوهمِ منسوبِ!

ولا الجنادبُ[1]؛ القتْ فى مسامعه

مناحةَ الصرْ من جوف النخاريبِ[2]!

نام الغريرُ! ونصتُّهُ[3] براءتهُ

إلى حمى رائعٍ ثرٍّ[4] الأعاجيبِ

فيه من الحلم دنيا عزَّ مطمعها

إلا على طاهرٍ عفِّ الأساليبِ

صافى السريرة من زيف الورى، ورعٍ

محصن النفس من وشىّ الأكاذيبِ،

فيه المساءُ ضحى، ردَّ الخيال له

هالاتِ عرشٍ من الأضواء مشعوبِ

والزنبقُ الذابلُ الوسنانُ، مبتلجٌ

فى صحوة الحلم، ميامنُ الجلابيبِ

تسرى به الروح فى بيضاءَ سابحةٍ

من زاخر العطر فى نفحٍ وتطييبِ

---

(١) ضرب من الحشرات يألف الظلام.

(٢) جمع نخروب وهو الشق فى الحائط أو غيره (النخر بالعامية).

(٣) رفقته.

(٤) كثير التهاويل التى تصورها الأحلام.

إلى الأمانى التى نام العثارُ بها

ونكبتْ فى حماها أىَّ تنكيبِ!

إلى الضفاف السواجى فى ضمائره

من دافقٍ فى شعابِ الحلم مصبوبِ

بودُّ لو كان فى أثباجه[1] زبدًا

تزجيه نسمةُ أسحار لتثبيبِ[2]

ولا يفيقُ إلى صحو تقلبه

مرارةُ الضنك فيه شرُّ تقليبِ!

* * *

يانغمةً فى المساطارت مولَّهةً

حيرى تدفقُ من نأى الدواليبِ!

كأنها خفقةٌ من قلب محتضرٍ

يشدو بها العمرُ فى لهفٍ وتكريبِ

ماذا شجاكِ فرتلتِ الأسى نغمًا

ورحتِ نواحةً بين المطاريبِ؟

النورُ حين ذوىَ فى الحقل ناضرُهُ

ولملم الضوءَ من تلك المحاريبِ؟

ونام فى حضن زنجى قد اتشحتْ

متونه بدجى كالهمِّ غربيبِ..

---

(١) لجج البحر وسطه.

(٢) هلاك.

أمْ نعبةٌ صرختْ من جوف كافرةٍ[1]

بالنور، تدعو له دومًا بتغريبِ؟

ما تلك إلا صدىَ البأساء تنفثهُ

أنمًا لكل طليح النفس مغلوبِ!

أمْ ضلةٌ غمرتْ حيرانَ، مضطهدٍ

محرق بلهيب السوط ملغوبِ[2]؟

ما الناسُ إلا أسارىَ قوةٍ خفيتْ

تسوقهم لردىً فى الغيب مكتوبِ!

أىُّ المقاديرِ ألقى حكمه بهمُ

ولم يجد غيرَ قلبٍ منه مرعوبِ؟

أمْ شاعرٌ غره فى دهره أملٌ

فعاد لهفان من يأسٍ وتخييبِ؟

يسرى من الشجو مخطوفًا بلوعتهِ

كشاردٍ من طيوفِ الحلمِ منهوبِ

ويرمقُ النورَ، لا يأسى لغرقتهِ

ولا يهيمُ بطيفٍ منه مكذوبِ..

فنوره ومضةٌ للروح خاطفةٌ

تنساب لماحةٌ من جفن محبوبِ

---

(١) اليومة.

(٢) متهالك فى مشيته من شدة الإعياء.

نَشْوَى ترفُّ على إحساسه ارجًا

يروْحُ العمرَ من بؤسٍ وتعذيبِ!

سيان عندى دجى غيمانُ فى كبدى

ولمحُ فجرٍ بتاج النور معصوبِ

نبتُّ فى بيئةٍ للفضل جاحدةٍ

فمما باوطارها لى أىُّ مطلوبِ

حسبتنى من أساها طائرًا غردًا

يلقى أهازيجهُ فى جوفِ مجدوبِ[1]

لولاَ هواها وأنى فى خمائلها

نموتُ ذا خافقٍ للشدو موهوبِ

حطمتُ قيثارتى زهدًا بسامرها

ولا أسيتُ لحظٌ فيه مسلوبِ!

اشدو وأذن الورى عنى مغلفةٌ

فيا لضيعةَ إنشادى وتطريبى!

* * *

حزينةٌ أنتِ يا روحى؟ فيالهفى!

كم هاج حزنك إيلامى وتعذيبى!

تلك الأناشيد قد سلسلتِ رائعها

أسوانَ[2] يذكى صباباتى وتشبيبى

---

(١) قفر موحش.

(٢) من الأسى.

عفَّ الهـــــوى، لم يرغْ فى لحنه وزرٌ

ولم يدنس بإثمٍ فـــيـــه أو حـــوبِ[1]

فـــأى ذنبٍ جنى حـــتى يشـــيب أسىً

وأنتِ ريانةٌ مـــاستْ على الشـــيب؟!

إن كـــان فـــتنتـــه بالنيل مـــصطخـــبًا

مـــصـــفقَ اللـــجِّ، وكَّـــافَ الميـــازيب[2]

تحكى ســـفـــائنه فى الليل ســـاريةً

عـــرائسَ الحلم فى مـــهـــد الرعـــابيبِ[3]..

أو كـــان تشـــبـــيـــبـــه الداوىِ على وطنٍ

مـــذللٍ فى يد الأعـــداء مـــغـــصـــوبِ،

وشـــدوهُ بالهـــوى.. ســـحـــرًا بفـــاتنةٍ

مـــحتْ شـــقـــاوةَ قلبٍ فـــيـــه مـــعطوبِ..

فـــيـــالـــه مـــأثمٌ راحتْ براءتهُ

تنصنى فى الورى طهـــرًا، وتســـمـــو بى!!

○

(١) خطيئة.

(٢) فياض الينابيع.

(٣) العذارى الناعمات.

○ شاعِرُ الفَجْر ○

المؤذن:

«في ذلك الصوت العميق الذي يهتف في صمت
السحر من الضباب والمآذن تتدفق روحية الشرق،
ويهتز الجو بأشباح وطيوف شعرية مفاقة»

١٩٣٤

وشاعرٍ في الفجر يسبي النهى
بسورةٍ جلت عن المائمِ
خياله من سدرة المنتهى
ولحنه من وتر الأنجم
عفُّ الترانيم... إذا نصها
كادت تضيء الطهرَ فوق الفمِ!

* * *

معنبرُ اللحن، إذا ما شدا
ورجع الأنغامَ في فجرهِ!

تخـــاله مـــجـــمـــرة، والصـــدى

فـــوحَ التـــقـــى ينســـاب من ثغـــرهِ

وســـائرَ الكون له مـــعـــبـــدٌ

أترعـــه الإيمـــانُ من طهـــرهِ

* * *

النورُ ـ لما صـــاح فى جـــوهِ ـ

هلَّل بالأضـــواء من فـــرحـــتـــهْ

ولاح كـــالنشـــوان من شـــدوهِ

يرقص من بشـــرٍ على صـــيـــحـــتـــهْ

كـــتم ســـرُّ الشـــمس، لم يروهِ

إلا لـذاك الصـبِّ، فـى نشـــوتـهْ!

* * *

والـديـكُ لما رنَّ فـى سـطـحـــهِ

صـــوتٌ نـديُّ اللـحـن، زاكـى النـغـمْ؛

كـــبِّر حـــتـى خف من صـــدحـــهِ

مـــن نـام فـى الـكـوخ ومـن لـم ينـمْ

ورتلَ الأنغـــامَ فى صـــبـــحـــهِ

يطرى بهـــا النورَ، ويهـــجـــو الظلمْ!

* * *

تلكَ النجـــــومُ الغـــــرُّ، لما رنا

وطيـــرُ النجـــوىَ لهـــا نغـــمـــةْ؛

حـــبـــاتُ نور ضـــافـــيـــاتُ المنا

جـــــوهرها الله له سُبْحـــــةْ

وقـــــال: يا هـتّـافُ إنى هنـــا

أسـمـعـهـا منكَ مُنىً عـفـةْ.

* * *

جنَّحتهـــا بالطهـــر، حـــتى غـــدتْ

أزكى من الـزهـر غـــــذتهُ الـنـطـفُ

ريانةَ الأصـــــداءِ، إمـــا شـــدتْ

جلّى لهـــا العـــرشُ رخىَّ السُّجُـــفْ

فـــحـــومتْ فى قـــدســـه، وارتوتْ

من منبع الرحـــمـــة عـــذبَ الرُّشَفْ

* * *

هذى الطيـــورُ البـــيضُ قـــد رفـــرفتْ

تعـــانق التســـبـــيحَ من مـــســـجـــدهْ

والســـبـــحـــةُ العـــذراءُ قـــد طوفتْ

كـــــانهـــــا نـاسكةٌ فى يدهْ

ظمـــاى إلى الإيمـــان، قـــد أشـــرفتْ

تفنّى من الشـــــوق على مـــــوردهْ

○

○ ملاك لا شيطان ○

يا ملهمي الشعرَ لم تلمحْ بخافقه
إلا روائعُ من طهرٍ وإيمانِ
لأنتَ طيفُ ملاكٍ رفَّ في خلدي
من السماواتِ، لا ميعوثُ شيطانِ!!

* * *

○ على باب الهَيْكَلْ ○

١٩٣٥

جـــئـــتكَ يا هيكلُ بعـــد النوىَ
ألقى تسـابيـحىَ فى مـعـبـدكْ
قـــربانىَ الروحُ! أضـــحى بهـــا
فى اللهب الضـــاوى على مـــوقـــدكْ

* * *

ألقى النـــسـابيحَ التى رفـــرفتْ
كـــالحلم فى مـــهـــد الهـــوى النائمِ
تنســـابُ من قلبى أناشـــيـــدها
كـــالعطرِ من فـــجـــرِ الربى الحـــالمِ

* * *

من وحيكِ العالى ترشفتها

ومن سنا محرابكَ الأقدسِ

أزكى من الريحان فى روضةٍ

رفَّ عليها ضاحكُ النرجسِ

* * *

وشَّيْتها من كل ريانةٍ

ماستْ على النيل بأعطافها

ترشف خمر النور من هالةٍ

طفاحةٍ فاضت بأفوافها

* * *

وصغتها أنشودةً عذبةً

تنساب سحرًا من فم البلبلِ

هتافةً طافتْ رحابَ الضحى

فهاج منها مسمعُ الجدولِ

* * *

جاشت بها نارُ الهوى.. وارتوت

من مدمعى الهامى، وغالى دمى

وذوبتُ نفسى بالحانها

وأترعتها لهبًا من فمى!

* * *

يشجي الليالي لحنها إن شدا

ويذهل الأكوانَ إما صدحْ

ويشملُ الدنيا فلا تفتدى

إلا وقد عبَّتْ رحيق القدحْ!

* * *

عذريةٌ جنتْ بعذريةٍ

حجبتها في ستر المنسدلْ

جاءتك تشكو من عذاب الهوى

ملهوفةً كالشارد المختبلْ

* * *

فارفعْ لها الأستارَ يا هيكلي

فإنها من ظمأ فانية

ما في حياتي غيرها قربةٌ

فداءُ تلك الفتنة الخافية!!

○ العذراءُ الشهيدة ○

«غريقة، مقتولة الصاعدين، سابحة بفتنتها المقتولة على أكفان الموج»

١٩٢١

راحتْ بلا زورقْ.. تنسـابُ فى الماءِ.. كـأنهـا مـوجـةْ!
فى صـمـتـهـا تخـفـقْ.. لحنًا بلا نـاءِ.. أنشـودةُ اللجـةْ!
تقـــول: يا جـــانى!.. هـزأتَ بالموتِ.. وأنتَ لا تدرى
فـصـفـتُ الحـانى.. فى سكرة الصـمتِ.. من عـالمٍ سـحـرى!
أرثى بهـا عـذراءْ.. منهـوبةَ العـمـرِ.. كـالحلم الغـافى
طاحتْ بهـا الأنواءْ.. فى ثبجِ البـحـرِ.. كـالزبد الطافى!

* * *

تمـــرى إلى سـيـفِ[1].. فى مـائجِ الغـيبِ.. مـغلفِ السـرْ
كـخطرةِ الصـوفى.. فى سـورةِ القلبِ.. نَشْوَى بلا خـمـرِ

* * *

(١) ساحل.

أكفانها الطهرُ.. ونعشها النسمُ.. وقبرُها لا قبرْ
لوْ يعقلُ الزهرُ.. كفنها الكمُّ.. ولفها فى العطرْ!

* * *

يا حسنُ ما بالكْ.. مكبلَ الروحِ.. سهوانَ كالطيفْ؟
لم تغنِ أسدالك.. عن ستر وضاحٍ.. من جسمك العفْ!

* * *

خصلاتك السودُ.. منثورةُ الشعرِ.. يلهو بها الموجُ
كأنها خودٌ.. يندبن فى ذعرٍ.. ما غيبَ اللجُّ

* * *

ودارةٌ بيضاءْ.. لماحةُ الومضِ.. رفتْ على طهرك
كأنها روعاءْ.. من حلمٍ فضى.. مازال فى فكرك

* * *

إخالها وحيا.. من موطنِ الحورِ.. جاء ليرثيكِ
قد صور الدنيا.. طيفًا من النورِ.. هفَا ليفديكِ!

* * *

بالرفق يا نوتى.. سرْ فى حمى الحسنِ.. واهدأ بمجدافكْ
واصدحْ بعبهوتٍ.. من ناعمِ اللحنِ.. يندىَ بزفزافكْ

* * *

وأنتِ يا نسمةْ.. إنْ طفتِ فى الفجرِ.. بالراقدِ الهانى
فطيّرى لثمةْ.. منْ شفةِ الزهرِ.. للمفرقِ الفانى

* * *

وسلسلى الأندادْ.. من أعـــــينِ الوردِ.. دمع الأسىَ المرّْ
وابكى على عـذراءْ.. منبـوذةَ القـدّْ.. فى صـاخبِ القـصرِ[1]

* * *

ذاويةَ الرسمِ.. كـــالحلمِ الناعسْ.. فى خـــاطرِ الليلِ
تعجُّ فى وهمى.. من جـــوها الهـــامسْ.. روائعُ الهـــولِ

* * *

لأنتِ فى فكرى.. يا فـتنةَ القـيـثـارْ.. طيفٌ سـبى الخـاطرْ
ينساب فى شعرى.. مستغلقَ الأسـرارْ.. كهمسةَ الساحرْ!!

○

(١) الماء الغزير.

○ البومة والملحد ○

وشيخةٍ عابسةٍ في الضحى
غبراءَ تحكي سحنةَ الملحدِ
كلاهما في غيه خابطٌ
ضلَّ الهدى - جهلا - ولم يرشدِ
فهنَّ من الأشواء في بلجةٍ
ضحياءَ، أبهى من سنا الفرقدِ
النور ضحاكٌ على وجهها
ضافٍ بوهدِ الأرض والأنجدِ
لكنها عمياءُ في حالكٍ
من غيها ممتقعٍ أربدْ
وهوَ من الايمان في هالةٍ
قدسيةٍ روحيةِ المشهدِ

لكنه أعمى، غواه الهوى
فضلٌ من جهلٍ ولم يهتدِ!

* * *

الحمدُ بالنورِ وكلُّ الورى
لولاه ما خفقوا إلى موردِ
حياتهمْ منْ لمحهِ ومضةٌ
لولاه لم تخلقْ ولم توجدِ
إنّ عزُّ فى الدنيا دليلُ الهدى
فحسبكِ اليوم تقى الهدهدِ[1]

○

(١) يرى الشاعر فى الهدهد وداعة تشبه سمات النملة.

ثورة الضفادع

«في أصغر مظاهر الطبيعة ما ينبت غراس الحكمة العليا في أرواح المتأملين».

هاجها في الليل صمتٌ غمرتْ
كلَّ نفس فيه آلامُ الشجونْ
وضفافٌ غارقاتٌ في الكرى
حالماتٌ بأسى الريف الحزينْ
نام فيها الموجُ، حتى خلتها
خاصمتْ كل نسيمٍ في الدجونْ
وطريقٌ أخرسٌ، ما همستْ
في ثراه خطواتُ العابرين
وصخورٌ لم تزلْ راصدةً
في محيط الكون ملاّحَ السنينْ
طال في اليمّ ـ ضلالاً ـ سبحهُ
فمتى ترسو على الشط السفينْ؟!

ونخـــيلٌ فـــضـــحتْ اظلالهُ

فى ثنايا الماء طهـــرَ الســـاجـــدينْ

ونجـــومٌ بعـــثـــرتْ اضـــواءها

تكشفُ الأســـرارَ عن ســـردقـــينْ

فـــقـــدته بين لمحٍ وسنا

ودنتْ تبـــحثُ فى مـــاء وطينْ!

* * *

فـــغـــدتْ تصـــرخُ فى جـــوف الدجى

صـــرخـــاتٍ هتكتْ ســـتـــر السكونْ

خلتـــهـــا والليل أعـــشى هابطٌ

يصـــداها فى غـــيـــابات الظنونْ!

أرغنَ الشـــيطان يشـــدو ملقـــيًا

ثورة الأنغـــــام فى وادى المـــنونْ

* * *

يا ابنةَ الطين! لقـــــد ملَّ الدجىَ

لغطًا من فـــيك مـــجـــهـــولَ الرنينْ

ونقـــيـــقًا أزعـــجتْ ضـــوضـــاؤهُ

أذنَ الكونِ وســـــمعَ النائمـــينْ

أعـــجـــمـــيًا حـــيـــرتْ لكنتـــهُ

شـــاعـــرَ الفـــصـــحىَ بلحنٍ لا يبـــينْ!

جـــاوبتـــهُ فى الدجى صـــافـــرةً

من بنات البـــوم صـــاحت فى الوكـــونْ

تتـــحـــدى الليلَ فى رهبـــتـــهِ

لوْ يجلى غـــامضَ السـر الكمـــينْ

أىُّ مـــعنى فى صـــداها كـــامنٌ

طيـــرت حكمـــتـــهُ العـــقل الرزينْ؟!

لم تغـــفى.. والدنا فى صـــحـــوةٍ

ثم تصـــحـــو وبنوها هـامـــدونْ؟!

لمَ أفنى النورُ من أعـــيـنهـــا

صـــولةَ النور؟، وردتهـــا الدجـــونْ؟!

سكنتْ أغـــبـــرَّ مـــهـــجـــورَ الحـــمى

مكفـــهـــرَّ اللمحِ كـــالطيفِ الحـــزينْ

ولديهـــا كلُّ روضٍ مـــونـــقٍ

ريقَ الأنداءِ، ضـــحَّاك الجـــبـــينْ

أى ســـــرٍّ فى البلـى هـامـت بـه

غـــاب فى طيـــاته لا يســـتـــبـــينْ؟!

* * *

خـــبـــرى عنه، فـــقـــد ضلَّ الورى

كنهـــه الخـــافى، وظلوا حـــائرينْ

وسلينـا.. لمْ تشـــامعنا بـه؟

إنْ مـــا تلقـــين غىٌّ وجنونْ

هذه الأسدافُ من سدل الدجى

ضللتْ أهوالُها لحظَ العيونْ

كم شقيٌّ باتَ في أحضانها

خافتَ الآهات، مكتومَ الأنينْ!

هل تسمعتِ أساهُ فامَّحى

منكِ صبرٌ كان في القلبِ كمينْ؟

أم توجعتِ لدنيا كلها

صخبٌ داوٍ، وزيفٌ وفتونْ؟

وسرابٌ للأماني خادعٌ

كم خبتْ فيه حظوظُ الآملين!

وصراعٌ فجر الباغي به

وانتشى من دم مظلومٍ غبينْ

وتقيٌّ يا شرُّ ما راغوا بها

في ضمير الدين من إثم مبينْ!

الحدوُا، حين تهادوْا[1] للورى

ولعين الله لاحوا فاجرينْ

كرموا الجاه ولو مرّ على

طهرهم يومًا بما يندى الجبينْ!

---

(١) تظاهروا بالهدى رياء.

ضـــعت ياذا العـــقل فـــيـــهم حـــيـنمـــا

عـــــاد ذو الجـــــهل بحظّ النابغـــــينْ!

• • •

مـــهـــدكِ الماءُ، تهـــادىٰ فـــيـــضـــه

من رضـــاب النيل، سلســـال العـــيـــونْ

خـــاض فـــيـــه النجمُ، ظمـــآنَ إلى

رشـــفـــةٍ من خـــمـــرِ الصـــافى المعـــينْ

وعلى شطك عـــشـــبٌ ناضـــرٌ

قـــصفُ الأعـــواد، مـــيـــادُ الغـــصـــونْ

عـــانقَ (القثّـــاءُ) فى مـــيـــشـــائه[1]

نـــوْرةَ (البـــطـــيـــخ) فى لـــطـــفٍ ولـــيـــنْ

ورنـــا (العبّـــادُ)[2]، حـــيـــرانَ إلـــى

مـــغـــربِ الشـــمس بشـــوقٍ وحنينْ

فـــارقـــتـــه فـــغـــدا مكتـــئبًا

مطرقًا يحلمُ بالضـــوء الفتـــونْ

والنســـيمُ الغضُّ يســـرى ناعـــمًا

كـــالمنى تهـــفـــو بمهـــدِ الحـــالمينْ

---

(١) الرمال الناعمة.

(٢) عباد الشمس.

○ أنا ظمآن ○

أنا ظمآن! فهاتى خمرَ عينيك الشَهيّةْ
أنهلينى سحرها السا مىِ وروّى شفتيّه
واسكبى روحك فى رو حى بكأس الأبديةْ
قبل أن تغربَ شمسى بين أطباق المنيةْ!
خمرةٌ من هالة النو ر بعينيكِ رويّةْ
تمسح الالام من دنـ يا بآلامى ثريةْ
وتنسّينى ضنَى عمـ رى وأيامى الشقيةْ!

* * *

أنا ظمآن! فهاتى خمر عينيك الشهيةْ
قبل أن تغربُ روحى فى سحابات المنيةْ!

○

○ خفقات ○

يامُتْرعَ الأقداحْ من ريقةِ الخمرِ!
حطِّمْ كئوسَ الراحْ واشرَبْ طِلا شعرى
فهىَ على الأرواحْ أندى من العطرِ!

* * *

عصرتها فى الفجرْ من قلبىَ المجروحْ
نفاحةٌ كالزهرْ هفّافةٌ كالروحْ
خفّاقةٌ كالعمرْ فى ضجّةِ المذبوحْ!

* * *

تهفُو على الآذانْ كالحلمِ فى المهدِ
عفيفةَ الألحانْ قدسيةَ الوجدِ
أزكى من الريحانْ فى حلّةِ النّدّا

* * *

خلستها سحرا ... من لحظها النعسان..
رشفتها خمرًا ... من ثغرها الريانْ..
طفاحةً طهرًا ... كالزنبقِ الفيحانْ..

• • •

عذريةَ الإلهامْ ... ياطهرَ موحيها!
قلبٌ على الأيامْ ... يشدو الهوى فيها
ويسكبُ الأنغامْ ... في الوحيِ ترقيها!

• • •

يانَغمةَ الشعرِ ... في خافقيِ الوَلْهانْ
كالحلم السحرى ... في الشفقِ الوسنانْ!
في الكون لاتسرِى ... يوماً إلى إنسانْ..

• • •

يكفيكِ أن تخلدْ ... ألحانكِ البيضاءْ
في ساحةِ المعبدْ ... على فمِ الحَسناءْ!!
للشاب إذ تنشدْ ... من ثغرها الأضواءْ!

○ النـاى الأخضـر! ○

«الطفولة الريفية فى لهوها روح خاصة، من أمتعها عود البرسيم الأخضر الذى يلهو به الصبيان خلف السوالم الرائعة فى الحقول»

١٩٣٤

زمـــارتى فى الحـــقـــول كم صـــدحتْ
فكدتُ من فَرْحـــتى أطيـــرُ بهـــا!
الجـــدىُ فى مـــرتعي يراقـــصـــهـــا
والـنـحـلُ فـى زيـوتـى يـجـــــاوبهُا
والضـــوءُ من نشـــوةٍ بنغـــمـــتـــهـــا
قـــد مـــال فى رأده يلاعـــبـــهـــاُ
رنا لهـــا من جـــفـــون ســـوسنةٍ
فكاد من سكرةٍ يخـــاطبُهـــا..
نفـــخت في نايهـــا فطَّربني
وراح فى عـــزلتى يداعـــبُهـــا

يغـــــازلُ الروحَ من مـــــلاحنهِ

بخـــفـــقـــةٍ فى الضـــحي توائبـــهـــا

سكرانُ من بهـــجـــة الربيع بلا

خـــمـــر به رُقـــرقتْ ســـواكـــبـــهُا

يهـــفـــو إلي مـــهـــدِهِ بمائســـةٍ

من غضْ برســـيـــمـــهِ يراقـــبـــهـــا

صـــبـــيـــةٍ فـــوَّفـــتْ غـــلائلهـــا

وطـــرَّزت بالنـــدى جـــلابيـــهـــا

واشـــرقتْ فى الصـــبـــاح لاهيـــةً

فكُلِّلتْ بالسنا ذوائبـــهـــاُ

غنَّيتُ فى ظلهـــا .. فـــهل ســـمـــعتْ

لحنى وقـــدْ أُرعِشتْ ترائبُهـــا!

أم زارهـــا فى مِهـــادها نَسَـــمُ

وراحَ من فـــتـــنةٍ يجـــاذبُهـــا؟!

○

○ زهـرتى ○

١٩٣٥

ولـى زهـرةٌ طـيَّبتُ مـن عـطـرهـا دمـى
وضـمَّخْتُ روحى من شـذاها وانفـاسـى
على شـاطئ من فـيض روحى تفـتـحتْ
وراحتْ تعبُّ الريَّ من نبع إحـسـاسـى
مكللةً بالنور تحـسبُ وشـيـهَا
وميـضاً من الصهـباء يشـرقُ فى كاسِ
تميسُ على قلبى إذا هزَّها الهـوى
فـتـفـضحُ بالإدلال ريانَـةَ الأسِ
غـذاها السنا من زاخـرِ اللمحِ فـاغـتـدتْ
تبلُّـجُ فى هالاتهـا.. فـتنةَ النـاسِ
كـأنى بهـا نفحٌ من الخلد روَّحـتْ
أفـاويحـهُ عنى ضنىَ عـمـرىِ الآسى[1]

(١) الحزين.

بروحى من أنفاسها عطرُ جنةٍ

ترامتْ بحلمٍ رائعِ الطيفِ مشرقِ

وانداءُ فجرٍ اسكرَ الروح نسمةُ

وطهّرَ بالأعطارِ إثمى وأرجاسى!

بروحى حنانٌ شعَّ من جنباتها

كما فاض فى جنح الدجى ضوء نبراسِ

رشفتُ نعيمى نشقةً من عبيره

وشردتُ الامى على نفحهِ الأسى!!

○ أنـــا..○

..خـــــفْقـــــةٌ من أرغنٍ مُنحطمِ

غـــيَّبتْ أصـــداءها ريـــحُ العَـــدَمْ

نَقَرتهُ نســـــمـــــةُ تائهـــــةٌ

فى كـــــرَى ليلٍ دجىٍّ مـــــرتطمْ

فـــشـــداها.. ثم أغـــفى! فـــسرتْ

فى الدجىَ حـــــائرةٌ بين السُدمْ!!

○

○ راهبة الضحى!○

١٩٣٤

الفراشةُ

وراهبـــــــــةٍ فـى الـضُّحـى أَوقَدتْ
من الـزهـر مَجْمـــــرةً ذاكـــــيـــــةْ
إذا فـــاح منهـــا العـــبـــيـــرُ الندىُّ
وطـوَّف فـى الأيْكـةِ الـضَّاحِيـــــــــةْ!
تُصلىْ.. فـــتـــركَعُ فـــوق الغُصـــونِ
وتســـجُدُ فى مـــعـــبـــد الرابيَة!
وتصـــغى لهـــمسِ أطـــارَ الشـــعـــاعُ
ترانيـــمـــهُ فى الربَى الصـــاحـــيـــةْ
خـــيـــال الندى فى أناشـــيـــده
تحـــدَّر من لمحـــةٍ ضـــافِيـــةْ

يسبحُ من فتنةٍ بالضياءِ

ويغنىَ بلمعتِه الزاهيةْ!

كأنى به شاعرٌ فى الأثير

يغنى لمعشوقةٍ خافيَةْ

أحال الضحى روحها نغمةً

وسلسلها قطرةً فانيةْ!

الا يا ابنَةَ الزهر.. كيف ارتوتْ

بروحكِ أعطارُه السارية؟

وكيف التفتْ فى ضمير الشذَىَ

طيوفكِ بالنفحةِ الهامية؟!

لقد نادم البلبل المستهامُ

ورودك بالغنوةِ الدامية

فهل ساورتْك شجونُ الهوىَ

فهمتِ باطيافها السامية؟

... ...

تعالىْ نَطِرْ فى سماءِ الخيالِ

ونهفوْ بجنتِه النائية

بعيداً عن الكون، حيث المنى

ترفُّ بأظلالِه هانية

وحيثُ الشذىَ من أزاهيره

أفاويحُ من حلمٍ طافية

ونبرُ الصدى من مطاريبهِ

طيوفٌ على أيكهِ شادية

إذا ظمئتْ روحنا نرتوى

بخمرٍ لآلامنا آسيه

مرقرقةِ الكأسِ من هالةٍ

من النور طفاحةٍ طامية

تروح عنا شجونَ الحياةِ

وتطفى لظى الكبدِ الواريةْ!

هنالك لاأدمعٌ ثرةٌ

تهاوى، ولامهجةٌ شاكيةْ

ولاعالمٌ بالأذى صاخبٌ

ودنيا بأشباحها زاريةْ

ولازهرةٌ تنتشى فى الصباحِ

بكأس الندى الحلوةِ الصافيةْ،

ويأتى المساءُ بأنوائهِ

فتسقى أعاصيرهُ السافيةْ!

ربيعٌ حياة الهوى كلها

بأفيائه البرةُ الساجيةْ

فهيا نهلل فى ظلّها

فنطفُو بغدرانها الجاريةْ

ونسبحُ فى جوِّها كالخيالِ
يرفرف فى مُهجةٍ غافيةْ
وننسى الدُّنا وأهاويلها
وآلامها المرةَ العاتيةْ
ونُغنى أسانا بأنداثها
شعاعاً مع النسمة الهافيةْ
أغنىّ لكِ الحبُّ.. ياطهرُهُ!
ويافدسَ أوطاره الساميةْ!
خيالٌ أساقيكِ فيه الهوىَ
طيوفاً عذاباً بالحانيةْ
تنسيكِ أحلامها فى الصباحِ
ترانيمَ نحلتكِ الشاديةْ
ومسراكِ فى ناعمات الربىَ
هياماً بأضوائها الضافيةْ
ولهوكِ فى مستهلِّ الضحىِ
بسنبلةِ الربوةِ النامية
تناغيتها بالرفيفِ الوديعِ
فتلقاك من خجلٍ ساهيةْ
كعاشقةٍ فترتْ جفنها
حياءً من القبلةِ الصاليةْ

* * *

أعابدةَ النور.. ما للسِنا

أطارَ تسابيحك الصابيةْ؟!

وحجَّبها في ضميرِ الضحىَ

سرائرَ في جيبه خافيةْ..

أصابِئةٌ أنْتِ تبغي الهُدَى

ضلالاً بشمسِ الربى الحاليةْ؟!

تروحُ وتغدو على ضوئها

وتمرحُ في ظلها لاهيةْ

بسقطين[1] رفًّا كحلم الصباحِ

تناجيه سوسنةٌ راويةْ

... ...

صلاةُ من الصمت مكبوتةٌ

بروحكِ هفافةٌ نازيةْ

أفيضي على مهجتي طهرها

وروِّي بها غُلَّتي الصاديةْ

فإني إلى سرها ظامئٌ

لعل بها رشفةً شافيةْ!

حياتي من البؤس ملهوفةٌ

وعمري من الحزن في غاشيةْ

---

(١) جناحين

وروحي تخـــبطُ في ســـدفـــةٍ

من الهمِّ حـــالكةٍ داجـــيـــةْ

فـهـيـا خـذي فلكهـا واسـبـحي

على لجةٍ في السنا قـاصـيـةْ!!

○

○ كلمة ختام ○

أغانى الكوخ

اعتاد المؤلفون أن يصدروا كتبهم بأقلامهم أو بأقلام من يقدمونهم للقراء بمقدمات يكال فيها الثناء كيلاً يخرج بها من الدراسة الفنية التى يرمى بها إلى توجيه القارئ لما فى مادة الكتاب من مذاهب أو رسالات أدبية، إلى التقريظ الذى يفسد على القارئ طريقه فى المطالعة واستقلاله الذاتى فى فهم الروح السائدة فى الكتاب، وكثيراً مايرفع الحكم الأدبى فى مقدمة كتاب حتى إذا اصطدم القارئ بمادته فوجئ بتناقض بين الحقيقة الأدبية التى يطالعها والأحكام المموهة التى شهدها فى تقدمه المؤلف!

وقد رأينا أن تقدم مادة الديوان نفسها للقارئ دون أن نمهد لها بشئ حتى لايصل إلى دراستنا هذه إلا بعد أن يكون رأيه الأدبى، فيطالعها بروح مستقلة تهيئه لنزاهة الحكم واستواء الرأى!

لم تكن الروح التى أوحت أغانى الكوخ فيما طالعت من شعر الطبيعة بهذا الديوان، وليدة عام أو عامين أو أكثر، ولكنها فى الحقيقة وليدة شباب كامل حضنته الطبيعة فى ريف مصر منذ الطفولة اللاهية إلى عهد قريب تغلغلت به

روحى الشابة فى جميع مظاهر الطبيعة وأسرارها حتى امتزجت بها الامتزاج الذى أورثها الحنين الدائب إلى تلك الحياة الهادئة بين الحقول المصرية الممرعة، والقرى النائمة على ضفتى النيل الزاخر، وخلفت فى دمى الشوق الملح إلى الحياة بين رباها وأزهارها؛ ونحلها وأطيارها، ونخيلها الساهم فى سكون الضحاء كأنه معاصم نساك تطير الدعوات للسماء، وأكواخها البريئة التى تشركهم فيها الدواب ودواجن الطير. وتقاسمهم شظف العيش وبؤسه فى حياتهم الطبيعية التى لم تخرجها عن القنوع والغبطة تلك النزعات التى تلتهم بها المدينة عيشها التهاماً فى تتاحر ماتت به كل معانى الرحمة والتعاطف بين الأسرة البشرية المتحضرة!

وقد حفزتنا لإظهارها الرغبة فى تسجيل أول باكورة فنية لفترة خاصة من العمر، وروح التشاؤم السائدة فى النقد الحديث بالشعر ومستقبله وبوجه خاص بشعر الشباب الذى غلبت عليه المسحة التقليدية المحضة، والرخاوة والضعف فى معانيه وأساليبه، مما يرجع إلى عدم التركيز الفنى فى الاستعداد الطبيعى وضعف الطاقة الشعرية فى التعبير الدقيق الصادق عن الإحساسات المختلفة لكل ما يخالج نفس الشاعر من المرائى والوجدانات المنعكسة فى نفسه، والتهافت على الشهرة من غير زاد فنى يدعم به الشاب محاولته الظهور فى المجتمع، مما أغرى الكثيرين إلى النظم الجاف فى كل مناسبة أقل ماتوصف به أنها بعيدة عن التأثير فى إحساس الناظم وشعوره فلا يستطيع أن ينتج فيها غير كلام غث، ساعد على رصفه فى قوالب موزونة تكرار المحاولات فى محاكاة الشعر القديم والسطو على صياغته وأفكاره، ومهما بلغت به الإجادة فى السبك فهو خاو متهالك لنضوب الروح وجفاف الطبع فى مادته، وقلما تراه إلا فى صور فاسدة يشوبها النزوع إلى العامية التى جر إليها عدم الاحتشاد للشعر بطبع فطرى، واستعداد قوى، واطلاع عميق، وتأمل فى الفنون المختلفة والتشرب بروحها، وفى طليعتها الشعر!

وإنا نلقى تبعة هذا التشاؤم من النقاد والأدباء عليهم هم أنفسهم لإفساحهم صدر المجلات والصحف لنشر النتاج الشعرى الغث، مغرون بالملق والزلفى التى

يقوم بها نفر من الشباب مغرورون أو مغرر بهم ممن لايميزون الشعر رديئة من جيده، وهم الذين لم يوهبوا ذوقا فطريا يسعدهم بعد الوقوف على أسرار الشعر وروائعه باستقلال فى الرأى الأدبى يصوب أفكارهم للنقد الحكيم، فتراهم يهللون كل تافه مسرفين فى المحاباة التى تختفى فى ظلها أصوات الموهوبين الذين يختبئ فنهم من الجحود إلى حين يكتشفه الزمن بعد انقضاء حياتهم، كما حدث ويحدث لكثير من عظماء العالم الذين يعبرون الحياة فى صمت ممض وألم من عدم التقدير، حتى إذا قضوا شف بيثاتهم ندم على عقوقهم لهم ولات حين مندم!

وهذا هو الشاعر الإنجليزى «كيتس» يبلغ به التبرم من بيئته التى أضناه جحودها إلى أن يوصى صديقه «سيفرن» قبل وفاته بأيام قلائل قائلا له:

«فلتكتب على قبرى: هنا ينام من نقش اسمه على الماء..!!» تلك الكلمة التى يحس فيها بتلاشى كل آثاره شاعرٌ عبقرى شهد له بعض كبار النقاد فى عصره بعظمة ممتازة فى فنه الشعرى رغم وفاته فى السادسة والعشرين من عمره!

وكلنا يشعر بحياة الضنك والبؤس التى كابدها «حافظ» شاعر النيل، والجحود الذى قوبل به حيا وميتاً..! حتى نفث شيئاً من آلامه متبرما بشعره بحياته وبيئته فقال:

حطمتُ اليـراعَ فـلا تعـجـبي ... وعـفتُ البـيـانَ فـلا تعـتـبي

فـمـا أنت يامـصـر دار الأديب ... ولا أنـتِ بـالـبـلـد الـطـيـب!

والطبيعة فى كل زمان ومكان تأسر مشاعر الإنسان وتملك عواطفه فيندمج فيها بآلامه وآماله، وكل إنسان فى الحياة شاعر بالجاذبية الخفية بينه وبينها إلى حد ما، غير أن هذا الإحساس بالرابطة القوية بين النفس البشرية وبين الطبيعة يتفاوت عند الناس حسب استعدادهم وقوة إدراكهم الفطرية؛ فإحساس الرجل العادى الذى لم يوهب شعوراً كاملا يستطيع أن يترجم بوساطته عن خفايا

التجاوب بينه وبين مايشاهد من صورها المتباينة، يختلف كل الاختلاف بل ينقص نقصاً كبيراً يصل به إلى حد التلاشى بالنسبة إلى إحساس الشاعر الذى وهب قوة عليا تمكنه من تصوير شعوره إزاء الطبيعة والترجمة عما يخالج نفسه من أثر الاندماج فيها، فهو يحس بكل ماتتحمله هذه الكلمة من معان، حتى لقد تمتزج هذه الأحساسات فى نفسه فيترجم عما يراه بعينه يسمعه، وعما يسمعه بأذنه بنظره، وهذا مايعبر عنه بمزج الأحساسيس ويظنه بعضهم لونا جديدا لا عهد للشعر العربى بمثله، وأنه وليد الآداب الأجنبية أو الابتداع الجديد فى الشعر، ولكن المطلع على أسرار الشعر العربى يرى، سبق العرب به، ولابن حمد يس مثلٌ فى ذلك حين يصف الخمر:

حمراءُ تشرب بالأنوفِ سلافها لطفاً وبالأسماع والأحداق

فانت ترى أن الشاعر قد اندمج بشعوره اندماجاً كلياً فيما وقع عليه بصره، وأحس إحساساً عاما بعيد الأثر، أعمق وأدق من إحساس النفس العادية.... فالفلاح يعيش بين أحضان الطبيعة طول يومه وتغمره بكل مظاهرها، من دبيب الحشرة السارية بين الغصن والورقة الملتفة عليه إلى تموج الشعاع فى عينيه على الحقول البسيطة، ومن زقة الفساد الهامسة فى راد الضحى بين يديه إلى نعيب البومة فى جنح الظلام، وأنين الدولاب الصارخ فى الفضاء، ومن همسة الجدول مع السفير إلى الموج الهادر على شط النهر... ولكنه مع كل ذلك لايصل به إحساسه بتلك المظاهر إلا إلى أنها وسائل لمنفعته الخاصة؛ تهتز السنبلة فى مزرعته فيهتز فرحاً لأنها ثمرة من ثمار عمله، وتئن الساقية فى ربوته فيطرب لها لأن من دمعها رى نبته وسقيا غراسه! وليس كذلك الشاعر المتأمل الذى يحس إحساساً ينفذ إلى ماوراء تلك المظاهر التى فتن بها الفلاح فتنة عابرة وأحس بها إحساساً مجرداً، فالشاعر والطبيعة روح واحدة ممتزجة؛ تصفر القبرة فكانما تسلسل روحه فى صفيرها وتنوح الساقية فترجع له أصداء الآلام الإنسانية، ويرى فى ذلك الثور المستعبد الذى يلهبه الفلاح بسوطه حتى يمسه

القلوب وهو صادح خلفه بأغانيه الوديعة، معنى خفيا ترمز به الطبيعة إلى قوة القدر التى تسخر الإنسان وتسوقه إلى المخابئ البعيدة عن إدراكه وحسبانه!! ولهذا أحب الشعراء الطبيعة وفتنوا بها من قديم الزمن وأودعوا جمالها وأسرارها فى أناشيدهم وشكوا إليها آلامهم وتعزوا بها عن نكبات الحياة!

وهؤلاء شعراء العرب فى العصر الجاهلى تحضنهم الطبيعة فى البادية بين وهادها ونجادها ويترامى بهم انتجاع الرزق فى قيعانها المعشبة حاثين لها المطايا خفافاً إلى موارد عيشهم يحدونها بالأهازيج الطبيعية التى تنبعث من قلوبهم الشجية بريئة، تطرب رواحلهم وتسليهم فى وحشة السرى ومضاضة الأسفار، تراهم قد عبروا عن إحساسهم فى هذه المعيشة البدوية بشعر صادق يعد مثلا أعلى لتصوير أثر الطبيعة فى نفس البدوى، فوصفوا لنا الجبال الشامخة، والسحب السارية، ورهبة الليل فى البيد، وعصف الرياح حول الخيام، والدمن العافيات يمرون بها فيخطف سكونها كامن شعورهم، فيندبون قطانها ويناجونها أرق النجوى، ووصفوا نار القرى ولمحها فى قلوب المدلجين الحيارى، وماكانوا يمرون به فى مسالكهم من شجر البان وزهر الخزامى والشيح، يتنفسون من عبوها أرج الذكرى لسالف عهودهم، فجاءت أشعارهم صوراً حية للتجاوب مع الطبيعة التى عاشوا فيها، حتى ليعدها الناقد النزيه أبرع الآثار الشعرية الخالدة لطبيعة البادية وحياتها، تتقاصر عن محوها الأجيال...

ولقد أولع أيضاً شعراء الغرب بالطبيعة وهاموا بها وخلدوا بها الآثار الرائعة التى تدل على سيطرتها على كل نفس شاعرة فى البيئة التى تعيش فيها فى مختلف بقاع الأرض. وكان الشاعر الانجليزى «بيرس شلى» يحب الطبيعة ويتلهف على الحياة فى كنفها؛ وهذا نداؤه إليها متبرما بحياة المدن وضجيجها. «تعالى بعيدا عن الناس والمدن.. إلى الغابة الوحشية، والوهاد والبرية الصامتة، حيث لاتكبت الروح موسيقاها مخافة ألا تجد لها صدى فى النفوس الأخرى... هنا فن الطبيعة الخالدة، يؤلف توافقه وانسجامه بين القلوب!!»

ولبيرن الشاعر الإنجليزى أيضا كلمة فى هذا المعنى تعبر عن إحساس قوى بالحنين إلى الطبيعة والخلود إليها لآلامه ومشاعره: «إن الطبيعة المحبوبة لاتزال أبر أم لنا.. فدعنى أرتم فى صدرها الحنون، فإنها أجمل ماتكون فى مظاهرها الوحشية حيث لاشئ إلا الفطرة والوداعة والبعد عن كل زينة وصنعة.. أيتها البحيرة الراقدة فى ظلال السكون! لقد لجأت إليك فى هذا العالم الصامت. إن فيك لدفئاً لفؤادى، وإن فى مياهك الهادئة لراحة وسلوانا لنفسى!!»

وممن أفاضوا فى وصف الطبيعة من شعراء العرب، ابن الرومى وقد استطاع أن يخلص بشاعريته العظيمة إلى حد بعيد من التوشية اللفظية التى بدأت تتمو فى الشعر العربى من عصر الأندلس، فترك من شعر الطبيعة آثارا رائعة يقف عليها المستوعب لشعره! وابن خفاجة» الشاعر الأندلسى لولا الترصيع البيانى الذى غمر شعره فكبت روح الطبيعة خلاله!

والطبيعة المصرية لوحة فنية رائعة، وشاها النيل منذ فجر الله ينابيعه فى هذا الوادى الخصيب بأصباغ فذة وألوان تثير شغف الفنان وتحرك فيه الميل إلى تصويرها فى فنه... جنة غناء بسامة الزهرْ، يتسلل تحت نخيلها وزيتونها، وسدرها وصفصافها، نهر دافق لم تراوده الطبيعة يوماً ما على أن يفيض فيغرق الحرث والنسل، أو يغيض فيردها صعيداً جرزاً؛ وريف ناعم الأظلال وريف الأفياء، نضرت قيعانه تلك اليد السوداء التى شمرت لتثميرها حاملة الفأس عامة النهار لاتكل من هاجرة ولا تتكمش من زمهرير! يد الفلاح البائس الشقى الذى يراه العابر من أقصى الوادى لأدناه، منحنى القامة فى قميص أزرق، مكباً على الأرض يغرس فيها الحب، ويرعى النبت الغض الوليد، ويحصد اليابس الذى استوى على سوقه وأدى ثمره لغارسه، فلم ينل منه إلا كسرة معفرة سوداء يأكلها بين زوجه وأولاده فى كوخه الضيق الذى ينكمش فيه مع البهائم والحشرات! ذلك هو الرجل الذى لولاه ماأمرع وادى النيل، ولا زكانبته، ولاتفتحت فسائله تراه فى الضحى فانيا فى مزرعته حرثاً وتقليباً، يتصبب جبينه عرقاً وهو هادئ ساكن لايشكو تعبا ولايعتريه ملال، يتغنى خلف قطعانه أغانى تفيض براءة وطهرا كأنها

زجل الطير، وهو فى عزلته هذه عن العالم يرى أثراً من نعيم المدن فى طائرة تسحاب فوق رأسه أو نعمة فارهة يتراءى بها ثرى فى قريته من أولئك الذين يقيمون جاههم على أكتافه، فلا يتألم ولايحقد ولايتبرم بعيشه، بل يمضى فى حياته قانعاً بكل حال! يرضيه من تلك الجنة التى نضر غرسها: ورعى ثمرها، عشب ذاو تصطدم به قدمه، أو ثمرة تساقطت من ظفر طائر، يعود بها لمواشيه وأولاده فى غبطة وسلام..!

فى كل هذا الجمال الطبيعى الذى تبلج به ريف مصر، وفى كل هذا الشقاء الذى اكتوت بناره نفوس بريئة لاتعرف من الحياة إلا الإخلاص لعملها، بيد أنها محرومة من أتفه متع الحياة المترفة فى المدينة، لايرى الفن فى مصر وحياً لألهامه، ولا خاطرة تثير فيه نشوة العمل على إبراز الجمال المخبوء فى وادى النيل للعالم، ليرى الناس إلى أى حد نعتز بوادينا ونفاخر بما فيه من روعة وجمال!.

اضرب بقدمك فى ليلة من ليالى السرار بين تلك الأكواخ المتداعية فى قرى مصر، وحدثنا عما تلاقيه من أهوال الظلام وعثرات المسالك فى عصر كاد يفترش فيه المدنى الشعاع ويتوسد مساقط النور!! وخض بها تلك القنى التى تساور الفلاح فى غيطه، واجلس بجانبه فى الظهيرة تحت ظل الخيمة التى نصبها من ردائه على عصاه وفأسه، وقاسمه الطعام والشراب، وتعال فحدثنا كيف أكل؟ وكيف شرب؟ وهل تردد عشرين فى احتساء الماء المقطر من كوب بلورى شفيف، أم انبطح على بطنه فعب الماء من مسربه العكر وقام إلى فأسه فواصل عمله، لايستريح ولايعرف طعم الهدوء!!..

اللهم إن هذا هو العقوق بعينه لبيئة نبتنا فيها ورحنا نتغنى بغيرها؛ تتهادى الريفية الوادعة إلى النيل عند الغروب لتملأ جرتها كأنها طيف «أوزوريس» يشهد الدمعة الخالدة التى سكبتها، فنضرت جنة فى الرمال! وفجرت نهراً فى قلب الصحراء؟ وأنبتت شعباً لم يحمل لواديه خلجة من وفاء!! وتتراقص أزاهر القطن

على مهادها الأخضر الريان! ثم تتفتح عن زهر أبيض جميل كأنه أحلام النيل بعثها لتحدث عن مجد غابر وتغرى بالتلفت إلى فردوس مهجور!

والشاعر فى مصر شخصى النزعة، ينظم فى كل مالا صلة له بالبيئة أو بالفن على الأطلاق، ويشرد من هذا المنبع الخصيب إلى أثر أدبى قديم فى لغته أو لغة أجنبية، فيحاكى وينقل؛ ويقولون عبقرية وتجديداً!!

اللهم إنا براء من هذا الهذر الذى أصموا به الآذان وشوهوا به وجه الأدب الحديث!!!

لقد تبارى فى القرن الماضى شعراء ثلاثة فى نظم أغنية عن النيل وهم (ليهنت) و(كيتس) و(شيلى) من شعراء الأدب الانجليزى فى القرن التاسع عشر، وكتب كل منهم أغنية شبب فيها بالنيل ومجده وسحره الخالد، حتى لقد قال «ليهنت»: «إننى أسمع وسط خريره العذب ضحكات كليوباترة وأصداء سلطانها العظيم! فماذا كتب شعراء مصر أنفسهم عن النيل، وسحر الطبيعة الفاتنة فى واديه الرهيب، الذى يجتازه العابر فتملكه رهبة السكون المخيم على ريفه النضر، كأنه يجتاز معبداً فسيحاً من معابد الفراعين؛ أو واحة فيحاء لم تقلق صمتها ضجة الوافدين؟!!»

ولقد نهضت فى مصر بعض الفنون الأخرى فبدأت تستلهم وحيها من الطبيعة المصرية، وبدأ العالم الغربى يرى فى متاحفه ومعارضه الفنية آيات فذة من مناظر الريف المصرى، وهذه صور مصرية يكاد ينطقها جلال الفنّ، عرضها المثال المصرى «محمود مختار» فى متاحف باريس، من حاملة الجرة التى صورها على شاطئ النيل إلى بائعة الجبن التى نراها فى الأسواق الريفية، إلى غير ذلك من وحى الفن المصرى الذى تتوثب فيه روح القومية التى طالما ندبناها فى أدبنا الحديث! والتى انحرف عنها الشعر بوجه خاص انحرافاً عطله عن مجاراة الفنون الرفيعة الأخرى!!

وكما أن للطبيعة فضلا كبيراً على الشاعر فى إلهامه روائعها الخالدة فكذلك الحب فضل أكبر عليه فى كشف المخبوء من جمالها، ورصد إحساسه لجميع دقائقها، وصهر المشاعر الوجدانية التى يلهبها غرام الشاعر فى نفسه ومزجها بكل مايحيط به من صور الطبيعة المختلفة. ترى ذلك واضحاً فى قصيدة «البحيرة» التى نظمها (لامرتين) الشاعر الفرنسى مناجياً فيها بحيرة إكس التى شهدت شطرا هانئاً من غرامه مع حبيبته (جوليا) وكان قد عاد إليها فى موعد مضروب بينما حال الموت دون وفائها به، فتفجرت عبقريته بعدة قصائد من غرر الأدب الفرنسى تعد أروعها وأسماها هذه القصيدة! وتراه أيضاً فى الشعر العربى عندما كان يفزع الشعراء الغزلون إلى الطبيعة، يناجون آثارها ويتسلون بما توحيه لهم من طيوف الذكر عما شفهم من لهفة الحب وحسرات البعاد، من أصدقهم فى ذلك «ابن الدمينة» و«ابن حزام» و«قيس بن ذريح» و«العباس بن الأحنف» وغيرهم من الشعراء الذين تامهم العشق، ولولا أن الرواية فى الأدب العربى لم توافنا بكل أشعارهم لطالعنا لهم فى ذلك الرائع البديع!

وأنت تطالع فى أغانى الكوخ شيئاً من النسيب دفعنا إلى إقحامه فيها الاعتزاز بوحى عاطفة صادقة، شاء الحب أن ينفثها متباينة الألوان، وهو الذى يبتسم تارة فيسلسل الشعر الغزلى هادئاً رائقا، ويتجهم تارة أخرى فيفجره صارخا مشدوهاً؛ على أنا نرتاح كثيراً لعرض آثار فنية من أى لون، مادامت صادقة الإلهام لم يشبها الانتحال الذى وله به كثير من الشعراء فى العصر الحديث، ذاهبين فى ذلك مذهب شعراء العرب الذين اتخذوا الغزل سبيلا عاما يمهدون به لجميع أغراضهم فى الشعر سواء كان ذلك صادقاً من شعورهم أم مصنوعاً متكلفا!

ويستطيع الشاعر الدقيق الاحساس الذى ينظر للمرأة كمصدر للإلهام الفنى قبل أن تكون وسيلة للتعاطف الجنسى المجرد من النظر الروحى الذى تخلقه طبيعة الجمال فى نفس الفنان، أن يستلهم المرأة فنونا شتى من الشعر الغزلى،

جديدة فى معانيها وأخيلتها، عميقة التصوير، فياضة النوازع الوجدانية السامية التى يتمنع خلقها على الإحساس العادى.

إن المرأة التى غذت الفن بروحها وماتزال تغذوه، والتى يدين لها عظماء العالم بأروع ماينتجون من آثار كفلت لهم المجد والخلود؛ لانستريح إذا أغفلنا التنويه عن أثرها القوى فى إلهام هذا الديوان، وإمداد الروح الشعرية فيه بما يجدر بنا أن نشيد بذكره.. راجين أن يستغل الفن مثل هذه القوة الطبيعية التى رافقته من قديم الزمن، فى توجيه تياره إلى تهذيب الانسانية، والطفرة بها من المستوى المادى الجاف إلى أبعد حدود الكمال الروحى الذى ينشده المجتمع البشرى فى جميع أطوار الحياة.

والشعر أولى الفنون بالنزوع إلى هذه الغاية العليا بفضل ماوهب من قدرة على التغلغل فى النفوس والتأثير فيها برسالته التى اعترف بها كبار الفلاسفة والمفكرين، وقد قال أحد فلاسفة الغرب «إذا كان مخترعو الآلات قد أضافوا إلى النوع البشرى أشياء هى بمثابة الأعضاء المساعدة لجسمه، فإن الشعراء قد منحوه منحة اسمى وأشرف.. إذ فتحوا نوافذ جديدة فى أرواحنا».

محمود حسن اسماعيل

القاهرة فى ١ يناير ١٩٣٥

الديـوان الثانـى

○ هكذا أغنى ○

المطبعة الأولى : القاهرة أول يوليو ١٩٣٨

○ إهـــداء ○

إلى ملهمتي الخالدة...

لقد أشعلتِ روحي بلهيبك المقدس، ثم أخفيت نورك عني وراء الغيوب، وتركتني أترشف الإلهام من جذوة ليهدأ سعيرها حتى تعودي إلي...

ولعل نغمة واحدة من رجع هذا الأنين، تغريك بالعودة إلى جدولنا العزيز حيث الظلال الشاعرة.. والجمال العبقري، والحب العالي عن مطامح الآدميين!

○ من لهيب الحرمان.. ○

«أسدل المحرابُ أستاره فتنفس العابدُ هذه الخفقات».

١٩٣٦

أســـدلتْ ســـتـــرهـا! وقـــالتْ: رويداً
عـــابدَ الحـــسن، وانشـــد فى صـــلاتكْ
غبْ قليـــلاً عن العـــيـــون، وأنشـــدْ
خـــفـــقـــاتِ الغـــرام فى خلواتكْ
إن همـــمـــساً يرفُّ فى ســـاحـــة المعـ
ـبـــد أخـــشىَ ذيوعـــه من وشـــاتكْ!
غبْ قليـــلاً وفى دمى لك عـــهـــدُ
أنا.. والحب.. والمنى.. لحـــيـــاتكْ
خـــمـــرتى شـــعـــرك العـــفـــيفُ، وياطهْـ
ـرى إذا مـــا انتـــشـــيتُ من كـــاســـاتكْ!
وجـــلالَ الهـــوى، وقـــدْس جـــمـــالى
خـــفـــقـــات صـــدحنَ منْ اغنيـــاتكْ

رِئُ روحى إذا ظمئتُ خيالُ
مستطار يرنُّ من أبياتكْ
فترنمْ! فإن روحى تصفى
خلفَ أستارها إلى نغماتكْ!
قلت: والنارُ فى دمى كيف تهدا
إن حجبتِ الضياءَ من قسماتكْ؟
إن زادى من الحياة وميضٌ
رشفتْهُ العيونُ من بسماتكْ
فتنتنى إنْ رنوتِ موجةُ نورٍ
أشرقتْ فى الجَنان من نظراتك،
كم طغى البؤس عابثاً بشبابى
فتعبستُ النعيم من وجناتكْ!
وتوجعتُ.. فانتحبتِ لشجوى
وسكبت الهناء من قبلاتكْ!
كيف أحيا، وفى دمى تقلق الرو
حُ نوازٍ مفجعاتٌ قواتكْ؟
أنا لهفانٌ! والنعيمُ بكفيـ
ـك دعينى أمتْ على عتباتكْ
قالتْ: اهدأ! فما عهدتكَ يوماً
تستثير النوى دفينَ شكاتكْ
كم غزا البينُ قربنا فتصبرْ
تَ ورمت السلوانَ من ذكرياتكْ!

قلت: بالوعدِ الظمآنَ جُدْتْ

روحه لهفةٌ على رشفاتكْ!

كم وقفنا حيال قصرك نبكي

وخلسنا الغرامَ من شرفاتكْ!

وشدونا الهوى ملاحنَ سحرٍ

رقرق النور طيفها من سماتكْ

وشكونا النوى، فكاد يطيرُ الـ

ـحسنُ فرطَ الحنان من غرفاتكْ

آه يازهرتي! لقد شفَّ روحي

ظمأ مغرق إلى نفحاتكْ

فارفعي الستر بيننا، ودعيني

أتحسَّى الضياءَ من هالاتكْ

رُبَّ ومضٍ من لحظ عينيك ساجٍ

فجَّر الوحي من سنا لمحاتكْ

نهلتهُ عيناي فانساب شعراً

عبقرياً يفيضُ من نظراتكْ!

* * *

وهنا، أُبدلَ الستارُ! ورنَّتْ

خفقةٌ: لهفتا على أمنياتكْ!

○ ضجة الروح.. فى يومْ (عيد)! ○

يافرحة العيد مالى لايساورنى
لديكِ إلا أسى فى القلب موّارُ
لو أنَّ دمعَ اليتامى فيكِ كأسُ طِلاً
حسوتُه نهلةً بالروح تُشْتارُ
لم يكفنى مدمعى أجرى سواكبهُ
هَمٌ أناخَ على جنبىَّ جبارُ
ترصَّدَ الروحَ أنى خالستهُ طغى
ولفَّها منهُ طىَّ البؤسِ إعصارُ
مسكينةٌ أنتِ ياروحى! فما أتأدت
عنكِ الليالى ولاأعفاكِ مقدارُ
تزاحمتْ حولكِ الأحزانُ عاصفةً
إذا ونى كدرٌ، هدتكِ أكدارُ
صبيةٌ فى الشباب الغض ماأثمتْ
يوماً، ولامسها رجس ولا عارُ

قد شيبتها الرزايا السود جمعها

لؤم الزمان.. وأهوالٌ.. وأقدارُ

لاتسأل الشعرَ عنها فهيَ ملحمةٌ

من الأسى غلّفتْ معناهُ أسرارُ..

سوفيةٌ شردتْ في الصمت حكمتها

فما تقيدُ أناشيد وأشعارُ!

رأيتها في ظلال (العيد) قد خنفتْ

صفاءها مَن كثيفِ الهم أستارُ

تسيرُ في ضجة الأفراح واجمةً

يلهو بها من حفيفِ الدمع إسرارُ

كأنها ميتٌ في البيد مُطَّرَحٌ

تصايحتْ حوله باللحن أطيارُ!

«خمس وعشرون[1]» في البلوى تُقطّعني

كما يقطعُ لحمَ الشاة جزارُ

لا لوّعتني هداتٌ فيها! ولاكبدي

خبتْ بألفافها من حرقتي نارُ!

تصرّمتْ في أناشيد الضنىَ عيثاً

كأنّ عمري مزاميرٌ وأوتارُ!

○

(١) عاماً.

○ آهـةُ شقـيٍّ! ○

ضـاق عـيـشي، وضـاقت الأرضُ حـولي
وانحنتْ من شـقـاءِ عـمـري الأهلةْ
ونَشـدْتُ المُنى فـولّتْ هبـاءْ..
«ربِّ مـا هذه الحـيـاةُ المملَّةْ»

○

○إلى سجينة.. القصر!○

«عصفت بقلب الشاعر عاصفة من الوجد الصارخ عقب فراق مفاجيء تكلب به منذ عامين.. فاستحالت حياته إلى جحيم من العذاب اللئيم، والقلق المميت!.. وقد نزع به الحنين، يومًا، إلى قصر عذرائه.. حيث مهد غرامه، وشط إلهامه، فسبق الشمس إلى أستاره في الصباح بنظرات مشدوهة.. وروح شارد، فوقف لحظة، ثم عاد بهذه الدموع المشتعلة التي سكب نارها في هذه المناجاة!»

سبتمبر ١٩٣٨

يا زهرتي! طلعَ الصباحُ وفي فمي
نغمٌ يلوحُ، فهل سمعتِ نواحهُ؟
ما زال يصرخُ في الفضاءِ، فلم يجدْ
شفةً تناغمُ لحنه وصُداحهُ
أسيانَ مختبلَ النشيدِ أذابه
منْ خافقٍ دفنَ الزمانُ مراحهُ
قلبٌ كعصفورِ الأراكةِ ذيدَ عنْ
عشِّ الصبا، والسجنُ شلَّ جناحهُ

جـرَّحـتـهِ بالهـجـر... ثم تركـتـهِ

مـاذا عليكِ إذا أسـوتِ جـراحـهُ!

كم رتلَ اسـمكِ - خـاشـعًا - فكأنه

(مـوسىَ) يرنِّمُ فـى الدُّجى ألواحـهُ

الهـجـرُ عـذبه وأذبلَ روحـه

والفكر غَيَّـب فى الأسى أفـراحـهُ

وبكى ونُّوح فى الظلام، فـمـا أسـا

قلبُ الحـبـيب بكاءَه ونِيـاحَهُ!

حـجـبوكِ.. هل حـجـبوا سناكِ مـفـجِّرًا

كـالنبع يسكبُ فى الحـشـا تَلْمـاحـهُ؟

حجبوكِ.. هل حجبوا عبيركَ عنْ دمى

ريَّان يُذكى فى الفـؤادِ نُفَاحـهُ

حـجـبوكِ.. هلْ حـجـبوا نشيدكَ عن فمى

لهـفـانَ خلَّد فى الهـوى تصـداحـهُ؟

حـجـبوكِ.. هل حـجـبوا نُفـاثةَ عـاشق

أضـرى الغـرامُ جـلادهُ وكـفـاحـهُ؟

مـتـولِّعٌ بهـواك مـا أغـرى به

بينٌ، ولا فلَّ الفـراقُ سـلاحـهُ

وافى بُروجَك فى الصـبـاحِ فلجَّ فى

ظلم النوى، وبكى الحـزينُ صـبـاحـهُ

لم يلقَ إلاَّ ظلمـةً مـشـبـوبةً

وسنًا تـخـطـفـتِ الدجى لمَّـاحـهُ

يا ليلةُ، اترعْ لواعجَ قلبه!
حدِّثْ عن الخفقات يا مصباحةُ!
لم يبقَ منه الحبُّ إلاَّ آهةً
مجنونةَ الحركاتِ تقلقُ ساحةُ
وقصيدةً هزتْ ملاحنها الدجىَ
ومحتْ رؤاهُ، وفزَّعتْ أشباحةُ!

* * *

ظنوا غرامىَ فيكِ لُهْيةَ ساخرٍ
يلقى على الزمن الضحوك مزاحةُ
فثنَوكِ عن نظرى وخلَّوا مهجةً
حيرى، يجُرِّعها الهوى أتراحةُ
كالطائر المنبوذ فى قُبب الفلا
يَذْرى الهجيرُ بساحها أرواحةُ
وأنا الذى ساظلُّ باسمكِ هاتفًا
حتى يمدَّ الموتُ نحوىَ راحةُ
لاتحسبى النسيانَ يلمسُ عابدًا
خنقَ التأوُّهُ والأنينُ سراحةُ
لو كان زورقَ عيلمٍ [1] متوثبٍ
لجعلتُ قلبى فى الهوى ملاحةُ

(١) العيلم والعيلام : البئر الغزيرة الماء والمراد البحر أو النهر.

وحطمتهُ! وهزمتُ صاخب يمْهِ!

ودفنتُ فى قبر الخبالِ رياحهُ!!

○

○ دنيا أدمع ومآتم ○

«إلى الذين لاتشجيهم تأوهاتُ العاشقين...

١٩٣٩»

حـــزينٌ؟ أجلْ.. والحـــزنُ أضـــحىَ منادمى

فـــدنيـــاىَ دنيـــا أدمعٍ ومـــآتمِ!

يقـــولونَ: ســـوّدتَ الأغـــانى وبِشـــرَها

وأصـــبـــحتَ تهـــذى باللحـــونِ القـــواتمِ

خـــيـــالكَ أضـــحى ظلمـــةً ســـرمـــديةً

ترامتْ على ليلٍ منَ البـــؤسِ فـــاحمِ

وشـــعـــركُ هدتهُ المآسى، وســـوّدتْ

أغـــاريدهُ فى الحبِّ بيضُ المعـــاصمِ..

تضجُّ على أنثى تجـــافـــتكَ فى الهـــوىَ

وتبكى بدمعٍ من أسىَ الشـــوق عـــارمِ؟

وتفنى شـــبـــابًا فى الغـــرامِ وذلّـــه

وشكواهُ من ســـحـــر العـــيـــون النوائمِ؟

وتصبحُ في الأكوانِ سخريةَ الورى

هضيمَ الحواشي! مستخفَّ المعالمِ!

فقلتُ لهمْ: لاتكثروا اللومَ إنني

تحيرتُ في كونٍ عجيبِ المظالمِ!

شَقيتُ بحبي وهوَ عفٌّ مطهرٌ

وغيري سعيدٌ في الهوى بالمآثمِ!

تعلّقتُها عذراءَ يندى حديثُها

صفاءً تجلّى منْ عقيقِ المباسمِ

هيَ النورُ.. أو في النورِ منها الاقةٌ

هيَ السرُّ يضوي في غيوبِ الطلاسمِ

إذا نظرتْ.. فاحبسْ بخورَكَ دونها

فقدْ سحرتْ سحرَ الرُّقى والتمائمِ!

تلقيتُ منها وحيَ شعريَ ساميًا

وألهمتُ منها خالداتِ الملاحمِ

ولمّا تلاقينا وكادَ صفاؤنا

يرفُّهُ منْ وجْدِ القلوبِ الهوائمِ،

تصاوحتِ العيدانُ في جنةِ الهوى

وجافى رفيقُ اللحنِ عشَّ الحمائمِ

وبدلتِ الأنسامُ بينَ أراكِها

فحيحَ أعاصيرٍ، ولفحَ سمائمِ

كأنّ اختلاجَ النور فوق حطامها

من الألق الخابى تهاويلُ واهمِ..

وغَيْسانةَ الأفياءِ، وَفْنانةِ الصبا

مشردةِ الأطيابِ ريّا النسائم

سألتُ رُباها: أين بلبلك الذى

تغنى طويلاً فى المروجِ النواسم؟

فأطرقتِ الأغصان حزنًا، وأصبحتْ

كمرتبكٍ منْ حيرة الفكر واجمِ

وقالتْ: بعيد عن ظلالى مكانهُ

هناكَ على صُمِّ الصخورِ الصلادمِ

بفيفاءَ ملَّ الصمتُ فيها مقامه

نسيلَ الخوافى، مستهاضَ القوادمِ

تمزق ارواحُ الهجيرِ شغافهُ

وتصليه من لفحِ السوافى بجاحمِ

وكمْ نغمةٍ بين الحشا رامَ عزفها

فظلتْ كوهمٍ فى الحنيات جاثمِ!

وتأويهةٍ فى الليل سوداءَ مرةٍ

تُفزِّعُ فى قلب الدجى كلَّ نائمِ

براها كما تبرى مآقيهِ دمعها

وسارَ كمخبولٍ على الأرض هائمِ!

هو الصبُّ يا عـذراءُ شـابت همـومـهُ
ولـمْ يحظ مـنْ دنيـاهُ يومًا بـراحم
بكينا.. فـلا الدنيـا أطلتْ لدمـعنا
عـشيَّة أسـرى فى الجـفـون السـواجم[1]
ونحنا.. فـمـا رقّـتْ لنا عـينٌ كـائن
ولا أسـيتْ شـجـوًا قلوبُ العـوالم
كـانا بتـلك الأرض أنفـاسُ واحـةٍ
جـفـاً نبـعهـا خـفقُ الطيـورِ الحـوائم!

○

(١) السواجم: أي السائلة الدموع.

○ صوتها فى ضميرى ○

«هاجنى الحنين إلى صوتها الوادع الذى طالما ارتشفت من همسه راحة العمر ولذة الحياة.. فلم يلهمنى صخب الدنيا عن صداه الذى ظل يرفرف على روحى ويموج فى حواسى.. حتى ذاب منه هذا اللحن المترع الحزين!!»

١٩٣٥

لحنٌ يغـــمغم فى صدرى فـــيشجـــينى
ويمسكُ النغـــمـــةَ الحـــيرى فـــيُبكينى
وافى من الغـــيب عُلوىُّ الصـــدَى، فـــسمَتْ
طيـــوفُه البـــيضُ عنْ عَزفى وتَلحْينى
شق الأثيـــــرَ من الماضى، وناغَمنى
بمـزهَرِ كـــاسفِ الرنَّاتِ مـــحـــزونِ
على مـــثـــانيـــهِ ارواحٌ مـــجنحـــةٌ
تُطلُّ من خـــاطرى الدامى تُحَيـــيْنى
رفَّـــتْ على فَمـــهـــا المسحـــورِ اغنيـــةٌ
حـــزينةٌ صـــرخَت شـــوقًا لحـــزُونِ

قدسيةٌ حَمَلتْ منْ ثغر فاتنَتى

صوتًا منَ الذِّكْر الأولى ينادِينى

وَهْنانُ من فدحةِ الآلام مختنقٌ

مجَرَّحُ اللحنِ، مكبوحُ الأرانينِ

سأمانُ من طولِ ما أضنَتْهُ غُربتُهُ

عن مسمعٍ لصدى نجواهُ مرهونِ

لهفانُ! يخفقُ فى قلبى فيصدعهُ

ويلهبُ الوجدَ فى روحى فيُضنينى

يُميتُنى . إنْ جَفتْ أصداؤهُ . خَلْدى

فإن خَفَقْنَ على الأحشاءِ يحيينى

نايٌ ولا صافرٌ فى الصمتِ ينفخهُ

لكنَّ رناتِه فى القلبِ تصبينى

ومزهرٌ غابَ شاديهِ وخلَّفنى

ونَغْمةٌ فى الصدى باتتْ تسلِّينى

وعازِفٌ فى ضَميرى مُلهم غردٌ

ما شدَّ أو تارهُ يومًا لتلحينِ

تظلُّ أسجاعُهُ فى الشجو تنشرنى

ونَبْرُها فى عذابِ الحبِّ يطوينى

إذا شَدا فدع الدُّنيا وضجَّتَها

واسمعْ . فديتكَ . قُمرىَّ البساتينِ

وإنْ تهامسَ فى صدرى حَسِبتَ به

وحيًا من الله فى البلوى يعُزّينى!

هوَ الهوَى يا «ابنةَ البُسفورِ»! علمنى

حزْنَ الثكالى، وأوهامَ المجانينِ

عيشى به آهةً فى صدرِ مُبْتئسٍ

ودمعةً تلتظى فى جَفنِ مسكينِ

وثورةً فى حنايا الصبِّ صاخبةً

حَرَّى توهَّجُ من حينٍ إلى حينِ!

ماذا جنيتُ وروحى فى طهارتِها

أزكى لحبكِ من طيبِ الرياحينِ؟

نسختُ حسنكَ روحًا ساميًا ألِقًا

وكنتِ كالناسِ من ماءٍ ومن طينِ!

وظلّتُ أُبلى شبابى فى صيانتهِ

وأنتِ بالهجرِ والتعذيبِ تُبلينى!

خلّدتهُ بأغاريدى ورحتُ به

أُزهىَ على كلِّ فتانٍ ومفتونِ

فلا عَذارىَ بلادِى هِجنَ من غَزَلى

إيماءةٌ عن سَنَا عينَيكِ تلُهينى

وهُنَّ والحسنُ لاغاوٍ ولا دِنسٌ

كلؤلؤٍ فى شطوطِ النيلِ مكنونِ..

و(الكوخُ) أهدْيتُهُ سحرًا ومعجزةً

لعلَّ قصرك باللقيا يُهادينى

فما وفيتِ! ولا مهدُ الغرام رثى

لشاعرٍ بالهوى العذرىِّ مجنون!

لو كنتُ أهديتهُ للنجم من قلقى

لخرَّ من برجهِ العالى يُواسِينى!

أو كنتُ أهديته للصخرِ من ظمئى

لفجرُ المسلسل الرقراقَ يرْوِينى!

أو كنت أهديتهُ للكون من شَجَنى

لحارَ دمعةَ مفجوعٍ تُواسِينى!

يا صوتها فى ضميرى.. طف بساحتها

وقل: لأيةِ أذْنٍ رحْتِ تُلقينى؟!

هذى المسامع آثامٌ مغلّفةٌ

وخُدعةٌ ذهبتْ بالصمْتِ تُغوينى

أقصيتنى عن ملاكٍ كان يعبُدُنى

ولُذْتِ بى بين أسماع الشياطين

وكنتُ فى فمه الصداحِ غُنْوتَهُ

فمنْ على البعد يا ويلى يغْنينى؟!

○

○الصاخب المجنون○

١٩٣٥

لقـــدْ طالَ فى صمْت اللّيـــالى نداؤهُ
لمـن نوْحـــهُ تحـــت الدجـــى وبكاؤهُ؟!
حـــزينٌ ذوَى فى الهـمّ ضـــوءُ شـــبابهِ
ومـــــاتَ على هول المآسى بهـــــاؤهُ
جـــريح أضـــلَّ الطـــبُّ ســـرَّ جراحـــه
فـيـــا رحـمـتـا يا ربُّ! أيـــنَ دواؤهُ؟
شـــريدٌ ترامى فى الحـــيـاة مـضـيْعًا
فـمـا عـيـشـهُ فـوق الثـرى وبقـاؤهُ
يمســـيـــرُ على التُّرب المَهـــين تَخـــالهُ
مـن التـرب ذرًا لايـقـــــــــرُّ هـبَاؤهُ
تبـاغتـه الأنـــواءُ مـنْ كـــل وجـهـــة
فـيـشـتـــدُّ فى عـــصف الرياح بلاؤهُ

لعينيك يا عذراءُ غنّى، فضيّعتْ
أناشيدُه بين الأسى وغناؤه
أتاك من الغيب الخفىّ كأنه
منَ الغيب وحى أنزلته سماؤهُ
على فمه أغرودةً عبقريةً
وفى قلبه نور تجلّى سناؤهُ
وفى الروح إلهامٌ من الحب خالدٌ
لذاتك أضفى طهرُه وصفاؤهُ
ضراعاتُ معمودٍ إذا القلبُ نصّها
يفيضُ على سود الليالى ضياؤهُ
مجمعةٌ من كلّ سرٍّ محجب
تغلغلَ فى قلب الوجودِ خفاؤهُ
من الحُلم البسام فى هالة الرؤى
يرفُّ على دنيا الحزين رواؤهُ
منَ السُّحرة الفيحاءِ تندى رُباتُها
بوادٍ على شطِّ الخلود ثواؤهُ
من الجدول الرقراق فى ظلّل الضُّحى
بعانقُ أفياءَ الخميلاتِ ماؤهُ
منَ الدعواتِ البيضِ فى ثغرِ ساجدٍ
إلى الله يرقى فى الصلاة دعاؤهُ
من الزهر غيسانًا، من العطرِ نافجًا
منَ الريفِ وسنانُ المروج مساؤهُ

قبستُ أغاريدَ الهوى من حُشاشتي
وغنيتُ، علَّ القلبَ يدنو رجاؤهُ
فماذا جنى المهجورُ من خَفقاته؟
لقد زاد في ظلِّ التغنّي شقاؤهُ!
مناجاتهُ للناس أضحتْ تسلّيًا
وسخريةً أودتْ بها كبرياؤهُ
وأضحى بها جرحًا إلى القبر سائرًا
على يدك البيضاء يرجو شفاؤهُ
تعالَيْ إليه، وانظري جثة الهوى
يسير بها والليل داجٍ رداؤهُ!
مُضمَّخةً بالدمع من فيضِ ما ذرا
تَفجُّعهُ طول النوى وبكاؤهُ
أساكيبُ من نبع الحشا قد تفجرتْ
لهيباً بأعصابي سرتْ (كهرباؤهُ)
تكفّنها الأطراس ممّا نَفَثْتِهِ
مواثيقَ حبٍّ هاجهنَّ جَفاؤهُ
يُحوِّمن كالغربان فوقَ رُفاته
ويندُبْنَ عهد الحب ماتَ هناؤهُ
يسير بها حيرانَ! لهفانَ! جاذعًا!
يحطمه كربُ الرَّدى وعناؤه
ويصخبُ كالمجنون في كل خطوةٍ
فيقلقُ سمعَ العابرين هُذاؤهُ

وفى عـــينه من طولِ مـــا بكتْ الهـــوى
ذبالةُ نـــورٍ لـــجَّ فـــيـــهـــا عَمـــاؤُهُ
وفى الصـــدر مـــذبوحٌ تغنى جـــراحُـــه
وتصـــــرخُ من بؤس الليـــالى دمـــاؤُهُ
فـــؤادٌ كـــانَّ الله ســـوَّى شـــغـــافـــهُ
منَ الـدمـع والآهـاتِ.. جفَّ ذمـــــــاؤُهُ
لغـــيـــرك لـــم يُخلـــقْ، ولكـــنَّ عـــبـــرةً
على الدهـر أنْ يبـــــقى لديكِ فناؤُهُ!
تعـــالىْ إليـــه واتركى الكونَ ســـاخـــرًا
فـــقـــد عـــزَّ فى دنيـــا البـــرايا وفـــاؤُهُ
تعـــالىْ إليـــه قـــبلَ أن يغـــربَ المنَّا
ويصـــبحَ وادى الحبِّ قـــفـــرًا فـــضـــاؤُهُ
فـــلا مـــزهرٌ شـــادٍ ولا عـــازفٌ شجٍ!
ولا عـــاشقٌ يهـــفـــو إليكِ نداؤُهُ!
تنـاديـن.. لا المـنُّـوانُ يـرحـمُ مـــــرةً
نداكِ، ولا المقـــــدورُ يأتى عـــــزاؤُهُ
يردُّ الصـــدى النـدمـــانُ منك مـــجـــاوبًا!
هنـالكَ على شـطِّ الفـنـاء لقـــــاؤُهُ!

○

○ أسوعى قبل أن تموت الأغانى ○

«.. وقد تنمت سجينة القصر بعد صمت طويل سائلة عما فعل صرف الثوى بمهدها القديم فخفق لها القلب بهذا النشيد»

سبتمبر ١٩٣٨

سلسلى لَحْنكِ الجريحَ! وهاتى
رجعَ قيثارتى، ونَجوىَ صلاتى..
طال شدوى حيالَ قصرك شوقًا
فاهتكى الستر، وارحمى خفقاتى
وانظرى جذوةَ الهوى فى خيالى
وشحوبَ الفناء فى نظراتى
وتهاويلَ من بقايا جنون
خلفتها الأحزانُ فوقَ سِمانى
وبريقًا من الشباب المولّى
كهشيم الريحان فوقَ الرُفاتِ

وخـيـوطُ المنى على صـفـحـة القلـ

ـبِ كـأطيـاف غـيـمـة فى فـلا

منيـة أزهقتْ! وأخـرى تعـايا

والبـقـايا فى الصـدر مُنْتـحَرا

* * *

هـيـكـلٌ مـن فـواجـعِ الكَوْن شاوٍ

بينَ كـهـفٍ مـجنّح الظلمـا

الأفـاعى رهبـانهُ، وصـدى البـوُ

مِ هتـافُ الرهبـان فى الصلوا

ورياحُ الدُّجى تـزفُّ حـواليـ

ـه، وتنعـى فـى صـمـتـهِ مُغْـولا

نبـذَتهُ الأقـدارُ فى وحـشـةَ البـيـ

ـد انيسَ الصـخـور فى الفلوا

صـمـتـه ضـجّةٌ! ونجـواهُ صـمتٌ!

يالَهـولِ الضـجـيج بين الصُّمـا

ورُؤاهُ فـى الـلـيـل مـوكـبُ جـنٍّ

غطَّ من فـدحـة المـرى فى سُبـا

مـن يـراهُ يـرى بقـيـة نحسٍ

افلتتْ منْ حظوظهِ العـاثرا

جـاثمٌ فى التـراب.. كـالأمل الخـا

ئبِ فـى خـاطرٍ ذبيحِ الشكا

كـــالشَّجـــى فى اللَّهَـــاة! كـــالهمِّ فى المهْـ

ـجـــةِ! كـــالموتِ فى ربيعِ الحـــيـــاةِ!

كـــرمـــامِ القُبـــورِ! كـــالبـــيْدرَ المهْـ

ـجـــورِ! كـــالرجسِ فى جنوبِ العُصـــاةِ!

كـــحـــفـــيفِ الظلام فى أذن الغـــا

بِ، كـــإثمٍ يطيفُ عند الصـــلاةِ![1]

كـــورود الخـــريفِ مـــاتتْ على الأيْـ

ـكِ ومـــات الشـــذا على الورقـــاتِ!

كـــرفـــاتِ الأحـــلام فى عـــالم النسْـ

ـيـــانِ ضـــاعتْ بظلِّه أمنيـــاتى!

كـــأنينِ الغـــريبِ فى وحـــشـــةِ الليـ

ـل! كلطم النوادب الثـــاكـــلاتِ!

كـــفـــحـــيحٍ يريقُ سمَّ المنايا

نفـــخـــتـــهُ الحـــيـــاتُ فى الكســـراتِ!

كنشـــيجِ الأيتـــام ملوا من الدَّمْـ

ـع ومـــالوا برعـــشـــة الآهـــاتِ!

كـــخـــيـــالِ النَّدمْـــانِ! كـــالنغم الحـــيـ

ـرانِ دستْ رنينـــهُ أبيـــاتى!

كـــدخـــانِ الأكـــواخ تنفـــخـــه الريـ

ـحُ فـــيـــفنى فى ظلمـــةِ الأمـــســـيـــاتِ!

---

(1) طاف يطيف من باب (باع يبيع) وطوفان الخيال مجيئه في النوم (مختار الصحاح).

كـحنوطِ الأكـفـانِ فى جـدثٍ زفّتْ

عليـه نوائحَ هبّـةُ المتأفـيـاتِ!

كـجـبـينِ المشنوقِ خطَّ عليـه الـ

ـمـوتُ أسطارَ عـمـره النّحيـاتِ!

هكذا صـرتُ بعـدَ مـا غـبتِ عنّى

فى الأسى والنّحوسِ ضـاعتْ حـياتى!..

* * *

كـان شـعـرى على يديكِ عـبـيـرًا

سـكـبتْهُ روائـحُ الجنّـاتِ

طيـبـهُ للقلوب فـوحةُ خلدٍ

نعـمتْهـا الغـيُوبُ فى صَدَحـاتى

قـبـسـتْ وهلةَ المتنّا منْ رِبَى النيـ

ـلِ وشـعّتْ بهـا منَ الأبيـاتِ

ورأت فى المروجِ طلسمَ سـحـرٍ

ظلَّ مـسـتـغلقًا لكلِّ حـصـاةِ

فنضتْ سـرَّهُ بسـحـركِ لحنًا

رددتـهُ هـواتـفُ الرابيـاتِ

وهـو اليـومَ زورقٌ منْ خـيـالٍ

حطمـتـهُ ثوائرُ العـاصـفـاتِ

مـا لملاحِـهِ سـوى صَرْخـةِ اليـأ

ـس يدوى بهـا لشطِّ النجـاةِ

وأعاليلَ منْ وميضٍ على الأفْـ

ـقِ فقتْ منْ طيوفِه المظلماتِ

كلما أذنتْ .. يردُّ سناها

قبسٌ منْ شعاعِ عينيكِ آتِ

فترى هدأةُ الردى فى حواشيـ

ـه وظلُّ الحياة فى القسماتِ

ساعفيهِ بلمحةٍ تنعشُ الرو

حَ، وتلهيهِ عنْ كروبِ المماتِ

واسمعيهِ بينَ المآسى يغنى

بلحونٍ صواخبٍ والهاتِ..

جدولى لمْ يزلْ يصفقُ للحبْ

وتهفو بشطه قُبَّراتى

والصباباتُ ما يزلنَ يحوِّمْـ

ـن فيُكْرينَ علّةَ النسماتِ

والأغاريدُ مثلما كنَّ بالأمْـ

ـسِ يُهازجنَ بلبلَ الربواتِ

والصباحُ الحزينُ مازالَ سكراً

نَ بخمرِ الأحلامِ والصبواتِ

والضحى شاعرٌ تهيأ للوحْـ

ـيِ فأصغىَ وقال للناى: هاتِ!

هاتِ لى قصةَ الهوى والأمانى

ولياليَّ غرامىَ الفانياتِ

واذْبِها فى النور.. وابعثْ صداها

فى الروابى ملاحنًا خالداتِ

وكؤوسُ الهوىَ ظوامٍ إلينا

يتنظَّرْنَ عَوْدنا مُتْرَعاتِ

وانا خاشعٌ هنالكَ فى الأيْـ

ـك كمستغفرٍ جثا فى صلاةِ

اتحسسُّ شذاكِ من سجوةِ الظلْ

واقتاتُ مزعجَ الذكرياتِ

وأنادى.. فيخنقُ الحزنُ صوتى

وتموتُ الأصداءُ طىَّ لَهاتى

وأرى رسْمَكِ الحبيبَ مطلاً

من سمائى وجدولى ورباتى

مطرقًا فى السنا كزنبقة الصيـ

ـف كطيفِ الغريبِ فى المرآةِ..

* * *

أسرعى قبلما تغيبُ الأمانى

فى دخانِ الهمومِ والحسراتِ

○إلى قلبى العليل!○

يا شاكيًا من فدحةِ الألمِ
والطبُّ عن شكواهُ فى صَمَمِ
هلاَّ وقفت بها . لتسعدنى
منْ ضرها . فى الشاطىء العدمِ!
أضويتنى حتى ذبلتُ أسىً
وشربتُ كأس الذل من سَقَمِى
شاهُ الشبابُ وحالَ رُوْنقُهُ
فى عابسٍ بالهمِّ مُرْتطمِ
والناسُ.. لا ناسٌ إذا خلجتْ
عينى.. كأنى فى الحياةِ عمِ!
صَدَفوا عن الشكوى، فلا أذنٌ
تُصغى لما رتلتُ من نغمى
حسبوا أنين القلبِ فلسفةً
عبثتْ بها انشودةُ القلمِ

فتغافلوا عني، ولو علموا
شربوا صبابَ الدمعِ منّ المي!

* * *

وجعٌ بقلبي شلّ دورتهُ
لولا حَراك هفَّ منْ قدمي
كالطائر المذبوح منتفضًا
خفقانهُ في جانبِ الظلمِ
قلقُ المهادِ، كأن مهجتهُ
من ريقةِ الأفعى تعبُّ دمي
أو أنه إلمٌّ يقلّبهُ
وَخْزُ الضميرِ بوقدةِ الندمِ
إما شكوتُ جراحهُ وهنًا
ماتتْ شكاةُ القلبِ طيَّ فمي...
يامحنةً فتكت براحتهِ
فتكَ اللظى باليابسِ الحُطمِ
هذا العليلُ بأضلعي دنفٌ
لهفانُ يرزحُ في ضنىً عَتَمِ
كم ثورةٍ للحبِّ جائحةٍ
طاحتْ به في ساعرِ الضرمِ!!
ودفينةٍ أبلتْ لفائفه
منْ كلِّ خافي البؤسِ مُكتتمِ

مشغوفة بصباه تأكله

بالحزن أكل الجائع النهم

جعلتْ سرائره لها طلقا

تقتاتُ منْ جنَباته بدما

يا ملهمي الشكوى معذبتي

بفواتك[1] الأحزانِ والسقم

شكواك يا مسكين نبْرُ شجيّ

بلعتْ صداهُ سُدْفَةُ الظُّلم

هي خفقةُ المزمارِ طيْرها

بددًا مع الأرواح والسُّدُم

○

(1) فواتك: جمع فاتك من فتك بمعنى قتل على غرة.

○الشعرةُ الهاربةُ...○

«لمحتها فجأة على معصمى هاربة من
ذوائب حسنائى فكانت وحى هذا النشيد»
١٩٣٩

من أى تاجٍ طاهرِ المَفْرِقِ
أتيت لى حيرى كقلْبى الشَّقى؟
فارقتِ عرشَ النورِ فى سُحْرةٍ
الله فى موكبها المونق!
فجرٌ نهلتُ الوصل فى ظلِّه
خمرًا لغير الروح لم تخلقِ
أندى على قلبىَ من روحهِ
ومن شذا أنسامِهِ الريِّقِ
معصورةٌ من كرمةٍ فى الرؤى
ريًّا بغير الطهرِ لم تَستَقِ

قبل انبثاق النور كانت سنًا

محجبَ التلماحِ والمشرقِ

ونغمةً تشدو على ضوئهِ

عُلْيا لغير الحبِّ لم تخفقِ!

يا زهرةً كانت بوادى الهوى

تندى على جدوله الرِّيقِ

شرابُها النورُ إذا ما ارتوتْ

من هالةٍ سحريةِ الرونقِ..

لما احتوانا الوجدُ فى ساعدٍ

وضمَّنا الحبُّ على مرفقِ!

كنا سعيرًا خالدًا فى الهوَى

فكيف فى نجواهُ لم تحرقى؟

○خاطرة مفاجئة! ○

أنا

«.. إلى التى حملت لى الأسلاك شدوها
بأغاريدى، وعتابها الغامض على صمتى»

أيها الصوتُ! منْ وراءِ الغيوبِ
كيف هيَّجْتَ مزهرى للنُّحيبِ؟
أنتَ أشعلتَ ماضيًا مزَّق الرو
حَ وألقى حطامها فى اللهيبِ
أنت عاتبتنى على الصمتِ.. فاسمع
نغمات الجراح تحت الجنوبِ
لاتلمنى فإن صمتى شِعرٌ
البَستهُ الأيام ذلَّ الغريبِ
أنا همسٌ يموت فى قلبِ نايٍ
نبذته الرياحُ خلف الكثيبِ

أنا ترنيمةُ الحزانى! أنا اليتـ

ـم! أنا الشجو ذائبًا فى القلوبِ

أنا حظُّ التـرابِ من موكبِ الدنْ

ـيا! وفى القبر ذرةٌ من نصيبى

أنا نوحُ المظلومِ بينَ زحامِ الدّ

هر يدعو ومالهُ من مجيبِ

أنا جرحٌ يدبُّ فى هذه الأرْ

ضِ. وقد ملَّ عائدى وطبيبى

أنا زهرُ النعوشِ ماتَ عبيرى

وغدتْ بهجتى رمادَ الخطوبِ!

أنا صمتُ الكهوفِ يهتزُّ للوحـ

ـى إذا هلَّ فى السكون الرهيبِ

أنا فنٌّ معطلٌ سجنتهُ

ثورةُ الحبِّ فى الغرام الكئيبِ..

فأعيدى الحديث يا جارة المنـ

ـكِ ونوحى لعاشقٍ مكروبِ

أنا إثمٌ.. والحبُّ غفرانُ ذنبى

فاسألِيه علام ينسى ذنوبى!!

○

○ حين أطرقت... ○

«لفها صمت عميق فى مساء يوم من أيام الشتاء، فبدت فى هالة من الجمال الحزين.. أشبه ما تكون بأغنية سماوية على شفة ملاك نائم!»

٦ يونية ١٩٣٨

أطرقت كالخيال فى خاطرى السّا
جى، وكالنبع فى الظلال الحزينَهْ
تتملّى فى صمتها.. ذاتَ جفنٍ
شاعرٍ فى الدجى يواسى شجونه
أطرقت! يا لَكُربة النأى من يُدْ
كى هواها؟ ومن يناغى لحونه؟
من يواسيه إن طغت ثورةُ القلـ
ـبِ فهاجتْ لها الهموم الدفينه
منْ له؟ آه من لأنغامه السو
دِ إذا شبتِ الليالى أنينه؟

كم شـــدا فى ظلالهـــا ناعمُ اللحـ

ـنِ، وألقى على يديهـــا رنينهْ!

ناغمًا بالهوى كقمرية الفجـ

ـرِ طروبًا كالنحلة المفتونهْ!

مـــا لهُ عـــادها فصـــدَّت أمـــانيـ

ـهِ وظلَّتْ فى الصـــمتِ وَلْهى حـــزينهْ

* * *

أطرقتْ فى الظلامِ كـــالأبد الوسـ

ـنانِ مـــا فـــرت الدياجى سنينهْ

صـــمتـــهُ الغيبِ غلَّفتْهُ يدُ اللـ

ـه، وأخـــفت عن العـــقول كـــمينهْ

مـــثلَ ريحـــانة المســـاءِ جـــفـــاها

نَسَمٌ منه، فـــاســـتطابتْ سكونَـهْ

يَعْبَـــقُ المـــرْجُ فـــى الدجى مـــن شـــذاها

وهى وَسْنَى بين الروابى ســـجـــينهْ!

* * *

إيهِ مـنْ تلهـمُ الأغـــــاريدَ، تندى

من صـــفـــاءٍ، يا بؤس منْ تلهـــمـــينهْ!

ظمئَ النايُ للتـــغنى، فـــهـــاتى الـ

ـكأس، وروِّى لِيَـــاعَـــه وحنينـهْ

انت فى الصمتِ ايةٌ فجَّرَ اللـ

ـهُ عليها منَ الجلال معينة

فاصمتى أوْ فعاودى الصبَّ بالسحـ

ـرِ! وناغى هُيَامَهُ وفتونه

بيتُ شعرٍ على جبينك غافٍ

أيقظَ الصمتُ سرهُ وفتونة

وفؤادى الذى تكشف نجوا

هُ وذرّى على الخيال دفينة..

وعلى الأعين السواجى صلاةً

أنا منها فى خَشْعةٍ وسكينة

ما لتُسْكِنها وجودًا ولكن

عابدُ الحُسْن . وحَدَهُ . تعرفينة

وعلى الصدرِ هزةً جاوبتها

ضَجَةٌ فى مشاعرى مجتونة

خِلْتُ منها وزفرةُ الصمت تغلى

نارُ زقٍ من الأسى تتفجينة

وعلى الثغر جدولٌ منْ أغانٍ

آه لو فى جوانحى تسكبينة!

نشرتْ مهجتى القلاعَ على شطٍّ

بهِ شوقًا . فرحمتا للسفينة

لم تجدْ مرفأً لديهِ سوى الصمْـ

ـتِ، وشطٍ مُغيَّبٍ ترقبينهْ

وظلالٍ وراءَ كونٍ بعيدٍ

فجَّرَ الصمتُ فى رُباها عيونَهْ

طَيرُها نام فى رُفاتِ الأغانى

بعدما أسْكَرَ التَّغنى غُصونَهْ

فلأىٌّ من الضفافِ سيمضى

سابحٌ فى هواكِ لاترحمينَهْ!

قد هجرتِ الخيالَ والشعرَ والصمـ

ـتَ.. وخلَّفتِ نارَهُ وجنُونَهْ

وامَّحى كونُكِ المجسمُ.. إلاَّ

قَبَسًا من صبابةٍ تُشعِلينَهْ

رُحتِ تذكينَهُ من النظرِ السا

هى وفى مَعبدِ الهوى تُضرمينَهْ!

رحمةً بالحبيب يا هالة الوحـ

ـىِ! وزُفّى ضياكِ يُسنّى عيونَهْ

وإبسمى! أو تكلَّمِى! لا وإنْ شئْـ

ـتِ فلَحْظًا على دمى تَنْشُرينَهْ

يُنشَرُ السحرُ والهوى والأمانى

فوق دنيا بخاطرى مَحْزونَهْ

او فصمتا ورفرفى حول روحى

واسكبى الوَحْىَ فى ظلال السكينة

انت تسبيحتى هدوئى فى الكو

خ وأغنيتِ لى ضجيجَ المدينة

وجعلتِ الأكوانَ لحنًا خفيًا

ليتَ . يا لوعةَ المنى . تعزفينهْ!

وَتَرى مات فى يدىَّ حنينًا

وغليلُ الهيام أبلى متونهْ

فابعثيه من البلى يَتغنَّى

مثلما كنتِ دائمًا تسمعينهْ

لفظةً منكِ فتنةً وحياةً

تتهادى بها الأغانى السَّجينهْ

أنت يا سَلْوتى على نَكَد الدنـ

ـيا، وصفوى على الليالى الحزينهْ

شاب عمرى ولاتَ.. والروحُ أضْحَتْ

من أساها يتيمةً مَسكينهْ

والرزايا أقمنَ عُرْسًا لحظّى

لاتمنيتُ مرةً تشهدينهْ

اتعَايا بشِقْوَتى! والمزامـ

ـرُ بكفى شقيةً موهونهْ

يتسلّى بنا الوجود.. ولكنْ

سلوةُ الذئبِ بالشياهِ السمينَهْ

ونُغَنّيه مُلهَمينَ حيارى

بين رجسٍ، وغفلة، وضغينهْ

فاعذُريني إذا ألحتْ بي النجـ

ـوى لصوتٍ مقدسٍ تكتُمينَهْ

فأنا ظامئٌ.. وصوتكُ للرُّو

حِ عبيرٌ تزيعهُ ياسَمينَهْ

○

○ بُحَيرةُ النِسْيان!! ○

رفرفتْ فى دمى! وَرَفَّتْ على الرُّو

حِ! وذَابَتْ... بُحَيرةُ النسْيَانِ

عندها قدْ نسيتُ ذاتى، وحسى

وزمانى، وعِبْأه، ومكانى

ونسيتُ النسيانَ.. حتى كأنى

هَجْسةٌ فى خواطر الأكْفانِ

فاحْضُنِى يا بحيرتى زَرْوقُ الرو

حِ، وغيبى عنْ ضجةِ الأكوانِ..

○

○ الذهــول ○

نامَ السنَا فــوق ضــفــافِ الذهولْ

.. يا ليــتــهُ يصــحــوا

كــأنهُ زنبــقــةٌ فى الحــقــولْ

.. أسكرهــا الصــبــحُ

أوْ نجــمــةٌ بين ثنايا الأفــولْ

.. مــات بهــا اللمحُ!

أو نَسَــمَةٌ قــيــدها في السُّهــولْ

.. مــن شَمْسِــهــا لَفْــحُ

* * *

نامَ.. ولكنْ يقظةٌ فى الضــمــيــرْ

.. مــثلُ الســعــيــرْ!

الوجــهُ ســاجٍ كــصــلاةِ الغــديرْ

.. بــيــن الــطــيــورْ!

والقلبُ شـــلالٌ عـــتيُّ الهـــديرْ

.. فـــوق الشـــعـــورْ!

يا لهـفـتـاً! والجـفنُ حلمٌ غـريرْ

.. أمْ طـــيـــف نـــورْ!

* * *

حُلـمٌ طـواهُ فـى الأسـىَ والـذُبُول

.. مـــن لـــوعتـــى جُرحُ!

أم دمـــعـــةٌ حَيْرىَ بجـفنٍ كليلْ

.. أتـعـبـــهُ النـوحُ!

أم بلبلٌ تحتَ ظِلالِ النـخـــيلْ

.. أسـكـرهُ الـصـــدحُ!

فنامَ.. واستلقىَ عليـــهِ الأصـيلْ

.. والـــظلُّ والـــدوحُ!

* * *

أم جـــدولٌ فى شطهِ للعـصـــورْ

.. كـــأس تـــدورْ!

أغْفىَ عَليـــهُ، وتَحسّى الشُعـــورْ

.. خـــمـــرَ الدهـورْ!

ورقْرَقَ الـطيّـب لـهُ والـعـطـورْ

.. قـلـــب طُهُـــورْ!

ويلاهُ! هل من رَشفةٍ يا خمورْ

.. للمستجيرْ؟!

سهوانُ يا حُسْنُ، شَدَهْتَ العقولْ

.. فلفها بَرْحُ!

أذابَ أحلامَكَ يومَ الرَّحيلْ

.. بين الحَشا جُرْحُ!

أمْ هاجها فى الأفق طيفٌ جميلْ

.. سرى به نفحُ!

فاستَيقظَ الشَّوقُ! ونَامَ الأصيلْ

.. والمَرْجُ والسَّفحُ!

* * *

سبحْتِ فى دنيا عليها يطيرْ

.. قلبى الكسيرْ!

وذاعَ منْ جفنيكِ فيها عبيرْ

دامٍ حسيرْ!

بيضاءُ، أعيانى إليها المسيرْ

.. يا للمصيرْ!

فعدتُ والخيبةُ تسقى الشعورْ

.. صَمْتَ القُبورْ!

○

○ أنتِ ديرُ الهوى، وشعري صلاةٌ... ○

«إلى غماستي الشاردة.. أهدي هذه الصلاة!»

يولية ١٩٢٨

أقْبِلي كالصلاةِ رفرفها النسْـ

ـكُ بمحرابِ عابدٍ متبتلْ

اقبلي آيةً من الله عليا

زَهْرا للفنون وحسّ منزّلْ

اقبلي فالجراح ظمأى! وكأس الـ

ـحبِّ ثكلى! والشعرُ نايٌ معطلْ

أنتِ لحنٌ على فمي عبقريْ

وأنا في حدائق الله بلبلْ

اقبلي.. قبل أن تميلَ بنا الريـ

ـحُ! ويهوى بنا الفناءُ المعجّلْ

زورقي في الوجود حيرانُ شاكِ

مثقلٌ بالأسى، شريدٌ، مضلل

أزعجته الرياحُ، واغتاله الليـ

ـلُ بجنحٍ من الدياجيرِ مُسْبَلْ

فهو في ثورةِ الخضم غريبٌ

خلطَ النوحَ بالمنى وتنقل

أقبلي يا غرامَ روحي! فالشطُّ

بعيدٌ! والروح باليأس مثقلْ

وغمامُ الحياةِ أعشى سوادي*

ونورُ المنى بقلبي، ترحلْ

أنا ميتٌ تغافلَ القبرُ عني

وهوَ لوْ درى شقوتي ما تمهّلْ

فاسكُبي لي المنا، وطوفي بنعشي

يُنْعشُ الروحَ سحرُكِ المتهالْ

أنتِ نبعي، وأيكتي، وظلالي

وخميلي، وجدولي المُتسلسلْ

أنتِ لي واحةٌ أفيءُ إليها

وهجيرُ الأسى بجنبيَّ مُشْعلْ

أنتِ ترنيمةُ الهدوءِ بشعري

وأنا الشاعرُ الحزينُ المبلبلْ

(*) سوادي: عيني

أنتِ تهويدة الخيال لأحزا

نى، بأطياف نورها أتعلّلْ

أنتِ كأسي، وكرمتى ومدامى

والطلا من يديكِ سُكرٌ مُحلّلْ

أنتِ فجري على الحقولِ.. حياةٌ

وصلاةٌ، ونشوةٌ، وتهلُّلْ

أنتِ تغريدةُ الخلودِ بألحا

نى.. وشِعرُ الحياةِ لغوٌ مُهلهلْ

أنتَ طيفُ الغيوب.. رفرفَ بالرحمـ

ـةِ والطهرِ والهُدى والتبتُّلْ

أنتِ لى توبةٌ إذا زلَّ عمرى

وصحا الإثمُ فى دمى وتَملْملْ

أنتِ لى رحمةٌ براها شُعاعٌ

هلَّ منْ أعين السمَّا وتنزلْ

أنتِ لى زهرةٌ على شاطئ الأحْـ

ـلامِ تُروى بمُهجتى وتظلّلْ

أنتِ سحرُ الغروبِ، بل موجةُ الإشْـ

ـراقِ عنْ سِحرها جنانىَ يُسألْ

أنتِ صفوُ الظلالِ تسبحُ فى النهـ

ـر وتلهو علىَ ضفافِ الجدولْ

أنتِ عيدُ الأطيار فوقَ الروابى..

أقبلى فالربيعُ للطير أقبلْ..

أنتِ هولى، وحيرتى، وجنونى

يوم للحُسن زهوةٌ وتدلُّلْ

أنتِ نَيْرُ الهوى وشعرى صلاةٌ

لكِ طابتْ ضراعتى والتذلُّلْ

أنتِ نبعٌ من الحنانِ، عليهِ

أطرقَ الفنُّ ضارعًا يتوسَّلْ

أعينٌ للخُشوع تغرى فخلْيه

ها على لوعتى تَغُضُّ وتُسْبَلْ

واتركيها وسحرها يتمادى

علَّما [1] «بابلٌ» بنجواهُ تُشغَلْ!

هو فنى، وملهمى.. فابعثيه

فهوَ من زهوه شحيحٌ مُبخَّلْ

يتغافى على الجفون، فإنْ رُحـ

ـتُ أناجيهِ لجَّ فى الكرى وتوغلْ

وانتشىَ من سناكِ وانسابَ فى لحـ

ـظكِ يحسُو الضياءَ منهُ وينهَلْ

وانبرَى من جفونكِ السودِ كالأقـ

ـدارِ يُردى كما يشاءُ ويقتلْ

---

(١) لعلمًا

ليتَ لى من صراعه كلَّ يوم
غـــزوةً فى سكونِ قلبى تُجلجِلْ!
ولكِ الصوتُ ناغمًا! عادةُ الشوْ
قُ فاضحىَ حنينُهُ يترسلْ
نبراتٌ كأنها شجنُ الأو
تارِ فى عودِ عاشقٍ مُترحِّلْ
أو حفيفُ الأذانِ فى مِسْمع الفجْـ
ـرِ ندىُّ الصدى، شذىُّ المنهلْ
أو غناءُ الظلالِ فى خاطرِ الغُدْ
رانِ شعرٌ فى الصمتِ عانٍ مكبلْ
أو نشيدٌ أذابهُ الأفقُ النا
ئى، وغنَّاهُ خاطرى المتأملْ!
ولكِ البسمةُ الوديعةُ.. طهرٌ
وصفاءٌ، وصبوةٌ، وتغزُّلْ
لذةُ الهمسِ فى دمى تنقلُ الرو
ح لوادٍ يصفو عمرى مظلَّلْ
فاسكبيها على جَنَانى، وخلِّى
سحرها فى مشاعرى يَتهدَّلْ!
ولكِ الهدأةُ التى تغمرُ الحمْـ
ـرى منَ السكون ويشملْ

واحـــة للجـــمـــال، قلبيَ فـــيـــهـــا

من أسى الدهر ناسكٌ مـــتـــعـــزِّلْ

علَّمـــتني ظلالُهـــا كـــيفَ أنسىَ

صـــخبَ الهمِّ وهو عـــصفٌ مـــزلزِلْ

ولكِ العفـــةُ التى عـــادَ منْهـــا

«مـريمىُّ» الستـور فـوقكِ مـسبلْ

ولك الحبُّ ســاعـــدى فى وغى الأيْا

مِ والـقـلـبُ وهـنـانُ أعـــــــزلْ

فـتـعـالىْ نغيبُ عن ضـجـة الدُّنـ

ـيـــا، ونمضى عن الوجـــود ونرحلْ

وإلى عُشنا الجـمـيلِ.. فـفـيـــهِ

هـزجٌ للـهـــــوى وظلٌ وسلسلْ

وعـــصـــافـــيـــرُ للمُنى تتـــغنى

بالتـــرانيمِ بين عُشبٍ وجـــدولْ

وغـــرامٌ مُقـــدسٌ، كـــاد يَضـــوى

نورهُ العـذبُ فى سـمـانا ويُشْعَـلْ

ووفـــــاءٌ يكاد يسطعُ للدنـ

ـيـا بِشـرعٍ إلى المحـبين مُرْسَـلْ..

عـــادَ للعشْ كلُّ طيـــرٍ، ولم يبْـ

ـقَ سـوىَ طائرٍ شـريدٍ مـخـيلْ..

هو قلبي الذي تناسيت بلوا

ه.. فاضحنَ على الجراح يُولولْ!

أقبلي.. قبلَ أنْ تميلَ به الري

حُ، ويهوى به الفناءُ المُعجَّلْ!

○ عارية ستانلى باى ○

منْ علمَ البحرَ لجاجَ الهوىَ
وأترعَ الحبُّ بشطآنهِ؟
وقالَ للموجةِ: خمرُ الصبَا
صافٍ، فعبِّى الكأسَ من حانهِ؟
وأنشدى فى الشطِّ أغنيةً
أودعها النايُ بألحانهِ؟
حُوريةٌ صورها ساحرٌ
منْ روعةِ السحرِ وسلطانهِ
لو شامَها قسٌّ بمحرابهِ
يُذوِّبُ الروحَ لقربانهِ،
لأحرقَ القلبَ بخورًا لها
وأشعلَ النارَ بصلبانهِ!
عريانةٌ قدتْ مُسوحَ الصبَا
منْ بهجةِ الفَجْرِ وألوانهِ

لمْ تـرضَ بالديبـاج سِتـرا لهـا

مُهـفـهَفَ الطرفِ بقـمـصـانهِ

فـهلهلتْ أسـدالهـا فى الضُّحى

ورفـرفتْ طيـرًا ببـسـتـانهِ

أندىَ على الأرواحِ منْ نسـمـةٍ

فـيـحـاءَ يذْكـيـهـا بريحـانهِ!

سـارتْ إلى البـحْر وفى هولهـا

مـا يضـرِم النار بقـيـعـانهِ

ظمـأى لِظمـآنَ هفت مِثلمـا

يهـفـو حـشـا الطَّيـرِ لغُدرانهِ

يا فـتـنةً رفَّـتْ علـى فـتـنةٍ

كـالعَـرْف إذْ رفَّ بِعـيـدانهِ

سلبتِ رُشْـدَ البـحـرِ حـتى غـوى

وأذهلَ العـقـلَ بطُغـيـانهِ

هـذا الـذى جـردتـهِ لـلسُّنا

يمَيسُ كـالـزهـر بأفـنـانهِ،

فـضـيـحـةُ الحـسنِ أُتيـحتْ لنا

من شططِ الغـربِ وكـفـرانهِ

جِسـمٌ لـو أن الـروحَ ألـقـتْ لـه

زِمـامَهَا . فـرَّ لأكـفـانهِ

خـزيانَ مـزقتَ نِقـابَ الحـيـا

مِنْ كلِّ مـسـتـورٍ بجـكُمـانِهِ

يُرعِشـهُ الخِزيُ إذا مـا انبـرى

فى لهـوهِ العـارى وتَفْنانِهِ

فـيـحـسبُ النـاظرُ مِنْ فـتنةٍ

كـهـربةً تجـرى بِسـيـقـانِهِ!

* * *

يـا بـدعـةَ الشَّطِّ سلبتِ الهُدى

مِنْ كلِّ مـعـصـومٍ بإيمـانِهِ

لـولا جـلالُ الفـنِّ فـى بُهْـرةٍ

للحُسْنِ اصلتنى بنيـرانِهِ،

ألهبتُ فى شعرى سعيـر اللظىَ

ورُحـتُ أُصـلـيـكِ بـأوزانِهِ

أو ألهمَ البـحـرُ مِسـانَ الحِجـا

لأغرقَ البـرَّ بطوفـانِهِ

ولمْ يدعْ فى غـمـرِهِ سـابحًا

يُصـافـحُ الموجَ بشطآنِهِ!!

○ دمعة فى قلب الليل ○

١٩٣٨

فَزِعتْ للظلام رُوحى كـــمـــا يفـ
ـزَعُ أعـشى لوَ مـضـةٍ من ضـيـاءِ
فـحـبـسـتُ الخـيـالَ حـتى إذا مـا
ضجَّ فى خـاطرى من البُـرَحـاءِ
هـربتْ أدمـعى إلى سـاحـةِ الليـ
ـل تهـاوى فى الدجـيـةِ الظلمـاءِ
مـا لهـا فى السُّنا مـلاذٌ ولا فى
فـجـة النورِ خـفـقـةٌ من رجـاءِ
سـاقَهَا فى الظلامِ حـادٍ من الهمْ
بـلا رَيْثـةٍ ولا إبطـاءِ
مـسـتـحثُّ الخُطىَ حـدوبٌ على القـ
ـلْـب يزجيـهِ فـى رحـابِ الفـضـاءِ

فى عباب الدجى يهيمُ بمسرًا

هُ فتضويه غيبةُ الميناء

ليتَ ملأحنَ الضلولَ هدتهُ

بارقاتُ الهُدى لشطِّ الفناء

طالَ فى الليل سبحهُ وهوَ حيْرا

نُ شجتْه مضاضةُ الإعياء

وطحتْ بالشراعِ هباتُ ريحٍ

عاصفاتٌ من زعزعٍ نكباء

إيهِ ياليل! قد لى من حواشيـ

ـكَ حجابًا وناجنى فى خفاء

لا تُذعْ شجوىَ الكئيبَ ولا تكـ

ـشفْ دموعى لأعين الرقباء

ودَعِ النسمةَ العليلة تحسو

من فم الزهر بلسمًا للشفاء

ودَعِ الكونَ هاجعًا، ودعِ النأ

سَ نشاوى فى غمرةِ التعماء

خلِّنى للدموع وحدى أُناجيـ

ـها وحيدًا فى العُزلة السوداء

أنا من كأسها شربتُ صبيًا

خمرةً سلسلتْ من البأساء

عُصـــــرتْ من مطارِفِ الألمِ الدَّا

وِى بقلبـى وعُتْقـتْ فـى دمـائى

تخـذت جـامـهـا المحـاجـرَ والسَّا

قىَ همًّا يؤجُّ فى أحـــشـــائى

هىَ أشـهى إلى عـيـونى من النُّو

ر، وأبهـى مـن لمحـــــةِ الأنـداءِ

هاتِ يا ليل قَطرهَا فـهى حـيـرىَ

كـتـمتْ بَرْحـهـا من الكبـرياءِ

سـبـقتْ مطلع الندى لكَ.. دعْهـا

تتـهـادى للسُّحـرةِ الفـيـحـاءِ

ربما أطلعتْ بِظلكَ فـجـرًا

شـعـشـعتْ منه هالةً فى السمـاءِ

ربمـا روتْ الأزاهـرَ فـى المـرْ

ج فـمـاستْ فى الربوة الغناءِ

ربمـا فـجَّـرْت لقلبـك نبـعًا

وِرْدُهُ مُنيـةُ القلوب الظمـاءِ

همـسـهُا فى الجـفـون أصداءُ نايٍ

بلعتْ شـدوهُ رياحُ المسـاءِ

مِزْهـرٌ للعـيـون أوتاره الهُدْ

بُ.. وأنغـامُه رنينُ البكاءِ

صـــامتٌ فى الظلام ألهم قلبى

من مـعـانيـه عـبـقـرىُّ الغناءِ

لا مَنى فى هـواه خـــالٍ من الهمْ

بليـدُ الفـؤادِ حمُّ الغـبـاءِ

ردَّ عنى يا ليل دعـــواه.. إنّى

كـــدْتُ من لَومـــه أحطِّم نائى

لغـةُ الدمع فى سـمـاءٍ من العِصْـ

ـمة عـزتْ مـشـاعـرَ الأغـبـيـاءِ

حـبَسَتْ وحـيـهـا عن العـقل إلاَّ

حـين تسـمـو مـلاحِنُ الشـعـراءِ!

* * *

هات يا ليل من أغـــانيكَ وامْلأ

نغـمى بالخـواطرِ الهـوجـاءِ

أنا فى غـــاركَ المغلَّفِ بالظلْـ

ـمةِ أسـيـانُ مُثـقلٌ بالشـفـاءِ

حكمـةٌ فى دُجـاكَ أنكرَها العـقْـ

ـلُ فـلاذتْ بالصـمت والإنزواءِ

سـمـعَتْ أُرْغُنَ الليـالى فـهـامتْ

من صـداه بنغـمـةٍ خَرسـاءِ

هوَّمَتْ فى الفـؤاد تُزجـيـه للحـيَـ

ـرة والسـحـرِ والأسى والعَنـاءِ

واسِ يا ليل جـــرحَهُ فلقـــد طا

ل أســـــــــاه بـريـقَةِ الأدواءِ

أنتَ بحـرُ الحـيـاة يا ليل كم فـيـ

ـكَ أهاويلُ من صـــروفِ القَضاءِ

كم غـــريقٍ بيـــمك الأســـودِ الصّا

خِبِ أدتهُ صـــرعـــةُ الأنواءِ!

صـفـعـتـهُ عنيـفـةٌ من كـفـوف الدم

فـــانحطَّ فى مـــهـــارى البـــلاءِ

وسـبـوحٍ على مـتـونكَ مـجـدُو

دٍ تخطتـــه هيـجـــةُ الدأمـــاءِ!

قـد ضـمـمتَ الأكـوان تحت جناحـ

ـيكَ سـواءً فى جُنْـحِ هذا العـمـاءِ

هـوَ ذا الـكـوخُ رازحٌ تحت أثقـــا

لكَ وهْنـــانُ كـــالضـــريرِ المُســـاءِ

حـــاكَ من سـدْلِكَ الكحـيلِ غطاءً

وارتمىَ جـــاثيًا ببطن العـــراءِ

عـــابرٌ فى حِمـــاكَ شـــفتْ مطايا

هُ شـجـونُ السـرى وبـرْحُ الحـفـاءِ

لم يجـدْ راحِمًا يواســـيـه فى البلْـ

ـوى ويُنسـيـهِ مـضَّـةَ الإنضـاءِ

فـالـغـافىَ من الضنىَ يَنْشُـد الرحـ

ـمـةَ والصـفـوَ فى الخـيـال النائى

رجـفتْ شـمـعـةٌ بجنبيْه تهـفـو

فى دُجـاه كـالمُقلةِ العـمْشـاءِ

خنقَ الليلُ نورها خِنْقـةَ البـؤ

سِ لأرواحِ أهلهـا (التـعـسـاءِ)

فـرنتْ للقـصـور غَيْـرَى شـجـاها

أخـيـلُ من لواحِظ (الكهـربـاءِ)

سـادرٌ فى البـروج كـادَ من الفـتْـ

ـنةِ يَرقى إلى بروجِ السـمـاءِ

لَقَـى الليلُ حـتـفـه حـين وافـا

هُ طريـدًا مُعـرْسًا فـى الخَلاءِ

فـثـوى فى التـخـوم كـالهمْ ألقى

رَحْلَـهُ صـوبَ هالةٍ من صـفـاءِ

ودَنَا الفـجـرُ فى غـلائهِ البـيـ

ـضِ شـفـيفَ الإهابِ نضـرَ الرواءِ

يسكب النُّور. فى العـيـون.. ولكنْ

أين للروحِ ومـضـةٌ من سناءِ؟!

أين فـجـرُ الجنان؟ يا فـجـرُ هدهدْ

نغـمـاتى، ولا تُضـيِّعْ ندائى...

○

○ أغنيةٌ ذابلة! ○

١٩٣٩

غنيتُ لمّا شاقنى الملتقى
باسمكِ، فى الحِرمانِ، يا زهْرَتى!
فماتت لحنى فى شِفاهى! وما
حظيتُ بالسُّلوانِ منْ غُنْوتى!
عبدتُها.. روحًا إذا رفرفَتْ
طهرتُ فى أنوارِها سجدتى
لا بهجةُ الدُّنيا، ولا صفوُها
يَشْغَلُ عن تقديسها فكرتى
فى كلِّ لمحٍ من سناها هوى
وفتنةٌ جُنّتْ بها فتنتى
وكلُّ نبرٍ من صدى صوتها
دُنيا من اللحن بقيثارتى

عـبـدتُهـا.. مـابال مَن أرخصتْ

رُوحى لهـا تَمـعِن فى جـفوتى؟

قُدسـيـةُ الألحـاظِ إمّا رنّت

قـبـستُ من أجـفـانهـا عِفّتى

كم سـامـرتْ روحىَ تحتَ الدُّجىَ

فى غـيـر مـا إثمٍ ولا ريبـةْ

وألهـمـتنى الشـعـرَ.. هل اسمعتْ

أذنـاكَ لحنًا مـن شـذا وردةْ؟

○ الصَّـديق! ○

سـألتُ عنه.. فـقـالَ الوهْمُ . مُرتبِكًا

رُفـاتُ أُسْطورةٍ كـانتْ تُسلّينى

دَفنتُها فى خـيالى يَوْمَ أنْ عـصفَتْ

بِىَ الهـواجِسُ فى أحـلامِ مـجنونِ!

○

○ من نار المعْترك ○

○راهبُ الغَرب○

«ألقيت فى أحد المؤتمرات الوطنية التى عقدها الشباب فى (مصر) احتجاجاً على تصريح المستر هور وزير خارجية انجلترا إبان ثورة سنة ١٩٣٥م».

هاجَها مِزْهرى وقد خَنق القَيْـ
ـدُ أناشيدهُ فضجَّ وثارا

وهْىَ حيرىَ تُطِلُّ لهفى على النيـ
ـلِ وترنُو لمتْعَبينَ حيارى

مُنْذُ خَمْسينَ.. لم تحرِّكْ إليهِمْ
قَدَمًا، أو تُطِقْ إليهمْ مَزارا

دَرَجْت فى السنين من عهْد «خوفو»
حُرَّةٌ ما وَعتْ لديْها إسَارَا

عقدَتْ تاجهَا على الشمس كِبرًا
أنْ يُحلى جواهرًا ونُضارا

وبَنتْ عـرْشـهـا على مـفْرِق الأهـ

ـرام زهوًا بمجـدِها وافـتـخـارا

وَجَرَى النيلُ سـاجـدًا بينَ كـفَّيْ

هَا جـلالاً وروعـةً وصـغـارا

ثـمَّ دارَ الـزَّمـانُ دورةَ نَحْسٍ

فـإذا حظُّهـا مع النحْسِ دارا..!

وإذا راهـبٌ أتـاهـا مِنَ الـغـارْ

ب تقى يَروعُ منهـا الجِـوارا!!

قـال: إنجـيلَ السَّلامُ! فـقـالتْ:

مـرحـبًا بالسـلام خَلا وَجـارا!!

أنا رَيْحـانةُ الغـريب، وكـهفٌ

للذى عـزَّه الحِمى فـاسـتَجـارا

نيلَ الخـمـرُ.. ذُقْ طِلاهُ، وقُلْ لى:

أيـنَ خـفَّ الجَنَـانُ مـنـك قـطـارا؟

سلْسلٌ يُلهِمُ الهـدى للذى ضلَّ

وإنْ كـان فـاجرًا كَفَّارا

وجِنـانـى مُنَضَّراتٌ حـوالٍ

حـالِمـاتٌ تروِّعُ الأفكـارا

جـوسـةٌ فى خـلالهـا تُرقصُ الرُّو

حَ صـفـاءً وتُسْكِرُ الأعـمـارا

كـانتْ الطّيـرُ سُكتًا.. فـتـهـادَتْ

فى سـمـائى فـهـاجت الأطْيـارا

فـإذا مَا المسـاءُ عطّلَ فـاها

نفَرَتْ فى الصـبـاح دُفّاً وطارا

أنـا فى الشـرقِ هـالةٌ لو رآهـا

فـاقـدُ اللّمْح فـجّرَ الأنوارا

انْطقتْ «بنْتشور» (١) فى صـمْتِهِ الدّهْـ

ـرَ فـغنّى وخلّدَ الأشْعـارا

أنا ديرُ الجـمـالِ يا راهبَ الغَرْ

بِ فـهـيّجْ بساحـتى المزْمـارا

جُسّ رحـابى، وطُفْ حـوالىَّ، واخْشع

وادعُ مـا شـئتَ جَهـرةً وسِرارا

إنّ للضـيفِ فى حِمـاىَ . وإن ذلّ

حـمـاهُ . مَعـزّةً ووقـارا...

فـشَجّى الراهبُ المقنّعُ مـاقـا

لتْ، وألقى عَنْ جـانبـيْه العِذَارا

وسـرى فى الديار تَصْحـبُهُ الفَتْـ

ـكةُ أنّـى مـشىَ وأيـانَ سـارا

سـاطيًا فى الخـفـاءِ أنـاء، وآنـا

يَخْتل الناس لا يُبـالى جِهـارا

---

(١) بنتور: شاعر من قدماء المصريين خلد موقعة قادش بملحمة من الشعر القصصى.

أطعمتهُ غضاضةَ القوم حتى

ظنَّهُمْ . ضلةً . لديه أُسارى

فبدا بينهمْ هِزَبْرًا إذا ما

صاحَ خلفَ القَطيعِ ولّى فِرارا

كلَّما ضجَّ منهمُ قلبُ حُرٍّ

أتْرَعَ الكأسَ من دِماهُ عُقارا

وقَّحَت طبْعَه القذائفُ تُلقَى

لم يرُعْها الردى، ولم تخش ثارا

تسفِكُ الرُّوحَ باللظى! وهى ثمْلى

رواياتٌ من الدماء، سُكارى

علمتْه السفاهَ فى مَنْطقِ الحقِّ

فأخزتْ حياءَهُ المُستعارا

قالها «هوَرُ» (١) كلْمةً ساقها البَطْـ

ـشُ فجرَّتْ على حِمىَ النيل عارا

كم أستْ أنفسًا! وأفنتْ ضحايًا

فى صداها! وجَرَّحَتْ أحْرارا!

أيقظتْ (مِصْرا!) من سُباتٍ لَوانَّ الصَّخْـ

ـرَ فيه لما أطاقَ الغِرارا (٢)

---

(١) هور: وزير خارجية إنجلترا صرح بتصريح ضد مصر.

(٢) الغرار: القليل من النوم والمراد: البقاء.

فـرنتْ نحو ضـيـقـهـا علّ عـتـبًا

يَرْعـــــوى منهُ أو يَسُوق اعْتذارا

فـــإذا بالمسـوحِ شـعـــراتُ ذئبٍ

خَشِي السُّطْوَ جـهـرةً فـتـوارى!

وإذا الديْرُ فـــورةٌ مِنْ دمـــاءٍ

تتلظى فـتُفـزِعُ الأقـدارا!

وإذا بالتى شـجـاهَا نَشِيـدى

ومَرَى جـفـنُهـا الدمـوعَ الغـزارا،

هى (مـصـرُ) التى أثارَ شـجـاها

انْ تُطيقَ القُلوبُ عنهـا اصطبـارا

كبّلوهـا بكـلّ قـيـدٍ اثـيـمٍ

عـاقَهـا انْ تجـوسَ تلكَ الديارا

سألتُهم: عـلام أسـرى؟ فـصـمُّوا

وأصـروا واستكبـروا اسـتكبـارا!

• • •

فـابعـثـوها تُصِمُّ سـمعَ الليـالى

ثـورةً تُضـرِمُ السَّمـاكَيْنِ نـارا

سـاتَ عـهْدُ الكلام! فلنجـعل الثـوْ

رةَ والموتَ للجـهـادِ شِعـارا!

○

○على مذبح الحرية○

«ألقيت فى احتفال الأمة المصرية بذكرى شهيد «دار العلوم عبدالحكم الجراحى» فى ثورة ١٩٣٥م وهى استيحاء موكب من مواكب الشهداء شق القاهرة وهى تضطرم كالجذوة فى غروب يوم من أيام الثورة السالفة الذكر».

يَا وادِىَ المـــوتَى بِشـــطَّكَ راقِدٌ
خـــفـــقَتْ لَهُ الأرواحُ بالصلواتِ
مـــا ضَمَّهُ جـــدَثٌ هناكَ.. وإنمَا
حَضَنَتْه دُنْيـــا النُّورِ فى هالاتِ
سهِرت عليهِ مِنَ السماء ملائِكٌ
تُضْفى عليه سوابغَ الرحماتِ
ألقُ الضُّحى فى ساحه مُتصوفٌ
ورِعٌ يطوف بأقدسِ الحُرماتِ
وعِوابُرُ الأنسام تخْطِرُ حولهُ
ريًّا بِنفحِ عُطورِهِ عَبِقاتِ

تنسابُ خاشعةً، وتسربُ عفةً

كمطيّبٍ يمشي على عرفاتِ

والفجرُ قبلَ شروقِهِ فوقَ الرُّبى

يختارُ منهُ وشائعًا القاتِ

أفواهُ منْ لُمَعِ السنا، ومطارفٌ

يُلقى غلالتَها على الربواتِ

ويسُوفُ[1] عطرَ الخلدِ منْ جنباتِهِ

ويذيعهُ منْ أكئوسِ الزّهراتِ

سألَ الدُّجى أسدافَهُ لما بدَتْ

في ليلهِ الغيمانِ مُلتمعاتِ:

ما بالُ ما أسدلْتِهِ فوقَ الورَى

وضفوْتِهِ منْ حالكِ الظُّلماتِ

لمّا نزلتِ بهِ على هذا الحِمَى

أضحَى مُشوعَ[2] الشمسِ فوقَ رباة[3]

فأجابتِ الأسدافُ: إنَّ مُضرَّجًا

بدمِ الفداءِ أضاءَ لي قسماتي

لمّا لمحتُ رفاتَه خلتُ الضحى

يُزجَى ركابَ النورِ فوقَ سماتي

---

(١) يسوف: يشم.

(٢) مشوع الشمس: ارتفاعها.

(٣) رباة: الربوة: ما ارتفع من الأرض.

سمّوهُ في الورقِ الشهيدَ وما اسمهُ

إلاّ الخُلودُ بصفحةِ المُهجاتِ!

ما زالَ سِحرُ النيلِ طيَّ حفيرهِ

يرتاعُ منهُ الذرُّ في الحَصَياتِ

وطلاسمُ الأهرامِ فوقَ جبينهِ

قبسُ الخلودِ يشعُّ للنظراتِ

وشعاعةُ الإيمانِ تُشرقُ بينَها

كالنجمِ يسكبُ رائعَ اللمَحاتِ

وشواظُ هيجتهِ يكادُ على الثرى

يُذكي اللظى بالأعظُمِ النخراتِ

مِلْ نحوَ مضجعهِ! وأصغِ لجرحهِ

واسمعْ نشيدَ الدمِّ في القطراتِ!

مازالَ يترعُ ثورةً منْ قلبهِ

خرساءَ مُفصحةً بلا نبراتِ

وكأنَّ آخرَ لفظةٍ هتفتْ بها

شفتاهُ . مزمورٌ منَ التوراةِ

وكأنَّ أجراحَ الأسِنَّةِ رايةٌ

حمراءُ شهَّرها الدخيلُ العاتي

لمحَ الشهيدُ خيالها، فتضا[1] لها

روحًا يثورُ بأصلبِ العزماتِ

---

(١) فتضا: نزع وألقى

وأحَالهـا مِزقًا صـواغِرَ أصـبَحت

كـفنًا يذيـقُ القـيـدَ مُرَّ شـمـاتِ

وارتدَّ فى ريعـانِهِ مُسـتشـهـدًا

يُزهـى بِقُدسِ الموتِ فى الحُفـراتِ

وكـأنـهُ لم يلقِ مِن كُربِ الـردَى

إلاَّ رسـيسَ ضنى وَظِلَّ صـمـاتِ!

* * *

أعـوادُ زانٍ كنَّ فى كنفِ البلى

صـفرًا نُبـذنَ بأبشعِ الكسـرات

حـمَّلنَهُ فـأعـادهنَّ عـرائشًا

تخـضلُّ فـوقَ الهـامِ مُؤتلقـاتِ

وكـأنَّ بينَ حنوطه [1] ريحـانـةً

أزليـةً هـربتْ مِن الجنـاتِ

نسـمتْ عـبـيـر الخُلدِ طىَّ سـتُورِهِ

وترعـرَعَتْ فى ريْـقِ النفـحـاتِ

وترى الشُّمـوعَ الموقـداتِ لنعـشِهِ

شُعـلاً مِنَ الفـرْدَوْسِ مُبـتـعـثـاتِ

تهـتـزُّ والهـةً، وتغـضى رهبـةً

كنوادِبٍ فى الركبِ مُسـتـحيـاتِ!

---

(١) الحنوط: كل ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم.

والسابِرِيُّ (١) تخالهُ منْ طيبهِ

بُردَ النبيِّ مُعطَّرَ الصفحاتِ

لفَّ الشهيدَ مُطهرًا فحسبتُه

مَلكًا تهيأَ مهدُهُ لسُباتِ

حارتْ شِفاهُ الهاتفينَ حِيالهُ

ماذا تَنُصُّ لهُ منَ الدعواتِ!

واهْتاجتِ الغيدُ العوانسُ حيرةً

ماذا يُفضْنَ لهُ مِنَ الشرفاتِ؟

الزَّهرُ؟ ما تطيابُهُ! والعطْرُ؟ ما

تسكابهُ لمُعطرِ النسماتِ!

والحُسنُ؟ ما تَلمّاحهُ! واللحْنُ؟ ما

تَصْداحُهُ لمفجرِ النغماتِ!

خُبينَ حينَ رَجوْنَ أيةَ سلوةٍ

فوجمْنَ منْ هوْلِ الردى جَزِعاتِ

يتَّمْنَ أدمُعهنَّ مِن طولِ البُكا

وظَلَلْنَ فى الأبْراجِ مُكتئباتِ!

وَدَنَا الشهيدُ مِنَ القبورِ فأرعشتْ

طربًا بمقدمِ نَعشهِ فَرِحاتِ

كحَمائمٍ نزحتْ فضلَّلَ سِربها

ظِلُّ المساءِ بوحشةِ الفلواتِ

---

(٢) السابري: الثوب الرقيق الجيد.

جـثَمَتْ على الكثبـان تنتظر السُّنا

وأتى الصبـاحُ فهجْن مُنتعشـات

حـتى إذا وافى الحـفـيـرَ كـأنهُ

وَحيُ السـمـاء، مـبلِّجُ الآيات

كادَتْ عظامُ الهـالكينَ تخشَّعـاً

لجـلالهِ تصْطفُّ فى الطرقـات

وتعـودُها الأرْواحُ من فـرحٍ بهِ

وتظلُّ حـتى البـعثِ مُبتـهـجـات

مَـنْ مِثـلُ هـذا الحَيِّ؟ كُرِّمَ مَوْتـهُ

مِنْ سـائرِ الأحـيـاء والأمـوات!

وهناكَ تحت الغـاب يعزِفُ شـاعـرٌ

بقـصـيـدةٍ مكْروبة الأبيـات

أشْجَى بهـا الشـهـداءَ بين قُبـورهمْ

وأثـار شـجْوَ الدِّيل فى الغـابات

وَشـدا، فكادَ الغـابُ يسْجـدُ نشـوةً

ويرتِّلُ الأشـعـارَ فى السَّجـدات

لما أذاعَ شُجـونَهـا فى ليلةٍ

سَـوْداءَ كـالأمواج مُصطخبـات

ونَبَتْ له رُوحٌ تفـيضُ حـمـاسـةً

وَمـضـتْ تلوِّمُـهُ بكُـلِّ ثبـات:

مَا بَالُ قلبك لجَّ فى نَغَمِ الأسى
وفواجعِ الأحلامِ والصبواتِ؟
حطمْ (ربابتَكَ) التى تَشدو بها
وادفنْ نَشيدَ الهمِّ والحسراتِ
وأصدَحْ لنَا بقصيدةٍ وَطَنيةٍ
تَدَعُ الشهيدَ مُسعَّرَ النفثاتِ
أسْمِعهُ قصتَهُ.. فإنَّ حَديثَهَا
سَمَرُ الزَّمانِ بهذه الخُلَواتِ!

* * *

فانسابَ وحْيُ الشِّعرِ من أوتارِهِ
كجداولٍ فى الحَقلِ منسكباتِ
وغدا يُغنِّى فى الحِمَى: يا جَنَّةً
فجَّرتُ بين ظِلالها نَغَماتى!
النيلُ فيها قصَّةٌ أبَديةٌ
والطيرُ قارئُها على العَذَبات (١)
والنَّخلُ فيها ذاكرٌ مُستَرسلٌ
هيمانُ مسحُورٌ على الورَقَاتِ
والنَّخلُ فى صَمْتِ الرياح كأنَّهُ
نُسَّاكُ فَجْرٍ أذنوا لِصلاةِ

---

(١) العذبات: الأغصان.

والشّاعِرُونَ كـــأنَّ مـــسَّةَ جِنةٍ

خـــبلتْهُمُ منْ رَوعـــةِ الخَطَراتِ

تلْقى أنامِلَهُم إذا جَاســـوا بهـــا

مِن زحـــمـــةِ الإلهـــامِ مُرتعِشـــاتِ!

كنّا نَســـيـــرُ بهـــا ولا حُسْنٌ! ولا

فِتَنٌ! ســـوى الأغـــلالِ مُحـــتـــدِمـــاتِ

نُسْقى بهـــا البلوى، ويشْربُ غـــيـــرُنا

منْ نيلهـــا بالأكـــؤسِ الشـــبِمـــاتِ (١)

والقـــيـــدُ يَسْبِـــقُنا إذا رُمنا به

فـــتْكًا.. فـــيـــرْهِقُ عِزَّةَ الخُطواتِ

وإذا بأرْواحِ الشـــبـــابِ تُطلُّ مِنْ

خـــلَلِ الأســـى والـــذُّلِّ مُنـــفَطِراتِ

حـــتّى أتى يومُ الفِداءِ فَزُلزِلتْ

غَضَبًا وراحَت فـــيـــه مُشْتـــعِلاتِ

لبِسَتْ دُرُوعَ النّارِ ثُم تقـــدَّمَتْ

لســـلاسلِ الفُولاذِ مُضْطرِمـــاتِ

نَســـفَتْ صـــفـــائحـــهَا، وأفْنتْ ذَرَّها

وتهـــافـــتَتْ فى التُّرْبِ مُبـــتـــسِمـــاتِ

---

(١) الشبمات: الباردة.

زَشَفَتْ رَحيقَ الخُلدِ قَبْلَ مماتِها

وتهيأتْ لِحِمَامِهُ مُنتشيات

فَوَقَفْتُ أبعثُ ذِكرَها بِمَلاحِنِي

فَشَدَتْ مُرفرِفَةً على أبياتي:

يا شاعِرًا غَنَّى فكاد نَشِيدُهُ

يهتَزُّ فى الأكفانِ مِنهُ رُفاتى

هذا خَيَالُ الخالِدينَ فَغَنِّنِى

وأعِدْ بِشِعرِكَ للشَّباب حياتى!

○

○ إنّى سائر للخلود ○

ألقيت أمام النصب التذكارى لأحد شهداء الوطنية فى ثورة ١٩٣٥م.

منْ دمكَ الغالى قبستُ النشيدْ
يا راقدًا تحتَ ظلالِ الخُلودْ
إنْ لم تكنْ وحيًا لشعرى، فمنْ
يوحى نشيدَ النيل غيرُ الشهيد؟
لفظٌ إذا ما رنَّ فى مسمعٍ
خفقتْ به الدنيا، وطارَ الوجودْ
يحميهِ القيدُ إذا ما عَلاَ
فى شفةِ الهتّافِ(١) زأر الأسودْ
فيذعرُ الفولاذُ منْ هولهِ
ويحطمُ الغلُّ وتبلى القيودْ

(١) الهتّاف: زعيم الهتافين يهتف فيردون هتافه.

أعـــزلُ! لا ســـيفٌ، ولا خنجـــرٌ

لـكـنـهُ بـالـروحِ فـلَّ الحـــديـدْ!!

حـــرٌّ.. رأىَ الأوطـانَ مـــغـلـولـةً

تُسـقى من الغـاصبِ ذلَّ العـبـيـدْ

والـنـيـلَ.. رغـمَ الـكـوثـرِ المشـــتـهى

من مـائه السلسـال فـوق الصـعـيـد:

أضـحى لظمـآنِ الحـمى علقـمًا

مـــرًّا.. وللعـــادى شـــهىُّ الورودْ

والجنة الفـيـحـاءَ فى شطهِ

كـادت من التـسـالِ حـزنًا؛ تبـيـدْ

تقـــولُ: يا غـــارسُ! مـــالى أرى

زهـرى بكفٍّ لم تهبْ لى الجـهـودْ

عـطـرى عـلى أنملُهـــا فـــائحٌ

والشـوكُ فى جنبـيكَ يفـرى الكُبـودْ

والـظـلُّ للعـــادى مِهـــادُ الهَوى

وأنتَ لهـفـانُ بحـرُ النُّجـود!

قـد فـزّعـوا طيـرى بأعـشـاشـهِ

فطارَ فى الأدغـالِ مـثلَ الشـريدْ

حـيـرانَ! لا عُشٌّ، ولا أيكـةٌ

والـقـومُ هـانـونَ بـغضِّ المُهـودْ!

وزاحموا النيلَ فشادوا له

من زحمة الأجسام شرَّ السدودْ!

في كلِّ شيءٍ لهمُ مطمحٌ

ولوعةٌ كبرى ووجْدٌ شديدْ

لو أشعلوا النار ولم يُسعَفوا

بالحطبِ الذاوي فنحن الوقودْ!

يا من رأى «مصرَ» تُعاني الضنى

في قبضةِ الغرب العتُيِّ العنيدْ!

ضيفٌ أتاها زائرًا في المَسَا

فطنَّبَ الخيماتِ عند الحدودْ

وأسفرَ الصبحُ على نحسها

فطاح ميثاقٌ، وخينتْ عهود

وأصبحَ الضيفُ بها سيِّدًا

وسائرُ الأحياءِ فيها عبيدْ!

وإذ بروحٍ من بَنيها سَرى

مطهرَ القلب كروحِ الوليدْ

حرٌّ رأى الأغلالَ موثوقةً

أحكمها في الطوقِ ضيفٌ جحودْ

فهبَّ كالإعصارِ في صرخةٍ

تهزم[1] في الوادي هزيمَ الرعودْ

(١) اهزم: تصوّت.

براحـــةٍ عـــزلاء لكنهـــا

تـروعُ بالحقِّ جَنَان الحـــســـودْ

ناعـــمـــةٌ.. هاجتْ لقـيـدِ الحـمى

شـديدةَ اليـأسِ كـصـخـرٍ صلودْ

وقـــال.. والموتُ على كـــفِّهِ:

لا تفـزعى يا مـصـرُ.. إنى شـهـيـدْ!

وخـــرَّ فى الأرض على وجـــهـــهِ

قـداسـةُ التـقـوى، وطُهـرُ السـجـودْ

شـعـاعـــةٌ للحقِّ منْ جـفـنهِ

تبـــقى منارًا هـاديًا للوجـــودْ

وخـفـقـــةٌ مـاتت على ثغـرهِ

كـادت لهـا شمُّ الرواسى تميـدْ

أنشـــودةٌ عُلويةٌ أصـبـحتْ

فى عـالم الألحـانِ لحنًا جـديدْ

تناغمُ الأطيـار من قـبـرهِ

فى سـاحـة الموتى بلحنٍ بعـيـدْ!

يصـيحُ.. والدمُ على جـسـمـهِ

غـلالةٌ تُـزْرى بضـافى البُـرودْ

يا مـصـر لا تبكى على مـصـرعى

يومًا.. فـإنى سـائرٌ للخلودْ!

مـــا سلوتى فى التـــرب يا امـــتى

رخـــامـــةٌ تزهى، وقـــبـــرٌ مـــشـــيـــد

لن يســـتـــريح العظمُ فى حـــفـــرتى

وتنعم الروحُ بعـــيش رغـــيـــدْ

إلا إذا كنتم ضـــحـــايا المُنى

وســـرتمُ خلفَ ركـــابى وقـــودْ

إمـــا حـــيـــاةٌ حـــرةٌ فى الحـــمى

أو فـــازحـــمـــوا الأرمـــانَ حـــولى رقـــودْ

روحـى عـلـيـكمْ ابـدًا حـــــائمٌ

يـرقب لـلأوطانِ بذلَ الجـــهـــودْ

لا تخـــدعـــونى فى حـــفـــاواتكم

برونقِ اللفظِ وســـحـــرِ القـــصـــيـــدْ

فـــالمجـــدُ أن تُلقـــوا بأرواحكمْ

. لا ترهبـــوا . فى النارِ . هولَ الوعـــيـــدْ

وتحطمـــوا القـــيـــد بهـــا.. إننى

أســـمعُ فى الأكـــفـــانِ جـــرمَ الحـــديدْ

○

○ على قبر شهيد ○

١٩ من نوفمبر ١٩٢٥
«ألقيت على قبر (الجراحي) شهيد ثورة سنة ١٩٢٥
ليلة الاحتفال بدفنه يوم ١٩ من نوفمبر»

مـــصـــرُ ظمـــأى وذلك الدمُ رِيٌّ
لصـــداها... فـــلا تنوحـــوا عليـــه!
كم ســـقـــتنا من سلسلِ النيل خـــمـــرًا
لم تفضْ كـأسـهـا ســوى شـفـتـيـه!
مـــالـنـا نُرخِصُ الـدمـــوعَ إذا مـــا
سُفكـــتْ قطرةٌ على شـــاطئـــيـــه؟
وهو أحـــرى بأن نســـوق الضـــحـــايا
حـــاشـــداتٍ تُزَفُّ لهـــفى إليـــه!
ســـرختْ (مـــصـــرُ) للظلوم.. ولكنى
غلَّفَ الظلمُ جـــهـــرةَ أذنيـــه

تخـــذ النارَ والرصـــاص جـــوابَا

للذى يشـــتكى إســـارًا لديه!

ولوىَ جـــيـــده عن الشـــاعر الحُرّ (م)

وشـــدَّ الأغـــلال فى ســـاعـــديه

وأعـــــازَ الدَّمـــــاءَ نظرةَ ذئبٍ

يقطُر اللؤمُ من سنًا عـــينيـــه

فـــلـــتثُر ثـــورةَ الأبـــىّ! وتُلـــقـــى

كل يومٍ ضـــحـــيـــةً فى يديه!

علَّ طُهـــرَ الدمـــاءِ يُلهـــمـــهُ الطهـــرَ

ويمـــحـــو الأرجـــاسَ من جـــانبـــيه!

○ مرثية غصن الزيتون ○

إلى رفات ملك أثيوبيا،
صرخة السلام في الحرب الإيطالية
للحبشة:

لا زَهْرهُ يندى، ولا هو ينفحُ
ذاوٍ على طرف الصبا متصوِّحُ
ريّانُ أميسُ هدَّلتْ أطرافهُ
هو جاهُ من نارِ المطامع تلفحُ
فرعٌ من الزيتون لم يخفقْ له
فننٌ، ولم يسجع عليه صيدحُ
أنداؤه من حكمةٍ أبديةٍ
صمتتْ فما تلغو ولا تتفصَّحُ
وغذاؤه من رحمةٍ علويةٍ
يضفو بها طيفٌ هناك مجنحُ

تخذ السلام قصيدةً قُدسيةً

يشدو بها شادى السلامِ ويصدحُ

لو رن هاتفها بسمع كتيبةٍ

هوجاءَ فى رهَجِ اللظى تترجَّحُ

سجدتْ له الأسيافُ خجلى رهبةً

وتكفَّأتْ فوق الثرى تتطوَّحُ

* * *

يا سرجةً برواقِ «جينيف» ارتوتْ

من جدولٍ بدم الضحايا ينضحُ

نبعٌ من الأرواحِ سلسلَ فيضهُ

وجرى على بطحائها يتفوحُ

ينسابُ من خلل الجماجم صاخبًا

أمواجهُ من كل عِرْقٍ تطفحُ...

ماذا دهاكِ فلم يدعْ سوسانةً

. من هوله . فى جانبيكِ تُفتحُ

صوتٌ من الطليان أروعُ غاشمٌ

متحفزٌ بين الورى يتبجحُ

خدعتهُ صامتةُ القنابلِ حينما

ذهبتْ تُهددُ بالردى وتُلوّحُ

مـــجنونةً بالموتِ، جُنَّ حـــديدها

ومـــريدُها خطرًا يروعُ ويفـــدَحُ

رعناءُ لو مـــسَّتْ مطارفَ شـــاهقٍ

لا نـدكُّ من عـــالى الذرا يتطرَّحُ

سكرى بخـــمرِ الموت تهـذى جـهـرةً

بملاحنٍ من كـــبـــرها تتـــوقحُ

خـرســاءُ لو نطقتْ أصمَّ ضـجـيـجـهـا

أذنَ الحـيـاة، فـلا تعى مـا تُفـصحُ

حـــبلىٰ بنسلِ النارِ، يا ويلاهُ! إنَّ

ولدتْ فـــحـــتفٌ للبـــرية يكمحُ!

كم أفـــزعتْ «عـــزريلَ» حـين تبـرجتْ

تلهـــو على جُثثِ العـــبـــادِ وتمرحُ!

سلْ أمـــةَ الأحـبـــاش.. كـيف تفـزعتْ

وغـــدت على قُضبِ القنا تتـــرنَّحُ

لم تُغنهـــا الأجـــبـــالُ تعـصمُ هاربًا

أو شـــاكـيًا تحت المغـــافـــرِ يرزحُ

خـيـمـا تُهـا فى الحـرب لو أبصـرتهـا

شُمـــلاً على كتفِ الهـــواضبِ تلمحُ

هى المنُّ للحقِّ ذاعَ بيـــانهـــا

ضـــرمًا عن الوجـــدِ المكتم يُفـــصحُ!

يا رُبَّ مُسودِ الجبين بظلها

قسماتهُ عند الوغى تتوضحُ

يصليه إيمانُ العزائمِ باللظى

فيضلُّ من قبساتهِ يتروحُ

يَلقى الطغاةَ بعزمةٍ لو صادفتْ

قلبَ الحديدِ لخرَّ بالدمِ يرشحُ!

* * *

يا فارسَ الرومِ العنيدَ تحيةً

من شاعرٍ باللوم جاءك يصدحُ

أنغامهُ في النيل ضيعها الأسى

وهي التي بهوى البلاد تُسبَّحُ

عُذريةً تشدو، فإن هي أقبلتْ

تأسو يراوغُها الشَّماتُ فيجرحُ

صرخت على حرية مسلوبةٍ

شعراؤها في كل فجٍ نُوَّحُ...

ما ضرَّ لو أمهلتْ. طائشةَ الوغى

قومًا تغادوا بالشكاة وروَّحوا؟

أوطانهم! يا رحمتا لمصيرها!

أمل لسُفَّاكِ الطغاةِ ومطمحُ

فزِعوا من الغازات تخنقُ جوهمْ

فيضوعُ بالموتِ الأصم وينفحُ!

اللهُ طـهَّره هـواءً طـيـبًا

كـالرَّوضِ ضـمَّخـه العـبـيـرُ الأفـيحُ

وابن التـرابِ.. أحـالهُ مـسـمـومـةً

نكبـاءُ ذاريـةٌ تُبـيـد وتَقـدحُ

○ فى وادى النسيان ○

«أنشدت فى مهرجان ذكرى شاعر النيل
حافظ إبراهيم ١٩٣٧»

جـــدثٌ بمدرجـــة الرياح مـــعـــفَّرُ
البـــومُ ضـــيفُ ترابهِ والقُبَّـــرُ
ذاوى الرســـومِ من البلى فكأنهُ
أثر النّمـــالِ مـــشتْ عليـــه الأعـــصـــرُ
أو خـطُّ رملٍ أنشـــأتهُ بنـانةٌ
«لسطيح» منْ مـــاضى الدهور مـــسطرُ
أوْ حِكمـــةٌ مـــرقـــومـــةٌ فى مَعْبـــدٍ
مُتـــهَدِّم شـــابَتْ عليـــه الأسْطُر
أو نَقْشـــةٌ فـــى حـــانةٍ مَهـــجـــورةٍ
الجـــامُ صـــفَّاح بهـــا مـــتُبَعْثـــرُ
عَبـــرتْ عليـــه الريحُ كـــاسِفـــةَ الخُطَا
مَوْهـونَةٌ فـــوق الثَّرَى تتـــعـــثَّرُ

والليلُ أطرقَ واجمًا فكأنه الزنجيُّ

(م) فى حلك الأثير يفكرُ

والنجمُ يخفقُ رحمةً فتخالهُ

عينًا من الغيب المستّر تنظرُ

والنيل حين جرى بجانبه سرتْ

فى موجه البلوى وكادَ يزمجرُ

والعبقرية أعولت مشدودةً

ثكلى تفجّع صوبهُ وتحسرُ

قالت وقد شهدتهُ منبوذ الحمى

وحفيرةٌ فى البيد أشأمُ أغبرُ

والسافياتُ شددنَ من أوصاله..

قصبًا تزفُّ بجانبيه فيصفرُ

ونشرنَ من أكفانه رغمَ البلى

طارًا عليه يدُ النسيم تنقرُ

وهزجنَ والبؤس المخلدُ ماثلٌ

كالأمس فى حرم الردى يتبخترُ

وأقمن عرسًا ماج فوق ترابه

يلهو به جن الفلاةِ ويسمرُ

يا قبرُ! لى تحت الصفائح شاعرٌ

تاريخه من نحسه متفجرُ

عبر الحياة فما صغت لنشيدهِ

أُذن، ولا واسته عينٌ تبصرُ

فكأنما الحانةُ تأويهةٌ

فى الليل رددها شجٍ متحيرٌ

أو دمعةٌ مخنوقةٌ.. وقفتْ على

شطِّ الجفونِ سجينةً لا تعبرُ

أو دعوةٌ محبوسةٌ فى مهجةٍ

جلّى هداها فى الدجى مستغفرُ

أو همسةٌ فى الغاب تائهةُ الصدى

أبلى نُفاثَتَها الظلامُ المُصَحرُ

دنيا من النسيان أُلقِىَ مهدهُ

فيها وسُوّىَ لحدهُ المتهجرُ!

ونصيبه بعد الفناء.. مصفقٌ

يهذى لراثٍ فى المنابر يهترُ

ومهللونَ لشاعرٍ مترنمٍ

يلغو بأسجاعِ البيان ويهذرُ!

يا قبرُ.. هُدَّ بناك عن جنباته!

منْ قال نسلُ العبقرية يقبرُ؟

فاهتزَ مُرتاعًا، وغمغمَ جاثيًا

ومضى يهلل نحوها ويكبّرُ:

لا تجـــزعى! فـــهنا الخلودُ وسِرُّهُ

خـــافٍ على كلِّ العـــقـــولِ مـــســـتَّرُ

لا تحـــسبى قُـــببَ الرخـــام أظلهـــا

بالســـروِّ ريانُ الفـــروعِ منضَّرُ

نفـضتْ بسـاحـتِهـا العِطارُ جُيـوبهـا

فـالمسكُ يسطعُ تحـتـهـا والعنبـرُ

وأحـــالهـــا فنُّ المصـــور آيةً

ســـرتِ الحـــيـــاةُ بهـــا فكادتْ تطفـــرُ

ومـضتْ بهـا التـيـجـانُ تلمعُ فى الدجى

(كـسـرى) نزيلُ رحـابهـا أوْ (قـيـصـرُ)!

أزكى ثرى منْ حُفـــرةٍ مطمـــوســـةٍ

دفنت بهـا مـيـتًا لديهـا . عـبـقـرُ

تُذرى ويُذرى العظمُ فى هبـــواتِهـــا

والخـلـدُ مـن ذرِّ التـــراب منـوَّرُ!

هـذا ربيـــبكِ أعظمٌ منســـيَّةٌ

رجـفت لهـا فى الخـافـقـين الأدهرُ

فى مـهـرجـان الخـالدينَ، حـديثُه

نغمٌ على شـفـــةِ الخلودِ مُعطرُ

حـشـدتْ لهُ الأهرامُ ذكـرًا لو عـدًا

فـيـهـا البلى، لصـبـا إليـهِ المحشـرُ

فى كلِّ محرابٍ، بها وبنيةٍ[1]

شادٍ يرتل لحنهُ ويكررُ

شعرٌ إذا ما القيد صلَّ حديدهُ

فى ظلها، يُضرى لظاهُ فيصهرُ

هزَّ الجنوبَ بثورةٍ صخَّابةٍ

يغلى بها صمتُ القصيد ويسعرُ

تسرى، فيرهبها الطغاةُ، فتنبرى

كالموت لا تبطى ولا تتأخرُ

من راحَ يُنكرِ حاسدًا أصداءها..

هذا دمُ الشهداء منها يقطرُ!

فى «دِنْشواى» لها رنينٌ خالدٌ

زعجَ الزمانَ دويُّهُ المتسعرُ

سجدتْ لصرختِه المشانقُ رهبةً

وارتاع منْ خفقانها المتجبِّرُ

وأناملُ الجلاد ودَّتْ . رحمةً .

لو كل أنملةٍ عليها خِنجرُ

ترتدُّ فى عنق الذى يهوى بها

قدرًا يذودُ عن البرىء ويثأرُ

---

(١) البنية: كل ما يبنى.

تخذوا الحمام إلى الحمامِ وسيلةً

شنعاءَ، واهتاجوا هناكَ وزمجروا

نصبوا مشانقهم لنا.. فكأننا

قُطعانُ شاءٍ في المجازرِ تُنحرُ

ولو أنها نطقت لصاحت في الورى:

كيدٌ (لمصر)، وحَوْبةٌ لا تغفرُ

إن كان بطشهمُ تكبَّر عاتيًا..

فالله والوطن المفدى أكبرُ!

قم عاشق النيل! استفق؛ فصباحه

حيرانُ في الشطين أغينُ(١) أصفرُ

صديانُ؟ ما نقع الندى لغليلهِ

شوقًا، ولا روّاهُ موجٌ يزخرُ

لهفانُ! ينتظر الذي غنّى له

ويصيح في نور الخميل ويزأرُ:

أين الندى والسلسلُ المسكوب منْ

نغمٍ صداهُ بلا آثامٍ يُسكرُ؟

أين البلابلُ في الضحى مسحورةً

بالشدو، أنطقها الربيعُ المزهرُ.

---

(١) الأغين: المقيم.

من شـــاعـــرٍ نهبَ الضـــحى.. وأذاعـــهُ

لحنًا يغـــــردُ فى الربُى ويُصـــــفّرُ

مـــا شـــدّ أوتـــارًا لـــــه أو أرغُنًا

بل كـــــان شطْى فى يديه المزهـرُ!

ولَـــهٌ بمصـــــرا وهزةٌ فى قلبـــــهِ

بغـــرامـــهـــا كـــالثلجُ راحتْ تهـــدرُ

وهوَى أحـــــال الشـــــرقَ قلبًا ثانيًا

فى صـــدرهِ بأسى النوازلِ يشـــعـــرُ..

سل «غـــادةَ اليـــابان» كـــيف أهاجـــهـــا

فى الروعِ عن ضـــافى الثـــيـــابِ تُشـــعّرُ؟

تمضى بمشـــتـــعلِ السنانِ فـــإنّ قـــســـا

تأســـو جـــراحـــات السنانِ وتجـــبـــرُ!

واســـمع نشـــيـــدَ (الأرز) فى (لبنانه)

«بردَى» يكادُ بســـحـــرهِ يتـــخـــدرُ

و«الحـــورُ» مُنتـــفضُ الغـــدائرِ، راقصٌ

نشـــــوانُ من رجع الغـــناءِ مُطيَّـــرُ

شـــادٍ بأظلالِ «الجـــزيرة» ســـاجلتْ

ألحـــانهُ تحتَ الصـــنوبر «دُمـــرُ»[1]،

(١) دُمّر بضم ففتحة مشددة: عقبة بدمشق.

أسرى إلى الدنيا الجديدة صوتهُ

فاهتز من طربٍ لديها المهجرُ

واسى النزيل بها، فكاد غريبُها

يعييه للوطن الحبيب تذكرُ!

سل عنهُ فى يوم الإمام، خريدةً[1]

وضحُ الهدىَ من صفحتيها مُسفرُ

فزعتْ إلى القبر الطهور... وقلبُها

جزعًا عليه . من المحاجر . يقطرُ

بالأمس علمُها التصبرَ فى الأسى

وطحتْ بها البلوى.. فكيف تُصبرُ؟

هتفت به: يا موقظَ الإسلام قُم!

فالشرقُ بعدكَ واهنٌ متعثرُ؟

كادت مآذنهُ تميد قبابُها!

وأذانها يرثى! ويهوى المنبرُ!

يا ومضةً من «كامل»[2] قد اشرقت

فيضًا من النعشِ الطهورِ يُحدّرُ

هاجت على أوتار شاعره لظى

متخشعًا[3] يُخفى اللهيب ويستر

---

(١) إيماء إلى ثالثته المشهورة فى فقيد الإسلام الإمام (محمد عبده).

(٢) نبى الوطنية وشهيدها الأول (مصطفى كامل).

(٣) متخشعا: متضرعا متذللا.

تذكو، فيرهبُها الجلالْ، فتستحى

فتدسُّ أنفاسَ الضرامِ وتضمرُ

الشعلةُ الأولى بوادٍ مظلمِ

هالاتُها من أصغريه تُنوِّرُ

قلبٌ كأنَّ النيلَ أرضعهُ الندى

فى المهدِ، قدسيُّ الشغافِ مُطهَّرُ

فإذا يحنُّ لمصرَ تحسبهُ الصَّبا

فى فجرها فوق الخمائلِ تخطرُ

وإذا يثور لها، تخالُ مُروجَها

غيلاً يهيج على ثراه (القَسْوَرُ)

مجنونُ بالأوطانِ تحتَ لسانهِ

وجنانهِ نبعٌ لها متفجرُ

إن الجنونَ بمصرَ أروعُ حكمةٍ

يوحى بها شرعُ الوفاءِ ويأمرُ

قم عاتبِ الأوطانَ (حافظُ) هاتفًا

بهواه.. إنَّ جنانَها متحجرُ[1]!

شعرٌ إذا يتنسأُ شعبكَ جاحدًا

فالنيل فى يوم الفخار سيذكرُ

خيلَ الحزانى حين رنَّ لبؤسهم

غربياءَ بالعَوْدِ المفاجئِ بُشِّروا

(١) مازال تمثاله حبيسا.. حتى عن نور الوادى الذى استشهد (مصطفى) فى سبيل حريته!.

يأسوا وأجراحُ الزمان دفينةٌ

كسرائرٍ، في قلبه، لا تُنشَرُ

أذكى أساي ولم أر الشادي به

لكنهُ نسبُ الجحودِ مؤصَّرُ

○ ثورة الإسلام... في بدر ○

«جهد التذكر استطاع الشاعر أن يثبت ما ضاع من ألحان هذه القصيدة...»
أنشدت سنة ١٩٣٧ في مهرجان ذكرى غزوة بدر ١٧ من رمضان بجمعية الشبان المسلمين.

خَفَقَ القلبُ بالنشيدِ المُطهَّرْ
فدعِ الشعرَ والأغاني.. وكبِّرْ!
وإذا شئتَ نغمةً.. فدعْ الرُّو
حَ. جلالاً. من شُرفةِ الغيبِ تُنظَرْ
وتهيأْ للوحي يأتيكَ بالشعـ
ـرِ كمِنْكابِ ديمةٍ تتفجرْ
وتلفَّتْ لمربع الجنِّ في البيـ
ـدِ تر الجنَّ غيرةً يتفطَّرْ
فاحكِ للجاحدين يا شاعرَ الخلـ
ـدِ أساهُ! وصفْ مناحةَ (عبقرْ)!

هكذا قال لى صدى مُلهم الوحـ

ـى فأصغيتُ لحظةً كالمخدرْ

وانتظرتُ الإلهامَ حتى إذا ما

رنَّ بى هاتفُ الخيالِ المستَّرْ

رجفت فى الجنانِ كالزعزعِ القصّافِ (م)

تفلى بجانبىَّ وتزارْ

من فجاجِ الغيوب هاجت صباحًا

ثورةً فى الرمالِ هبَّتْ تُزمجرْ

قيل: (بدرٌ) فزلزلتْ هداةُ النای (م)

وكاد النشيدُ بالدمِ يقطُرْ..

أقبلتْ كالعجاجِ[1] فى هبوةِ الحرْ

بِ (قريشٌ) على الحياض تُنفرْ

كل ذى سحنةٍ كغاشيةِ اللي

ـلِ، وهولٍ يرتاع منه الغضنفرْ

يتنزّى بسيفهِ منْ ضلالٍ

هُو أعمى لديهِ! والسيفُ مُبصرْ!

سلةٌ من قرابهِ وهو خزيا

نٌ لأىٍّ من الرجالِ يُشهَرْ

---

(١) العجاج: الغبار والدخان.

لو مضى يستشيرهُ ساعة الرَّوْ

عِ لردّاه كالحطام المبعثرْ

عجبًا للحديد يُهدى إلى الحق(م)

وهاديه كالضرير المحيَّرْ!

.....

حشدوا موكب المنايا! وخفُّوا

لضياء الإلهِ غاوينَ فُجَّرْ

يتراءون كالصواعقِ فى الرمـ

ـلِ، ووجهُ الضحى من الرُّوعِ أغبرْ

كالشياطين جلجلت فى دُجى اللي

ـل وهاجت فى اليد تعوى وتصفَرْ

أرزمت فوقهم سيوفٌ! وريعت

من تناديهمُ أضاةٌ(١) ومغفرْ(٢)

زلزلوا راسيَ الجبال! وراحتْ

منهم البيدُ تقشعرُّ وتذعرْ

ومضى الشّركُ بينهم مزعجَ الهيـ

ـجةِ، طيشانَ كاللظى المتسعرْ

جمع الهولَ كلَّه فى يديهِ

ومضى بالحمام فى الهولِ يزفرْ

---

(١) الأضاة: المستنقع من سيل أو غيره وتشبه الدرع بالأضاة فيقال عليه درع كالأضاة.

(٢) مغفر: زرد ينسج يلبس تحت القلنسوة.

إن يكن كبرهُ أجنّ البلايا

لنبيّ الإسلام.. فالله اكبر!

.....

سجدَ (اللات)[1] مؤمنًا! وجثا (العُزّى) (م)

يناجي (مناةَ): يا صاحِ أبشرْ!

هل في ساحنا وميضٌ من النو

رِ غريبُ الّلماحِ، خافي التصوُّرْ

ذرّهُ ارعدَ الصفا! وأحال الصخر (م)

روحًا يكادُ في الرمل يخطرْ

لا من الشمس فيضهُ فلكم شعتْ (م)

علينا فلم تزعْ أو تبهرْ!

لا من النجم لمحهُ.. فلكم لا

ح كشيبُ الضياء! وهْنانْ! أصفرْ!

قد نُبخنا به! ومن غابر الدهـ

ـر نَسَخْنا البلى ولم نتغيرْ!

ألهونا.. وعفّروا . وهمُ الصيد (م)

عُلاهم على ثرانا المعفّرْ

سرِ بنا يا (مناةُ) نخشع جلالاً

لسنا النور.. علّهُ اليومَ يغفرْ!

---

(١) اللات والعزى ومناة.. أصنام عبدها كفار (قريش) وهذا تصوير لنور الإسلام حينما هلّ في محاريب عبدة الأصنام من المشركين!

عـــجـــبًا!! خـــرَّت المحـــاريبُ والأصـ

ـنامُ دكًا.. والعـــبـــدُ مـــازال يكفـــرْ!

.....

وعلى التلِّ خـــاشعٌ فى عـــريشٍ

قـــــدسى الظـلال زاكٍ، منـورْ

كـــاد من طيـــبـــه الجـــريدُ المُحنَّى

منْ ذبول البـلى يمـــيسُ ويزهـرْ

هـالـة تسكبُ الجـــلال، وتندى

بومـيض الهـدى يُفـيقُ ويسـحَـرْ

لو رمت كـاسِفَ البـصـيـرةِ أعـمى

عـــاد منهـــا مـــبلَّجَ القلب أحـورْ

قـــسـمًا! مـــا أراه إنسًا.. فـــإنى

أتحـــدى به بنانَ المصـــوِّرْ!

باسطٌ كـــفَّه إلى الله.. يدعـــو:

ربِّ! حُمَّ القـضـا لدينكَ.. فـانصـرْ!

إنَّ أجـنـادىَ البـــواسلَ قُـــلٌّ

وخـــمـيسُ العـدوِّ كـالموج يزخـرْ

خـــفـــقـــةٌ من كـرى تجلتْ عليـــه

مـــال من طُهـــرها الردا ءُ المحـــبَّرْ(١)

---

(١) المحبر: المزين المنمق.

وإذا الوحى بارقٌ مُستهلُّ

من سماءِ الغيوبِ هنَّا وبشَّرْ

فانتضى سيفه! وهبَّ على الغا

رة بالسرمدِ القوىْ مؤزَّرْ

ينفخُ القومَ بالحصا، فتدوّى

أسَلاتُ الإسلام فى كل منحرْ

وجنودُ السماءِ من كلِّ فجٍّ

غُيَّبٌ للعيَانِ! فى القلب حُضَّرْ!

تُشعل النارَ فى قلوبِ المذاكى

وتؤجُّ الرجال نارًا تسعَّرْ

قوةٌ من جوانبِ العرشِ هبَّتْ

ذاب من بأسها الحديدُ المشهَّرْ

.....

و (بلالٌ) يلقىَ (أُميةَ) غضبا

ن.. فيشفى الغليل منه ويثأرْ

أمسِ.. كم حُمِّل الصخورَ الذواكى

من لهيب الرمضاء تغلى وتسعرْ

ضجَّ من هولها الأذان! وكادتْ

تتهاوى لها أواسى المنبرْ

وهو اليومَ قاذفٌ صخرةَ المَوْ

تِ.. عليه تهوى.. فتردِى.. وتقبرُ!

و (أبوجـــــهلٍ) جندلتـــــهُ قناةٌ

فـــهـــوى تحتَ جندلِ البـــيـــدِ يزحـــرْ

وقف الكفـــر فـــوقـــه يندبُ الكُفـ

ـــرَ! ويهـــذى على الرُّفـــاتِ ويهـــذِرْ

يا عـــدوَّ الإســـلامِ! خـــذها من الإســ

ـــلام.. ردتكَ كـــالقنا المتكســـرْ

طعنةٌ من (مـــعـــاذَ)[1] أخـــرس فُوها

فـــاكَ.. بعـــدمـــا كنت تَنهـــى وتأمُـــرْ

لـــكـــأنـــى بـــعـــظـــمـــكَ الآنَ يـــصـــطـــكُّ (م)

ويـــغـــلـــى مـــن الأســـى والتـــحـــسُّرْ

وشظايا اللســـانِ ندمـــانةً كـــا

دت لنور الهـــدىَ حنينًا تُكبـــرْ!

.....

تمراتٌ فى كفِّ أعـــزلَ، جـــوعـــا

نَ، هضـــيمٍ بين الوغىَ مـــتـــعـــثـــرْ

عـــربىٌّ من شـــيـــعـــةِ الله وانٍ

عن صـــراعِ الهـــيـــجـــاءِ. حـــزنًا. تأخـــرْ

حـــيـــنـــمـــا شـــاهـــدَ النبىَّ تلظَّتْ

جـــمـــرةُ النصـــرِ فى حـــشـــاهُ المفـــتَّرْ

---

(١) معاذ: أحد صحابة النبى ﷺ.

سـلٌ من روحـهِ حـسـامًا ومن إسـ

ـلامـهِ فى مـصـابيحِ الروعِ خنجـرْ

هكذا نجـدةُ السـمـاءِ أحـالتْ

واهـنَ الجـسمِ كـالعـتُى المدمَّـرْ

فـإذا النصـرُ صـيـحـةٌ هزَّت الدنـ

ـيـا وراعت بروجَ (كـسـرى) و (قـيـصـرْ)

وإذا (بدرٌ) خـفـقـةٌ فى لسـانِ الشـ

ـرقِ يُزهىَ على صـداها ويفـخـرْ

○ أنا شاعر الوادى.. وعزّاف اللظى!! ○

«ألقيت فى ظلال المنصورة يوم احتفالها بمحمد محمود باشا فى أثناء رحلته السياسية فى ٢٧ مارس ١٩٣٧»

لمحتُ ركـــابكَ . يا مُظفَّرُ . مـــثلمـــا
لمحَ الحـــجـــيجَ بظـــلُّ «مكة» زمـــزمـــا
فـــاتتكَ حـــاشـــدةٌ.. تكادُ ســـمـــاؤها
تهـــتـــزُّ فـــوقكَ فـــرحـــةً وتبُسّـــمًا
بلدُ الهـــوىَ والســـحـــرِ.. هزَّ مـــلاحنى
فـــهـــفـــوتُ نحـــو ظلالهِ مـــتـــرنّمـــا
كـــادت مـــبـــاهجـــهـــا تُنسى خـــافـــقى
ســـحـــر الصـــعـــيـــد، ومـــا أفـــاض وألْهـــمًا
قـــد كنتُ أحســـبـــهـــا خـــمـــيلةَ شـــاعـــرٍ
شـــدهَ الربيعُ خـــيـــالهُ فـــتـــرنّما

فـــــإذا بهـــــا للحقِّ ثورةُ ثائرِ

نسخَ النسيمَ على الضلالِ جهنما

بالأمسِ لاذَ بظلها متجبرٌ

ضاقت به الدنيا فثار ودمدما

صلفُ الزعامةِ غرَّهُ فمشى بها

يُرغي ويزبد فوق شُطآنِ الحمى

زعم المواطنَ كلهم أجنادهُ

ولو استطاع على الورى لتزعَّما

معبودُ قومٍ.. كلما نادى بهم

سجدوا لديه ضلالةً وتأثُّما

آبيسُ! والأصنامُ أقدسُ حُرمةً

منه.. وأوهنُ في العبادةِ مأثما

دينُ الحجارةِ صامتٌ! لكنهُ

طلبَ الصلاةَ لنفسهِ متكلِّما!

قل للزعامةِ[1] بعد ما أودى بها

عضُّ الأنامل حسرةً وتندُّما:

أين الرفاقُ؟ ألا فنوحي بعدهم

قد صار عُرسُك يا كئيبةُ مأتما

---

(١) المقصود به زعامة الحزب المعارض (الوفد) آنذاك.

وعظوكِ! حتى صمَّ سَمْعُكِ عنهمُ
تركوكِ ثاكلة السواعدِ! أيّما!
أصبحت فى التاريخ دمعةَ ظالمٍ
نارُ العدالة أو سعتْه تضرما
تركوكِ حتى صار - فرطَ ضلالةٍ
صنمُ القداسةِ فى حماك مهشَّما
هذا حِمىً «المنصورة» انصدعت به
أساسُ معقلكِ القديمِ فحُطِّما
بلد الفِدا والتضحياتِ.. أبى لها
شرفُ الكرامةِ أن تُقادَ وتُرغَما
«دارُ بن لقمانَ[1]» ودارةُ حِصنِها
وددتْ مدارجَ سِجنِها لك سُلَّما
نبذتك نبذَ الريح ذابلةَ السفا
ودعتْ عليكِ تسخطًا وتبرما
وشبابُها تركَ الضلالَ وعافهُ
فقدا مسيرك فى ثراهُ محرما
قد لاذ بالوطن الذى يرحابهِ
الجيل، والنيل العتيد قد احتمى!
زرتَ الصعيد.. فكان ركبكَ مهجةً
والشعب يجرى فى لفائفها دما

(١) معقل قديم بالمنصورة سجن به الملك لويس التاسع ملك فرنسا فى أثناء الحرب الصليبية.

وعطفت بالدلتا .. فكاد نخيلها

يجثو لديك محييًا ومسلما

ومسابحُ الرِّياحِ أصبح موْجُها

يدعو لركبك في الشطوط مغمغما

والسنبل المفتون يرقصُ فرحةً

و «السروُ» يبدو في الخشوع متيما

دنيا من الأفراح يخفق بشرها

أنّى حللتَ منَ الديار، وأينما ..

فاقم بظلّ الحقّ أرسخ دولةٍ

في النيل طابَ زمانها وتنعما

واسمع نشيدَ الشعر! فهو مشاعرٌ

فاضَ الولاءُ بها فهاجَ ورنّما

أنا شاعر الوادي وعزّافُ اللظى!

إما شهدتُ جَنانهُ متألما!

أهدى العُطورَ لمنْ يفي لبلادِهِ

وأسوق للطاغي الخؤون جهنما!

لاموا على الشدو! قلت رويدكم!

من ذا يلوم العبقريَّ الملهما؟

غيري يسوق الشعرَ فضل بلاغةٍ

وأنا أفجّر في منابعهِ الدّما!!

○ لم يَطب للنّبوغ فيك مُقامْ ○

«لحن حزين هزته ذكرى الأديب العربي
الخالد مصطفى صادق الرافعي
١٩٣٧

لمْ يطبْ للنبـــوغ فـــيكِ مُقـــامُ..
لا عليكِ ـ الغـــداةَ ـ منى ســـلامُ!
المنارات تنطفى بينَ كـــفـــيـــ
ـكِ! ويزهو بشـــاطئـــيكِ الظلامُ
والصَّـدى منْ مناقـرِ البُومَ يحـيـا
ويمـــوتُ النشـــيـــدُ والإلهـــامُ
قـــد حـــبـــوتِ النعـــيب ظلك.. لكنْ
أين قـــرَّتْ بشطـكِ الأنغـــامُ؟
فى هجـــيـــر الأيام تمضى اغـــانيـ
ـكِ حـيـارى، يؤجُّ فـيـهـا الضـرامُ

عـبـرتْ مـسـبـحَ الجـداول، والنهـ

ـر، وغـابت كـأنهـا أوهامُ

تسكبُ السِّحرَ منْ شفاهٍ عليها

مصرعُ السحر: لهفةٌ! وأوامُ

تسكبُ العطرَ والخمائلُ صفرٌ

مات فى الأيكِ نَوْرُها البسّامُ!

تسكبُ البرءَ من جراحٍ.. عليها

ترعشُ العمرَ شكوةً وسَقامُ!

أنتِ يا (مصر)! واصفحى إن تعثّـ

ـتُ واشجاكِ منْ نشيدى الملامُ..

.. قد رعيتِ الجميلَ فى كل شىءٍ

غير ما أحسنتْ به الأقلامُ!

منْ روابيك خفَّ للخلدِ روحٌ

قد نعاهُ لعصرك الإسلامُ

لبستْ بعدهُ العروبةُ ثوبًا

صُبِغَ استعارهُ أسىً وقَتامُ

لم تُفقْ من شجونها فيه (بغدا

دُ)! ولا صابرت أساها (الشآمُ)

وعلىَ (بلدة المعزِّ) دموعٌ

خلدتْ ذكره بها الأهرامُ

صاحبُ المعجزاتِ أعيتْ حجا الذ

ـيا، وعيتْ عن كشفها الأفهامُ

يخبأُ الحكمةَ الخفيةَ فى الوحـ

ـى كما تخبأُ الشذا الأنسامُ

ويزفُّ البيان كالسلسلِ المسـ

ـكوبِ تهفو بشطه الأحلام

فإذا رقَّ خلتهُ قُبَلَ الفَجـ

ـر على نارها يَلذُّ المنامُ

أو حديثَ النسيم للزهرة السكـ

ـرَى.. منَ الطلِّ كأسُها والمدامُ

أو حفيفَ السنابلِ الخضرِ.. رفتْ

فى رباها قنابرٌ ويمامُ

أو دُعاءَ النسُّاكِ.. ابلتْ صداهُم

فى حمى الله سكرةٌ وهيامُ

وإذا ثار خلتهُ شهبَ اللي

ـلِ أطارتْ لهيبها الأجرامُ

أو شواظًا مسطرًا.. قذفته

من لظى العقلِ هيجةٌ وعُرامُ

أتعبَ الجاهدينَ خلفَ مراميـ

ـهِ بقصدٍ منالهُ لا يرامُ

أصـــيـــدُ الفكر واليـــراعـــةِ والوحـ

ـــى.. علىَّ كـــبـــرهِ يفلُّ الحـــســـامُ

حـــيَّـــر النقـــدَ أن تروغَ المعـــانى

عن مـــريديهِ، أو تنـــدَّ الســـهـــامُ

فـــانزوى الحـــاســـدون.. إلا فـــضـــولاً

لا يـداريـهِ عـــــائب شـــــتَّامُ

قـــد ســـقـــاهم من سنَّهِ مـــصـــرعَ الرو

حِ وإن لمْ تـلاقـــــهِ الأجـــســـــامُ

فلتـــقم بعـــد مـــوته ثورةُ الشـــا

نى.. فـــقـــد فـــارق الوغىَ الصـــمـــصـــامُ

ولـهُ الشـــــانُ.. عـــــزةٌ وخلـودٌ!

ولـهمْ شـــانهمْ صـــدىً وكـــلامُ..

إيه يا ســاقى «المساكين»[1] كـــامنًا

لم تسلسلْ رحـــيـــقـــهـــا الأيامُ

قـــد جلعتَ الآلامَ وحـــيكَ حـــتى

فـــجَّرتْ نبـــعـــهـــا لكَ الآلامُ

مـــا الذى كـــان فى ســـحـــابتك الحـــمـ

ـــراء إلا الشـــجـــونُ والأســـقـــامُ!

---

(١) إشارة إلى كتاب المساكين للرافعى.

كنتَ فى عـــــزلةٍ مع الوحى تشكو

ولشكواك كـــاد يبكى الغـــمـــامُ

تمسحُ الدمعَ من عـــيـــونِ اليـــتـــامى

وبـبـلـواكَ يـنـشـجُ الأيـتـــــــامُ

صنْتَ عـهـد البـيـان لم ترخصِ القـو

ل، ولا شـابَ سـحـركَ الإعـجـامُ

وتفـردتَ بالصـيـاغـة.. حـتى

قـيـل فى عـالم البـيـانِ: إمـامُ!

ووهبتَ (الفـرقـان) قلبكَ.. حـتى

فـاض من قـدسـهِ لك الإلهـامُ

فـبـعـثتَ الإعـجـازَ كـالشـمس منه

يتـهـدّى على سـنـاهُ الأنـامُ

فـقـمِ اليـومَ! وانظر الشـرقَ: ضـاعتْ

من يديهِ مـــواثـقٌ وذِمـــامُ

مـــزقت قلبَـهُ الذئابُ من الفـتـ

ـكِ.. ونـامَ الـرعـــاةُ والأغـنـامُ!

فى (فلسطينَ) لو علمتَ جـراحٌ

مـالـهـا فى يد الطغـاةِ التـئـامُ

وطنُ الـوحىِ، والنـبـوات، والإلـ

ـهـامِ.. أودى! فـعـاث فـيـهِ الطُّغـامُ

جَـذوةٌ فى جـوانح الشـرق تغلى

فـيـروعُ السـمـاءَ منهـا اضطرامُ

يُذبَحُ القـومُ فى المجـازرِ ـ فـرطَ الظلم (م)

فـيـهـا ـ كـأنهم أنعـامُ

ويهـانُ (المسـيحُ) فى مـوطن القـدْ

س، ويشـقى بأرضـه الإسـلامُ

وحـمـاةُ البـيـان خـرّسَ.. كـأنَّ الذودَ (م)

عن كـعـبـةِ الجـدودِ حـرامُ!

إيه يا «مـصطفى» وفى القلب شـجـو

نٌ وفى الصَّدر حـرقـةٌ وضـرامُ

ليت لى سـمـعكَ الذى كـرَّمَ اللَّـ

ـهُ صـداهُ! فـمـات فـيـه الكلامُ

كنتَ والوحى عـاشـقـين.. فـمـاذا

بعـد نجـوى السـمـاءِ يبـغى الغـرامُ؟

كـنـتَ والـوحـىَ فـى سـكـونِ نـبـىٌّ

عـبـادُهُ فى صـلاتـه إلهـامُ

تتلقّاهُ خـاشـعَ الهـمس عـفّـا

مـثـلمـا رفَّ بالغـديرِ حـمـامُ

لا ضـجـيجٌ! ولا اصطخـابٌ! ولكنْ

هـدأةُ الروح قـد جـلاها المنامُ

هكذا نعشكَ الطهورُ.. تهادى

كالأمانى، لا ضجةٌ لا زحامُ!

فاذهب اليومَ للخلودِ كما كُنْـ

ـتَ.. تغاديكَ هدأةٌ وسلامُ

لم يمتْ من طواهُ فى قلبهِ الشُّر

قُ! وغنّى بذكرهِ الإسلامُ!

○ الشعـاع المقيـد ○

«إلى هالة الوطنية التى تتفجر انوارها من تمثال رسول الجهاد الأول مصطفى كامل.. وهو يرسف فى قيوده بين ظلام النسيان والجحود».

١٩٣٨

خـــذْ أمـــانـاً منَ الشُّعـــاعِ المقيَّـــدْ
فـــهـــوَ فى القـــيـــد جـــمـــرةٌ تتـــوقَّدْ
أو فَذُقْ منْ شـــواظهِ اللَّهبَ الحـــرَّ (م)
فـــأنتَ المقـــيـــدُ المســـتـــعـــبـــدْ
ذقْ شـــواظًا لو مـــسَّه صـــاهـر الأغْـــ
ـــلال أضـــحـى بنـاره يتـــعـــبَّدْ
من حـــواشى الرخـــام يسطعُ للأحْـــ
ـــرار دينًا يهـــدى العـــبـــادَ ويرشـــدْ
هوَ نـورٌ لكنه فـى ظلامِ الســـجن (م)
نارٌ على القـــيـــود تعـــريـــدْ

ملءُ ذراتهِ أناشـــيـــدُ مـــجـــدِ

بصـــداها مـــحـــررُ النيل أنشـــدْ

ذرةً ترعبُ الحـــديدَ على الصُّفْـــ

ـــتا واخـــرى فى الهـــول تُرغى وتزيدُ

غللتـــهُ بالأمسِ كـــفٌ ضلـــولٌ

تنصـــر البـــقى بالحـــسامِ المجـــردْ

شـــدَّ طغـــيـــانهـــا عـــتىٌّ منَ الغـــزْ

ب، عـــلـــى الـــنـــيـــلِ كـــم طـــغـــى وتمـــردْ!

ملكتـــهُ . والملكُ للهِ ! . دنيـــا

ظللهـــا عـــاجلُ الفناءِ مـــبـــددْ

فـــمـــضى فى مـــسـابحِ الشـــرق كـــالأفْـــ

ـــدارِ يشـــقى كـــمـــا يشـــاءُ ويســـعـــدْ !

كمْ عـــدا فـــاتكًا! واحكم أغـــلاً .

لاَّ عليـــهـــا الرقـــابُ فى الشـــرقِ تشـــهـــدْ !

فى «فلَسطينَ» ظلـــمـــهُ الـــدنْـــ

ـــيَا ومـــا هـــزَّهُ الصـــراخُ المـــردَّدْ

وعلـــى «مـــصـــرَ» كم أذلَّ! واردىَ !

وتمطى على النجـــوم وهـــدْ !

عـــبـــقـــرىٌّ فى الخـــتلِ يدمى ويرتدّ (م)

على الجـــرحِ باكـــيًا يتـــوجـــدْ

كم سقى النيلَ من ضروانه الهوْ

نُ وعيشاً من المذلة أنكدْ !

وتمادى.. فكنتَ يا «مصطفى» الهوْ

لَ على هوله تثورُ وترعدْ

فى غباءِ السنين! والنيل مُلقٍ !

وبنوهُ من سكرةِ الضيم هُجَّدْ

قمتَ كالعاصفِ المجلجل تجتا

حُ فلا تنثنى ولا تتردّدْ

تلبسُ القيدَ من جفانكَ قيداً

حزةٌ فى الحديدِ نقشٌ مخلدْ

هتفاتٌ بحبِّ مصرَ وموتٌ

فى هواها ! ونشوةٌ! وتعبدْ

وصلاةٌ بمجدها.. كنتَ فيها الـ

ـعابدَ الصبُّ، والشواطئُ معبدْ

وذياداً عن حرمة الوطن الشا

كى بعزمٍ «كنيلهِ» ليس ينفدْ

ودفاعاً عن الحمى كنتَ فيهِ

ما لغيرِ الحمى ترومُ وتقصدْ

فارسٌ فى قتامَةِ النيل تمضى

بشهابٍ منَ السماءِ مؤيدْ

مـــشـــعـلٌ فى يديكَ شـــرِّدْ بالأضـ

واءِ جُنْحًا على الشـــــــواطىءِ أربدْ

كنتَ تَســـرى به فـــتُنهضُ فـــانيـ

ـنَ عليهم شـيـخـوخـةُ اليـأس تُقعِدْ

بضـــيـــاءٍ منَ الهـــدَى أنعشَ الشـــرْ

قَ وطرفُ الزمـــانِ فى مـــصـــر أرمـــدْ

وبيـــــانٍ كـــــأنه لهبُ «البـــــرْ

كـــانِ» تختـــارُ جـــمـــرهُ وتنضـــدْ

كلُّ لفظٍ منَ الصـــــراحـــةِ ســـهمٌ

فى حشـا الغاصبين ماضٍ مسـددْ

هاتِ لى من صـــــداهُ نبـــــرًا، لعلى

أنفثُ النارَ من صـــــداىَ المغـــــردْ

هاتهِ فـــالجـــحـــودُ واراهُ فى ســـجْـ

ـنِ على شـاطىءِ الليـالى مـشـردْ

فى زوايا النســـيـــان قـــبـــرٌ.. وذكـــرٌ ..

ورُخـــامٌ فى الصـــمت لهـــفـــانُ مُكْمَـــدْ

كـــاد ينضـــو الأســـتـــارَ عنه وينعَى

أنا رمـــزُ الفـــخـــار يا نيلُ فـــاشـــهـــدْ !

أنا علمـــــتكَ الوثوبَ على القـــيـــ

ـــ دا وعلمـــــتنى الأسى والتنهـــــدْ !

مـــا الذى فى الضـــفـــاف نســـاكَ روحًا

ذاقَ من أجلكَ الرَّدَى واسْتَـــشـــهـــدْ؟

أشـــيـــوخٌ على الكراسىِّ هاجـــوا

وهىَ منْ هزلهم تمتـــدُ وترعـــدْ !؟

أمْ شـــبـــابٌ على ترابكَ يمـــشى

حـــول ســـاقـــيـــهْ كـــالأســـيـــرِ المصـــفـــدْ ؟

خـــانعٌ فى حـــمـــاك.. ينتظرُ البـــعْـ

ـــثَ ليـــمـــضىِ إلى الأمـــام وينهـــدْ

علمـــوهُ. والرزقُ فى مـــصـــرَ رهنٌ

بـــرجـــاءٍ ! وذلَّـــةٍ ! وتـــوددْ !

كـــيف يُلقى بعـــزمـــه تحت نعليْـ

ـــه وفى الذلِّ يســـتنيمُ ويرقـــدْ !!

مـــا الذى فى الضـــفـــافِ نسَّاكَ يا «نيل» (م)

هـــوى ذلكِ الشـــعَّاع المقـــيـــدْ؟

فـــمنحتَ التـــمـــثـــالَ شـــبـــرًا.. عليـــه

تائهُ الدود فى البلى يتـــمـــردْ !

وحـــرمتَ الجـــهـــادَ فـــجـــرًا من النور (م)

يُهـــدى إلى عـــلاكَ ويرْشِدْ

○

○ دمعـةُ وفـاء !.. ○

«.. على فقيد «دار العلوم المرحوم «أبى الفتح الفقى» !

مـــا ترى يا حـــزينُ تشـــدو المزاهرْ
بعـــد مـــا خُـــدِرتْ بلحنِ المقـــادرْ !
لا تَرُمـــهـــا شـــوادىَ النغـــم العـــذْ
بِ، طرابًا بالأغنيـــاتِ الســـواحـــرْ
عـــــبثٌ فى الغناء أنْ ينسىَ الكرْ
بةَ أو يوهنَ الفـــجـــيـــعـــةَ زامـــرْ
مـن يكـنْ لحنهُ يهـــــزُّ الحنـايـا
فلحـــــــونُ الرّدى تـذيبُ المرائـرْ
وإذا الشـــاعـــرُ الطروب تغنى ..
فـــالهُ عنهُ!! فـــالموتُ أبلغُ شـــاعـــرْ !

* * *

طفتُ فى ساحة البيان وقلبى

راجفُ الحسِّ، مستطارُ المشاعرْ

والضحى واجمُ الظلال، كسيفٌ

باهتُ النور، مطرقُ الزهر سادرْ

جمدَ الطلُّ فى الكمامِ وماتتْ

فَوْحةُ العطْر فى جيوبِ الأزاهر

ورمى الطيرُ عوده غيرَ ندما

نَ عليه، وعافَ ضربَ القياثرْ

كلما خفَّ هائجٌ من أغانيـ

ـه تعايا فذاب طَىَّ الحناجرْ !

سكنتْ فى العشاش عصفورةُ النيـ

ـل.. وشلَّ الأسى مراحَ القنابرْ

وكأنَّ السماءَ خيمةُ شيخٍ

شدَّ أطنابَها حيالَ المقابرْ

غمرَ الثكلُ روحهُ بعماءٍ

وشقاءٍ ووحشةٍ ودياجرْ

لا يحسُّ الحياةَ إلا زفيرًا

نفختهُ الشجونُ حولَ الحفائرْ !

إنها صرعةُ الفناءِ أثارتْ

كلَّ قلبٍ، وأذهلتْ كلَّ خاطرْ

طلسمتْ سرها الغيوبُ وارختْ

دونها للورى كثيفَ الستائرْ

طمحتْ أعينى إليها، فردتـ

ـها سراعًا إنَّ حيرى حوائرْ

مالها سلوةٌ عن الحزْن إلاَّ

سيكبٌ من مرقرق الدُّمع مائرْ

قلبتْ طرفها طويلاً فلم تبـ

ـصر سوى لمعةِ الدموع المواطرْ

تتهاوى حبالها من عيونٍ

كاسفاتٍ من البكاءِ غوائرْ

يا «أبا الفتح» كنتَ هالةَ نورٍ

قبستها فاشرقتْ فى البصائرْ !

غبتَ عنها.. ولم يغبْ لك ومضٌ

زاخرُ اللمح خالدٌ فى الضمائرْ !

أنملاتُ الطبيب راحتْ تواسيـ

ـكَ من الداءِ وادعاتٍ غرائرْ

خدَعَ العلمُ طرفها فتهادتْ

فوق جنبيك تبتلى وتغامرْ

فإذا راحةُ المنيَّة صدتْ

عنها فخرَّتْ على يديها صواغرْ

ويحـــهـــا ! لو نضتْ حـــجـــابَ المنايا

عـــرفتْ أنهـــا لديْه تقـــامـــرْ !

هللتْ للربيع زنبـــقـــةُ الريـــ

ـــفِ، ومـــاستْ له الورودُ النواضـــرْ

فـــتـــهـــاديتَ كـــالشـــعـــاع إليْهـــا

تنشـــدُ العـــيش فى الظّلال الزّواهرْ

ســـجـــوةً تحت أيكهـــا لك مـــهـــدٌ

ناعم الفيءِ باسمُ الضـــوء، عـــاطرْ

يتلقّاك فى خـــشـــوعٍ ويضـــفى

حِبـــرَ الزهر فى خطاكَ الطواهرْ !

ســـرتَ للدّلجـــمون[1] عـــجـــلانَ. مـــاذا

ضـــرّ يا ربُّ لو تأنى المســـافـــرْ !

نصلتْ خلفكَ القلوبُ حـــيـــارى

واجـــفـــاتٍ تحت الضلوعِ مـــوائرْ

لو ونى الدمعُ عن صـــداها تلظّتْ

جـــمـــراتٍ ملذعـــاتٍ ســـواعـــرْ

كنتَ تســـرى والناسُ حـــولك ســـيلٌ

جـــارفٌ فى الشـــعـــابِ كـــالموجِ هادرْ

---

(١) الوطن الأول للنشيد وقد شيع إليه نعشه ودفن به.

خيـــلَ تَسَيـــــــارهُمُ وراءكَ نسًّـا

كـــاً ترامـــوْا على حـــواشى المنابرْ

أقلقـــوا مـــسمعَ الأصـــيل صـــراخًا

ونحـــيبًا وفـــزَّعـــوا كلَّ عـــابرْ

أخـــذوا إخـــذةَ المؤمل دكـــتْ

صـــرحَ أمـــاله الجـــدودُ العـــواثرْ

كلَّمـــا رنَّ خـــافقٌ من صـــداهُمْ

لطمتْ خـــدها كـــرامُ الحـــرائرْ !

أطْرَقَ الـسُّنْبُلُ الحـــــــزينُ وجُنَّتْ

مـن أسَى خَطْبك الطُيـــــورُ العَوابْر

حـــسبتْ نعـــشك المطْهـــرَ طَيـــرًا

للجنان الفـــســـاح فى الخلدِ ســـائرْ

فـتـســامتْ فى الجـوِّ صـوبكَ غـيـرى

تتـــهـــدّى العـــلا بأقـــدس طائرْ

ووصلتَ الضـــفـــافَ من لجـــة المو

ت، وكلٌ لشطهـــا بعـــدُ صـــائرْ

لانمالُ الشـــقـــوقِ تعـــصمُ منهـــا

لا ولا فى البـــروج صـــيدُ القـــيـــاصـــرْ

هـى أسطورةُ الزّمـــــان، ولغـــــزٌ

من يردْ حله فـــلا بـــدَّ خـــاســـرْ !

ورَجعْنا خُرْسَ البيان! فصاح الدمـ

ـعُ! صمُّ القلوبِ! عُمى النواظرْ

كتلٌ من جوارحٍ تتنزى

كهشيمٍ منَ البلى متطايرْ

من يشأ سؤلنا نطقنا دموعًا

وجوابُ الحزين ذوبُ المحاجرْ!

سلْ شحوبَ المساء، كيف احتوانا

فى جحيمٍ من التأوه ساعرْ

لو نسخنا به لكنّا رياحًا

صافراتٍ على متونِ الهواجرْ

شرَّدَ الليلُ نوحنا فى حواشيـ

ـهِ وقلبُ الدجى سريرةُ كافر!..

○

○ ويعيشُ أحرارُ العقول بظلها.. غرباءَ..○

«... فى تأبين المرحوم «أمين لطفى» بمسرح حديقة الأزبكية يوم ١٤ من فبراير عام ١٩٣٦».

وترٌ على شطِّ المنيـــة غـــافى
شلتْ عليـــه أناملُ العـزّافِ
مـاتتْ أغـانى الروحِ فـوقَ مـهـادهِ
وذوت رؤى الأشـبـاح والأطيـافِ
يا منْ عـشـقتَ نشـيـدهُ مـتـسلسـلاً
من هائجٍ صـخـبٍ، ومن هـفـافِ
إن كنتَ ذا حـدبٍ عليـه ورحـمـةٍ
مـزّقْ بقلبكَ سِتْـرَ كلِّ شـفـافِ
قـد كـانَ ملهـمـهُ الحـبـيبُ منعـمًا
فى زورقٍ حـولَ الضـحى طوافِ
مـلاّحُـه ملكٌ يقـودُ زمـامَهُ
فـى هـالـةٍ مـن نُورهِ الـرفـافِ

يسـرى بهِ والطهـرُ مدَّ شـراعـهُ

لجـلال مـرفـأةٍ وقـدسِ ضـفـافِ

فى جـوقـة النوتى أيقظ روحـه

شـجن المسـاء بهـمسـةِ الزفـزافِ

فـشـدا ورنَّمَ والطيـورُ حـيـاله

خـرسُ الحناجـرِ هُجَّـعُ الأطرافِ

تصـغى له نشـوى كـأنَّ هتـافـهُ

زفُّ الصـدى لقـوادمٍ وخـوافى

وهبتْ له مـزمـارها فـأعـارهُ

لحنَ الضـحى وقـصـيـدةَ المجـدافِ

واليمُّ صـديانُ الحـشـا مـتلهفٌ

ظمـئًا لشـدو السـابح الهـتَّافِ

والكونُ أشـيبُ خـدرته نفـاثةٌ

هـاجتْ بهـا ذِكَـرٌ لديهِ خـوافى

يا منْ رأى الدنيـا تَحـارُ سـفـينةً

تجـرى على نور الصـبـاحِ الضـافى !

وأتى المسـاءُ لحظهـا مـتـجـهـمًا

يطوى السنا بحـوالكِ الأسـدافِ

دَجْـوانَ مـصـطخبَ الرياحَ تنوح فى

قلبِ الدجى بالزعـزع القـصـافِ

فتهافتَ الملاحُ يطلبُ نجوةً

من يمّه المتوثبِ الرجافِ

سبّق الردى لكَ يا مؤملَ خلده

وطحا به الريح العتيُّ السافي!

.....

سلْ عنهُ في يوم[1] «استفانو» موقفًا

خلتُ الوقوفَ به على الأعرافِ

كفٌّ مطهرةٌ تصافحُ أختها

فيقالُ: آلهةٌ منَ الأجحافِ

وتروح كفّ الظلم تبسطُ خمسها

نقمًا.. وتسرفُ أيما إسرافِ

وهْ يشهدُ أنها ما استأثمتْ

يومًا ويشهدُ ساحلُ المصطافِ

عذريةً مدتْ أناملها هوىً

ومحبةً تهتزُّ لخلٍّ وافِ

فيحوطها الشكُّ الأثيمُ وينبري

لعتابها اللاحي بلا إنصافِ

وهي التي لولا مستْ قلبَ الصفا

لأذاعَ عطرَ الروح للمُستافِ..

---

(١) في عهد سياسي غاشم، صافح الفقيد صديقه الوفي معالي النقراشي باشا «بكازينو سان استفانو» بالأسكندرية، فلقي من الحكومة حينئذ كل عنت واضطهاد.

وعـــقـــيـــدةٌ كـــادتْ تضيءُ قـــداســـةً

إنْ غـــالَ صـــبحَ القـــوم ليلُ خـــلافِ

إن عـــاشَ فـــيـــهـــا المســـتـــضـــامُ فـــراهةً

فـــهـــو الذى يرضى بعـــيش كـــفـــافِ

شـــرفُ الجـــهـــاد عـــقـــيـــدةٌ لم يفـــوها

بهجُ الحلْـــى وبهـــــرجُ الأفـــــواهِ

يا أمـــــةً يُســـــقى المداهنُ بينهـــا

شـــهـــدَ المنى، والحـــرُّ كـــأسَ زُعـــافِ

ويعـــيشُ أحـــرارُ العـــقـــولِ بظلهـــا

غـــربـاءَ من عنت الزمـــانِ الجـــافى !

أفـــــمنْ يظلُّ على المبـــــادىء ثابتًا

قـــذفْتـــهِ فى البـــؤسِ شـــرُّ قـــذافِ

ودفنتِ فى وضـــرِ الجـــحـــودِ ضـــيـــاءهُ

دفنَ الثـــرى للجـــوهرِ الشـــفـــافِ !

مـــاذا عليك إذا ســـقـــيتِ غـــراســـةً

حـــيـــا، وقـــد أولاكِ عـــذبَ قطافِهْ

كـــرَّمـــتـــهِ بعـــدَ الممـــاتِ ومنْ ســـوى

كـــفـــيـــكِ زفَّ لموتَ أىَّ زفـــافِ !

قـــدْ كـــانَ فى الصـــمتِ المجـــاهدِ آيةً

أعـــيتْ ســـرائرها حـــجـــا الوصّـــافِ

نارٌ تئزُّ بجدولٍ مترقرقٍ

ولظى يشبُّ بزنبقٍ رفرافِ

وذبالةٌ تذكى الفناءَ لعمرها

وخيوطها بالنور جِدُّ ضوافى !

هو ذا الجهاد فلا تقلْ بوقَ اللهى

يهدى بطنطنةٍ ورجفِ هُتافِ

كم حكمةٍ صرخت بمنطقِ شاعرٍ

ونصيبهُ منها خيالُ خُرافى !

○

إلى ضمير الإنسانية ..

○ زفرةٌ على «فلسطينَ» الدامية! ○

«... وإلى ريح «التاميز» العاتية!»
١٩٣٧

صوتٌ بأرض «القُدس» مشتعلُ الصدى
كادتْ له الأكبادُ أنْ تتوقدا
لما تأوهَ صارخاً بينَ الورى
أسيانَ يرزمُ تحتَ نيرانِ العدا
جزعَ «المسيحُ» له ولولا طهرهُ
ما مدَّ للرحماتِ كفًّا أوْ يدا!
رهبانهُ في الغرب.. منبعُ حكمةٍ
ما غلَّفتْ يوماً لملتمسِ الهدى
رشفوا منَ «الإنجيل» فيضَ رشادِهِ
وتخشعوا حول الهياكلِ سجدا

وشـــدوْا بملحـــمـــة الســـلام، ورنموا

مـــزمـــورهُ للكـــونِ خـــلابَ الصـــدى..

لكنَّ شـــعـــبـــهمُ أثار عـــجـــاجـــةً

فى الشـــرقِ طافـــحـــةً بأهوال الردى

فـــإذا الـتـــعـــاليمُ التى هتـــفـــوا بهـــا

من ســـورة الأطمـــاع قـــد ضـــاعت سُدىَ

وإذا بلحنِ السِّلم بينَ شـــفـــاههمْ

عـــصـــفتْ بهِ شـــهـــوانهمْ فـــتـــبـــددا!

تخـــذوا الرصـــاص شـــريعـــةً قـــدســـيـــةً

وقـــذائفَ الأرواحِ نهـــجـــاً مُرْشـــدا

لم يرهبـــوا التـــاريخَ فى اســـتـــعـــمارهم

أنَّى ســـطَوْا وكـــزوهُ أروع ســـيـــدا

لطمـــوهُ فى القـــدس المحـــرم لطمـــةً

كـــادت لهـــا الأجـــبـــال أنْ تتـــهـــددا

مـــهـــدُ الشـــرائع منْ قـــديم.. مـــالهُ

أضـــحى لأحـــرارِ البـــرية مـــوقـــدا

فى كلِّ مـــــرتبعٍ بـه وحنـيـــــةٍ

تلقى صـــــريعًا فى التـــــرابِ ممددا

هانتْ على البطل المجـــاهد نفـــســـهُ

فـــســـعى لحـــوضِ الموتِ يطلب مـــوردا

ألقى إلى اللهب المسعر روحَهُ..

وكذا يكون الحرُّ في يوم الفدا!!

الله في وطن النبوة! نالَ منْ

شره الطغاةِ اليومَ حظًا أنكدا!

الفتنةُ الشعواءُ هاجتْ قلبهُ

لم تبقِ فيه كنيسةً أوْ مسجدا

شرعتْ منَ الرقِّ البغيضِ سلاحها

تنتزعُ الأقدارُ إمّا جردا

صرخَ الضعيفُ شكايةً منْ هولها

فمحى اللهيبُ صُراخهُ فتشردا

فتخالهُ والصدرُ ينفثُ نارهُ

منْ كلِّ زافرةٍ تريقُ الأكبدا،

حملاً يدُ الجزارِ دقتْ عمرهُ

فقضى بصرختهِ على حدِّ المدى!

محنٌ مرزئةٌ! وموتٌ عاصفٌ

لم يبقِ شيخًا في الحمىَ أوْ أمردا

يا ربِّ وادٍ في الصباحِ منضرٍ

غيسانَ باكرهُ السنا فتأودا

لما دهتهُ الحادثاتُ ضحيةً

وسرى دخانُ الموتِ أقتمَ أربدا!

نفضتْ خمائلهُ شبيبة عمرها

وتصاوحت فقدت محيلاً أجردا

ما ذنبها؟ ما ذنبُ صيدحِها الذى

قد كانَ يسجعُ فى الظلائل منشدا؟!

خنقتْ مزاهرهُ ! ومات نشيدهُ !

ونأى عن الوطن الحبيب وأُفردا!

لولاَ هياجُ الحرِّ ديسَ مهادهُ

لثوى بجنته وظلّ مغردا!

* * *

يا يومَ «بلفور» وشؤمكَ خالدٌ

ما ضرَّ لو أخلفتَ هذا الموعدا؟!

عاهدتَ أعزالَ الجُسوم، سلاحهمُ

ما كانَ إلا الحقُّ صاحَ مقيدا

وتركتهمْ رهنَ المطامع تبتغى

منهمْ على حرِّ المواطنِ أعبدا!

ثاروا بأرضِ اللهِ ثورةَ عاجزٍ

سمعَ القوىُّ شكاتهُ فتوعداً

هاجوا على الأصفادِ هيجةَ ناسكٍ

زحمتهُ أثامُ الصبا فتمردا

هجمتْ على الغارِ المطهرِ فى الدجى

فأثار عزلتهُ، وهاجَ المعبدا..

ضجوا على «نابلس»[1] حتى كاد من
صخبِ الأسى والحزن أنْ يتنهدا
عجباً ! يكادُ الصخرُ يدمعُ رحمةً
لهمُ ! وقلبُ الآدمي تصلدا
ومعالمُ الإسلامِ بين ربوعهمْ
كادتْ تزمجرُ لهفةً وتوجُّدا
بسطتْ إلى قدمِ النزيلِ رحابها
فبغى على قسماتها وتهددا
وهو الذي لولا نعيمُ ظلالها
لمضى على كنف الوجودِ مُشرِّدا!

* * *

والشرقُ؟ ويحَ الشرقِ! نامَ أسودُهُ
عن ثائرٍ في القدسِ ضجَّ وأرعدا
شلتْ عزائمهم ! ونامَ جهادهم!
وتصرعوا في كلِّ مهدٍ هُجَّدا !

○

(١) جبل بفلسطين.

○ جيلكمُ مـاتَ.. فدسُّوا نعشهُ ! ○

يا وطني! لا أملك غير هذا القلم، انفث منه ثورتي الصامتة على جيلك.. وهو في غمرة التطاحن الحزبي لا يكاد يفيق!»

١٩٣٩

جيلكم شابَ.. فواروا ضعفَه ... واحرقوهُ بلظى الذمِّ الجديدْ
كفنوهُ من بلى أيامِه ... وادفنوهُ في ثريَ الماضي البعيدْ

واذهبوا لا تندبوهُ للوجودْ !

هو جيلٌ لعبَ القيدُ به ... منذُ مارنَّ على أرضِ الحمىَ
فاصعقوهُ ! واحطموا أصفادهُ ... وافرعوا بالعزمِ أبراجَ السما

شرعةُ الأغلال جاءت للعبيدْ !

أمكمْ (مصرُ) وفي تاريخها ... ما يرد الغربَ نديانَ الجبينْ
فاسألوها.. واسمعوا في تربها ... يزعجِ الآفاقَ صوتُ الراقدينْ

من هنا تسطعُ أنوارُ الخلودْ !

جيلكم مات.. فدسوا نعشة فهو عارٌ فى ضمير الزمن

مزقتْ قلب الحمى أطماعهُ فارجموه، يا شبابَ الوطن

ولأحزابِ الحمى شُقّوا اللحود !

السياساتُ كلامٌ وصدى وزعاماتٌ، وخلفٌ، وخصامُ

والكراسىُّ إذا أبصرتها مورِدٌ أقلقَ شطيةَ الزحامُ

فهى تنعى منْ أساها وتميدْ !

فانهضوا، فالعصرُ وثابُ الخطا ولكم من أمسكم أعلى مثل

وطنٌ يطمحُ لوْ نالَ المنى وتخطاها وأسرى بالأملْ

وعلا بالنيل فى هامِ الوجودْ !

○

○ العزلـة ! ○

اتركـــونى وعـــزلتى يا بنى الطيـ
ـنِ فـــإنّى فى حـــمـــاكمْ غـــريبُ !
أنا فى صـمـتـهـا صـلاةٌ .. فـخـفـوا
واهجـــروا أرضـــهـــا، فـــأنتم ذنوبُ
واتركـــونى بظلهـــا أتغنى
فـــغنائى لما جـــرحـــتمُ طبـــيبُ
أنتم الـهـمُّ فى دمى! وهـى الفـــرْ
حـــةُ، والصـــفـــوُ، والمنى والحـــبـــيبُ

○

○ شعـــر... ○

.. شـــعـــرٌ لوْ انَّ الجنَّ تســـمعُ شـــدوهُ
ســـجـــدتْ لدى جنِّ الصـــدى أرواحُهـــا
ولوْ انَّ همسَ نشـــيـــدهِ فى حـــانةٍ
خـــشعَ النَّـــدامُ[1]، وكـــبـــرتْ اقـــداحـــها
ولوَ انَّ ســـحـــرَ بيـــانهِ بمفـــازةٍ
لمضى يسلسلُ لحنهُ صـــفَّاحـــهـــا
ولو انَّ تهـــويلَ الخـــيـــالِ بســـاحـــةٍ
خلف الغـــيـــوبِ لفُزعّتْ اشـــبـــاحُهـــا
قـــدْ ســـابقَ الأرواحَ فى وثبـــاتهـــا
وشـــاى فـــعطل عن صـــداء جـــمـــاحـــهـــا..
فـــإذا بـرقُ حـــســـبـــتـــهُ قُمْـــريةً
قـــد هاجَ احـــلامَ الضـــحى تصـــداحـــهـــا

(١) الندام : جمع نديم ، المصاحب على الشراب المسامر.

أو نغمةٌ في ثغرِ حادٍ مدلجٍ
بينَ الكرى والصحوِ ذابَ صداحُها

عَذْبُ الحفيفِ على القلوبِ كأنهُ
دنيا أمانٍ قد زها إصباحُها

خمرٌ.. تحدُّ الخمرَ فيه! وقل لها :
ما كَرْمةُ الدنيا! وما تفاحُها !

وإذا بثورٍ بجنةٍ مخضلةٍ
زارتْ بأنفاسِ اللهيبِ بطاحُها

نورٌ ! ونارٌ.. روضةٌ! وجهنمٌ
وسطورُ فنٍّ معجزٌ إفصاحُها

هذا الذي يا نايُ تجحدُ سحرهُ
دنيا تئنُّ بجانبيَّ جراحُها..

○ من مرج عبقر ... ○

«إلى روح المتنبي».

١٩٣٨

مـــزمـــارُ جنٍّ بتـــيـــهِ الكونِ مـــفـــقـــودُ
تصـــرعتْ بعـــد مـــا غـــاب الأناشـــيـــدُ
مـــغلفٌ فى جـــيـــوب الغـــيـــبِ، لجَّ بهِ
فى ســـرمـــدٍ منْ ظلالِ الموتِ تخليـــدُ
تســـاءلتْ عنه أرواحُ الفـــلاَ، ومـــضتْ
تضجُّ من وحـشـةٍ فـيـهـا الجـلامـيـدُ
وأســـبلَ النجمُ أجـــفـــاناً مـــحـــيـــرةً
أمـضـهـا من عـذاب البـين تسـهـيـدُ
مطروفـة من غـبـار الدهر اتعـبـهـا
طـــولُ التـــملّى، وإمـــعـــانٌ، وتفنيـــدُ

ترصدت موكب الدنيا فازعجها

انّ شلّ خطوتها في الذرّ تأييدُ

فارعشتْ في الدجى أهدابها خبلاً

كأنما غاب في سودائها عودُ!

وضاعفتْ علةَ الأنسام سفرتُها

جوابةً.. حظها في السير منكودُ

تمرُّ بالدهر حيرى.. ما تهامسهُ

إلاّ ويرمضها منْ فيه تنكيدُ

تقولُ : هذا عجيجُ اللحن محتدمٌ

ترنُّ في جرسه السارى الأغاريدُ

وأين . يا زهر . نايٌ كان ملْهمهُ

ما أسكر الكونَ من نجواهُ ترديدُ

هذا النشيدُ فمُ الدنيا يرددهُ

فأينَ من سحره القيثارُ والعودُ؟

فطّرحَ النورُ أكماماً مخبلةً

وقصّفتْ نفسها منهُ الأماليدُ

وذابَ في مهده عطرٌ يؤرجهُ

وغابَ منْ خده سحرٌ وتوريدُ

واهتزَّ هزةَ أوّاهٍ يرنحهُ

في سورة الذكر إيمانٌ وتوحيدُ

وقـــالَ : كمْ مـــرتِ الأجـــيـــالُ عـــابرةً

ولحنهُ فى فمِ الأجـــيـــال غِـرّيدُ

لكنهـــا وجـــمتْ مـــثلى . وقـــد ســئلتْ .

وغـــال تبـــيـــانهـــا عىّ وتبليـــدُ!

وإذ بعـــاصـــفـــةٍ هوجـــاءَ قـــد صـــعـــقتْ

لهـــولهـــا الجنُّ، والآطامُ، والبـــيـــدُ

كـــأنهـــا هيـــجـــةُ الأقـــدار، مـــذْ عـــصـــفتْ

مـــا طاقـــهـــا فى شـــعـــابِ الأرض مـــوجـــودُ

من مـــرجِ (عـــبـــقـــرَ) قـــد هبتْ مـــجلجلةً

كـــأنهـــا منْ عـــتـــاةُ الجنّ تهـــديدُ

فى قلبـــهـــاً .. إنْ رق، تحـــســـبـــهُ

تأويهـــةً ردهـــا فى الليل مـــعـــمـــودُ

وإنْ قـــســـا فـــقلوب الناسِ واجـــفـــةً

والأرضُ لاهـــفَةٌ، والـــكـــونُ رعـــــديـــدُ

ألقت على الزمنِ المجنونِ حكمـــتـــهـــا

فـــراحَ يهـــدى بهـــا شـــيخٌ ومـــولودُ

وأطربتْ مِسْمعَ الدنيـــا بنغـــمـــتـــهـــا

كـــأنما نفـــخَ المزمـــــازَ «داودُ»

تلقنُ الفـــرقَ الهـــيّابَ ســـورتهـــا

فـــيـــغـــتـــدى وهو فى الهـــيـــجـــاءِ صنديدُ

صهباءُ ما جاورتْ كأساً، ولا شُربتْ!

ولا استقلّ بها في الكرمِ عنقودُ

مازال تدمانها حيرانَ تكربهُ

ضلالةً عن مجانيها وتشريدُ

حتى أتى «حلبَ» الشهباءَ منتشياً

وجسمهُ من ضنى التسيارِ مهدودُ

فراعه ما رأى من سحر مشهدها..

الخمرُ أخيلةٌ، والعقلُ راقودُ

ومزهرُ «المتنبي» عازفٌ هزجٌ

معلقٌ بأواسي النجمِ مشدودُ

يفجرُ اللحنَ إمرارٌ صادحهُ

خرت على وجهها من سحرهِ الصيدُ..

فزمزمتْ شفتاه برهةً، ومضى

والقلبُ من سكراتِ اللحن مفئودُ

يقول: لا تحشدوا عيداً لذكرتهِ

فكلُّ لحنٍ شدا من نايهِ عيدُ!

○

○ وطنُ الفأس ○

○ وطنُ الفأس ○

«ظلت القرية المصرية إلى عهد قريب منبوذة عن الفنون القومية وبخاصة الأدب، فلقد انحرف عنها سمته، ولم يتنفس له أثر بأسرارها الفنية المخبوءة حتى على يد أكبر الأدباء والشعراء فى (مصر) ذيوعا وشهرة. إما لصلف فى الأقلام أغرتها به نزعة التحضر ومصانعة المدينة العصرية الزائفة حرصا على مسايرة أذواق الجماهير.. وإما لموات الإحساس الفنى الصادق الذى يتجاوب هو والبيئة ويترجم عن أثرها فيه.. وإما لهما مجتمعين !. وقد كان للشاعر بحكم الوضع والمنزع اللذين هيأتهما له الطبيعة المصرية بتفتح روحه على شطها الرائع الحزين. أن تكون بواكير الحانه فى التغنى بسحرها، وأن تظل إلى اليوم الملهمة الثانية لأناشيده.. فما كاد يظهر ديوانه القروى الأول (أغانى الكوخ) فى مستهل عام ١٩٣٥م حتى خف أنصار هذا الاتجاه الجديد فى الأدب إلى إقامة حفل تكريمى له يوم ٢٦ من فبراير سنة ١٩٣٥م. وقد كانت هذه القصيدة لحن الشاعر فى هذا الاحتفال».

فى الضحى، والشعاعُ جاثٍ على النيـ
ـل، كما خرَّ ساجدٌ فى صلاتهْ
والرياحينُ ناهلاتٌ منَ الطلِّ (م)
رحيقَ الصهباءِ من قطراتهْ

خـــمـــرةٌ سلسلَ الضـــيـــاءُ طلاها

فـــجـــرتْ كـــوثرًا على ربواتهْ

عـــربدَ الزهر منْ شـــذاها فـــأفـــشىَ

ســـرَّ جناتهِ على نفـــحـــاتهْ !

والفـــراش الوديعُ يســـبحُ فى الأيـــ

ـــك، ويحـــســـو العـــبـــيـــر من زهراتهْ

ومنَ الطيـــرِ ســـجـــعـــةٌ ورنينٌ

ومـــن النَّحـــل زُفـــــــــةٌ فـــى رُبَاتـــهْ

وهـــنـــا هـــدهـــدٌ تـــولـــع فـــى الحـــقـــ

ـــلِ بـــظـــلٍّ يـــفـــىء مـــن نـــخـــلاتـــهْ

فـــيـــلســـوفٌ أضـــاع حكمـــتـــهُ الدهـــ

ـــرُ فـــرام الرَّشـــادَ من نقـــراتهْ !

وفـــصـــادٌ يزقُّ فى ضـــحـــوةِ النو

رِ، فـــيـــحـــيى الربيعَ فى خطراتهْ

فـــتـــنـــتـــهُ من القـــنـــابر عـــذرا

ءُ، فـــهـــاج الدفـــينُ من صـــبـــواتهْ

والعـــصـــافـــيـــرُ شـــادياتٌ فى الدوْ

حِ، تـــنـــاغى بشـــدوهـــا شـــجـــراتهْ

جنةٌ نضـــرةُ الخـــمـــائلِ فى الريـــ

ـــفِ، نماها مـــعـــذبٌ فى حـــيـــاتهْ

ناسكٌ فى الحقول، هيمانُ بالأرْ

ض، يجلّى بتربها دعواتهْ

حملتْ فاسهُ من الغيب سرًا

حير العقلَ كامنٌ من صفاتهْ

حطبٌ يابسٌ يمر على الصخْـ

ـر، فتزهو الورودُ فى جنباتهْ!

رصدٌ فى الحديد، لو أنّ «هارو

تَ» رقاهُ لضلّ فى قسماتهْ!

حكمةٌ تبهرُ النُّهى حطمَ العلْـ

ـمُ لديها العظيمَ من معجزاتهْ

لو رنا الملحدُ العنيدُ إليها

وهوَ جمُّ الضلالِ من نزغاتهْ

رجعتْ غيبهُ وكادت ـ جلالاً ـ

تسكبُ الرشد والهدى من لهاتهْ!

جنةٌ، برةُ الأفانين، لفا

ءُ، نماها معذّب فى حياتهْ

شاعرٌ فى الضحى يغنى فتصغى

كلُّ سوسانةٍ على رابياتهْ

سرق الطيرُ شدوهُ حين فاضتْ

خلجاتُ الإيمان من أغنياتهْ

وبكى النبتُ شـــجـــوه حـــين غنى

واذاعَ الشـــجـــونَ فى نبـــراتهْ

هـل رأيتَ الندى مـــدامعَ زهـــرٍ

فضّـــن من رقـــةٍ على وجناتهْ؟

أتواسيـــه فى الضنى نبـــتةُ الحـــقـ

ـل، ويقضى الإنســانُ عن حســراتهْ؟

تلك أعـــجـــوبةُ الوفـــاء! فيـــا ويْـ

ـخ لشـــعبٍ يهـــيم فـــى غـــفـــلاتهْ!

والســـواقى مـــفـــجـــعـــاتٌ عليـــه

نائحـــاتٌ تريقُ من عـــبـــراتهْ

عندها الثـــورُ قـــيـــدتهُ يدُ الظلْـ

ـم، وهذا حليـــفـــه فى ســـمـــاتهْ!

والشـــوادىفُ كمْ أرنتْ باذنيْـ

ـه، وصـــاحتْ تئنُّ فى مـــزرعـــاتهْ!

شـــهـــدتْ شـــملةٌ عليـــه تحـــاكى

كـــفـــناً مـــزقتْ بوالى رفـــاتهْ

صـــبغَ الحظُّ لونهـــا بســـوادٍ

منْ أسىً نحـــســـه، ومن عـــثـــراتهْ

تصفُ عـــريانَ! لو ســـرى نسمُ الفـــجْـ

ـر عليـــهـــا تطيـــرُ من خـــفـــتهْ

عبستْ والضياءُ مبتلعُ اللمْ

ـحِ تميس الحقولُ فى هلاتهْ

فحكتْ خطرةٌ من الهمْ رانتْ

فى ضمير الضُّحى على قنواتهْ !

يابسُ الكفِّ من عناءٍ وبرحٍ

شققَ الكدُّ بالضنى أنملاتهْ

وهو إن مسَّ زهرةً لم تفتتحْ

نفحتْ عطرها على راحاتهْ !

كم صبا السنلُ الحبيبُ إليهِ

ساكبًا بين راحهِ قبلاتهْ

وهفتْ نورةٌ من الفُول بيضا

ءُ كطيفِ الإيمان فى صلواتهْ

عشقَ الزهر كفهُ فتمنَّى

خلدَ أطرافها على ورقاتهْ !

* * *

إيه يا جنَّتى ! لقد صدح النَّا

ىُ، وروحى تفيض من نفثاتهْ

شفنَّى فى حماك قومٌ حيارى

ندبوا نحسهم على صفحاتهْ

نضروا غرسكِ الرطيبَ، وناموا

فعدا غاضبٌ على ثمراتهْ

قطفنَ اليـــانعَ الشـــهى، والقى

لبنيكِ الجـــياعِ، فـــضلَ فُتـــاتهْ!

إيه يا كـــوخىَ الحـــبيب! ألا تمـْـ

ـمعُ شـــدوًا سكرتُ من صـــدحـــاتهْ؟

غـــزلٌ فى المروج عفٌ الأمـــانى

عـــبـــقـــرىٌّ فنيتُ فـــى نغـــماتهِ

ودتِ الغـــيـــدُ لو تكللنَ منهُ

ورشـــفنَ الغـــرام من ســـجـــعـــاتهْ

حـــســـدَ القـــصـــرُ لحنه، وتمنّى

خـــفـــقـــةٌ للبـــروجِ من أبيـــاتهْ

قـــد غنمتَ السـرّى إلى الخلدِ منه

ووهُبتَ العـــزاءَ من أغنيـــاتهْ!

○ عاهلُ الريف! ○

أغسطس ١٩٣٨

الثور

فى جـــوقـــة للريفِ يعـــزفُ عـــودها
ويرنُّ فى ســـمع الضـــحى تغـــريدُها
قـــبـــستْ من الأطيـــار رقـــةَ شـــدوها
وأعـــارها ســـحـــرَ الصـــدى غـــرّيدها
وترنمتْ بين الحـــقـــول قـــصـــيـــدةٌ
عـــذراءُ من نغم الســـمـــاءِ نشـــيـــدها
تشـــدو فـــيـــصـــغى الصـــمتُ من ولعٍ بهـــا
ويكادُ من طربِ السكونِ يُعـــيـــدُها
ثاوٍ هنـــالك كـــبـــلتـــه يد الأسى
وثنتـــه عن عـــبث المراح قُيـــودها
شـــيـــخٌ أصـــم تكـــنـــفت أطـــرافـــهُ
ســـوداءُ من صلب الزمـــان حـــديدها

أحكامُ ذلٍ لُحْنَ فـــوق جـــبـــينه
ســـوداً تكتم بالســـياط وعـــيـــدها
ســـجنتـــهُ فى رحبِ الفـــضـــاء، وخلدت
آذانه رهـن الحـــبـــال جـــدودها
عكـــازهُ ســـوطٌ تلهَّـــبَ فـــوقـــه
ناراً يشبُّ على حـــشـــاهُ وقـــودها
رقـــمتْ على أضـــلاعـــه أسطورةً
دفنتْ بأســـرارِ الدهور عـــهـــودها
أسطارُ مـظـلـمـــــــة ! وايـة ذلـة!
أعـيـا فـلاسـفـةَ الورى ترديدها
لو ألهـمتْ سـحـرَ البـيـانِ لما شـدا
إلا بفلسـفـة السـيـاطِ قـصـيـدها
* * *
صـــرختْ نواعـــيـــرُ الربى لإســـارهِ
وتفـجـعت أسـفـاً عليـه كـبـودها
فـانسـابَ فـيضُ عـيـونهـا، وتفـجـرتْ
دمـــعـــاً من البلوى لديه مـــهـــودها
عـــجـــبـــاً لنائحـــةٍ عليـــه لوانهـــا
تبكى لصمِّ الصـــخـــر ذاب جليـــدها
وهـى التى ألقـــتـــه فى كنف الضنى
ورمـــاه فى العـــدم المهـــين وجـــودها !
* * *

عيناهُ غُلْفتا فصمات سناهما

في ضحوةٍ رفّتْ عليه برودها

وأزاهرُ البستان ترتو حوله

متفتحا يحسو الضيا أملودها

من نورِ المكبوتِ أشرق نورها

فاهتزَّ في الألق المنضر عودها

وشدا الحنانُ المرُّ من دولابهِ

فتراقصتْ فوق المروج قدودها

ولو انّها علمتْ أساه لصوّحتْ

وذوى له ريحانُها ووردوها!

* * *

يا ثورُ! كيف غزتكَ أسواطُ الورى

وتقطعتْ في جانبيك جلودها؟

مردتْ على كتفيكَ محراباً. إذا

صلتْ به يغرى حشاك سجودها

وكأنما نشقتْ بجلدك فوحةٌ

من روحها الفانى، فجنَّ وريدها[1]

شربتْ دماءكَ خمرةً وتصابحتْ

سكرى تخبط هائماً عربيدها

---

(١) إيماء إلى انجذاب الشيء لأصله.

يهذى فتحسبُ حين يصطخبُ الصدى

جنًا تفزعُ فى الفلاة شريدها !

«أبيس»[1] أىُّ سريرةٍ بلهاءَ فى

عِطفيك قد أعيا الحجا معقودها

حملتَ منْ «هوروس»[2]، اقدم آيةٍ

عبدتْ وقدسَ فى حماكَ عهيدها

أذكى لها الكهَّانُ نارَ بخورهم

فى «منفٍ» يسطع فى المعابد عودها

أرواحُ ضُلاّلٍ حبتكَ رشادها

وجئتَ لديك على التراب وفودها

بذلتكَ تقديسَ النُّهى ولوانهُ

للصخرة الصماء ريعَ صلودها

عبدتكَ أبلهُ لا تعى! يا ضَلَّةً

لو تستطيعُ ذراً هداكَ جحودها !

* * *

يا حكمةً فى رؤْقكَ العانى كبا

فى العقل ناهضها، وطاشَ سديدها

زعموك تحمل أرضهم.. ولو انها

عقلتْ تميد وهادها ونجودها!

---

(١) اسم العجل الذى عبده الفرعون قديما.

(٢) فى أساطير الفراعنة أن «هورس» هذا هو الإله الذى حلت روحه فى «أبيس».

مـــا العـــاهلُ الجـــبـــارُ منْ ذا دولةٍ

وقُفـتْ على ذلِّ العـــبـــاد جـــهـــودها؟

هو أنتَ! من جـــعل المروج خـــمـــائلاً

عَيْدانةً يَسـبى النفـــوس شـــهـــودها

فى كل حـــقلٍ من جـــهـــادك آيةٌ

يضـــفـــو على الريف الشـــقى خلودها!

○

○ راهب النخيل ○

١٩٣١

(الغراب)

أشيخٌ منَ الأزمان والناسِ ساخرُ
لهول الذى كابدتَ؟ أمْ أنتَ طائرُ؟
تطيرُ منك العالمون فأرجفوا
بنحسكَ، حتى قيلَ: بالحظِّ كافرُ!
وما زالَ منهمْ منْ يراكَ، كأنما
أحسَّت دبيبَ الموتِ فيه المشاعرُ
ومنْ يهجرُ الدنيا إذا كنت ضيفها
وأنتَ بهذا الكونِ سامانُ هاجرُ
تطلُّ بعينٍ ملؤها المُخْرُ بالورى
وأخرى بها للناسِ لحظٌ محاذرُ

وتستشرفُ الوديانَ.. لا قلبك ارتوىٰ

هدوءًا، ولا اهتزتْ لديكَ المخاضرُ

ولا جادك الفيءُ الظليلُ بجوسقٍ

تقرُّ بها عينٌ، ويهدأُ خاطرُ

ولا المرجُ حيّاكَ الغداةَ بأيكةٍ

تُروّحُ فيها عن شجاكَ الأزاهرُ

ولا نِلْتَ رزقًا لمْ يفيْئْ نعيمهُ

حذاركَ أنْ تُلقى عليه النواظرُ

فيوماً منَ الناطور[1] تحيًا مفزعاً

تميلُ.. فتثنيكَ الجدودُ العوائرُ

ظلالٌ، وأنهارٌ، ونبعٌ وجنةٌ

وصمتٌ على البستانِ ريانُ ناضرُ

وخمرٌ علىٰ شطِّ الكرومِ سجينةٌ

تكادُ لنجواها تهيجُ السرائرُ

مختمةُ الأقداحِ، نامتْ غصونها

فأيقظها زقزافُ ريحٍ مسافرُ

تحنّتْ [2] دواليها، وحنتْ ظلالُها

إلى رشفةٍ مخبوءةٍ لا تعاقرُ

---

(١) الحارث.

(٢) انحنت فروعها.

وجُنّتْ سواقيها، فاتّتْ، واقسمتْ

إذا لمْ تذقها لا رعاها التصابُرُ

يرنُّ على أعنابها الفيحِ ساجعٌ

تنادمهُ كأسَ الضحى وتسامرُ

تغنّى بها شادٍ، وتمتمَ في الرُّبى

يمامٌ على عنقودها النضرِ ذاكرُ[1]

كأنّ رُباها مرضعاتٌ.. كأنما

عناقيدها أملاكُ مهدٍ طواهرُ

كأن بشطِّ النيل أقدس حانةٍ

إلى اليوم لم يلمسْ بها الكأس فاجرُ

حُرِمتَ طلاها، وانتشتْ برحيقها

أبابيلُ[2] منْ نخلِ الضحى وقنابرُ

وما يفعل الظمآنُ.. والنبعُ سلسلٌ

إذا مالَ والحظُّ المخيبُ عاثرُ؟!

عيونٌ بظلِّ الكرمِ يا صاحِ أوشكتْ

تواسيكَ منها أدمعٌ ومحاجرُ

وفرعٌ منَ الجميزِ أطلس واجمٌ

حواشيه أنفاسٌ عليكَ زوافرُ

---

(١) دائم الذكر والتسبيح.
(٢) جماعات.

وصـــيُّكَ هذا النخلُ.. إنى أحـــبـــهُ

ويى مـــابه: وجـــدٌ لبلواك ســـاعـــرُ

تظلُّ على عُرْجـــونهِ مـــتـــارجـــحـــاً

خطيـــبـــاً.. فـــتـــحنو اغـــصنٌ ومنابرُ

وتنعقُ فى أظلاله مـــتـــصـــايحـــاً

فـــيـــحـــسبُ انْ شـــدَّتْ عليـــه المزاهرُ.

وراح رخـــيمُ الكفِّ والصـــوتِ والصـــدى

تناديه ألحـــانُ الخلودِ الســـواحـــرُ..

فـــتـــخـــشعُ أهدابُ الجـــريدِ كـــأنما

تودع نعشَ الريح منكَ المناقـــــرُ

وتأوى إليـــه فى الهـــجـــيرِ فـــترتوى

منَ الظلِّ.. حـــيث الظل أفـــيحُ عـــاطرُ

على شـــاطىءٍ لا مـــاءَ فـــيـــه.. وإنما

مـــواردُ خُيَّـــابِ الحظوظ مَصـــادرُ!

فتُسْقى هـــدوءًا عـــنـــده وســـكـــيـــنـــةً

وأمناً لديه يســـتـــقـــرُّ المهـــاجـــرُ

وتســـقـــيـــه . شـــأنَ الغـــادرين لجـــاجـــةً

وفى الطيـــر مـــا فى الناسِ واف وغـــادرُ!

نعـــيقٌ ولغـــوٌ أعـــجـــمتْ نبـــراتهُ

وطالَ.. ولمْ يكشفْ خـــبـــاياهُ ســـاحـــرُ

تخطفتـــه أحـــقـــابٌ، ومـــرتْ اداهرٌ

وظلَّ.. ولغـــــزٌ منه للكون قـــاهرُ

فـــمنْ قـــائلٍ: بَيْنٌ مُشتٌ، وفـــرقـــةٌ

ومنْ قـــائلٍ: شـــؤمٌ على الأرضِ طائرُ

ومن قـــائلٍ: لا البـــينُ! لا الشـــؤمُ! إنَّمـــا

بهـــذا الصـــدى النعْابِ أوْلى المقـــابرُ

وأنتَ . كـــمثلي . هاربٌ من فـــضـــولهمْ

جـــوابكَ للأكـــوان: إنيَ ســـاخـــرُ !

فـــدعـــهمْ يلوكـــونَ الحـــديثَ، وأصغِ لي

فـــمـــا منهمُ للســـمع إلا التـــهـــاتُرُ

لهم فلســـفـــاتٌ.. أنتَ ضلَّلتَ رشـــدها

بســـرٌّ تناعتْ في مـــداه الخـــواطرُ

وعـــقلٌ إذا مـــارفٌ سقْطك[1]، لـــم يـــزل

يراوغـــه طيفٌ منَ الشكِّ عـــابرُ

يهمّ إلى الأســـتـــار يكشف غـــيـــبـــهـــا

فـــيصـــعـــقـــه غـــيبٌ على الغيبِ ســـاترُ

ويمضي بكبـــرٍ في الحـــجـــا فـــيصـــده

ويردیه كـــبـــرٌ في المقـــادير طافـــرُ

فـــسُرْكَ لوْ يدرى الأُلى.. ظلُّ ريشـــةٍ

بعـــشكَ هاجـــتـــهـــا الرياحُ الزَّواهرُ

---

(١) جناحك.

ورقشٌ على الكثبانِ خلّفتَ رسمه

يذرّيه رملُ الزعزعِ المتطايرُ

فطرّ فى البرارى كيفَ شئتَ.. وغادنى

إذا عدتَ بالغيبِ الذى أنتَ ناظرُ

فما لك غيرى فى البرايا متيمٌ

وإن كنتَ تجفو عزلتى وتهاجرُ[1]

ولى فيك دنيا منْ خيالٍ بظلها

زوارق للشطِّ الخفىِّ سوائرُ

حدتهنَّ ريحٌ منْ مسابحِ عبقرٍ[2]

بمثل صداها ما تغنى مسافرُ

إلى الخلدِ أوْ منه تهبُّ.. فوالنى

بعلمك عنها، إننى اليوم حائرُ

لها الوحىُ نوتىٌّ، وظلُّ شراعها

على الدهر ممدودُ التطاليلِ غامرُ

عبرتُ بها الأجيالَ أنشد شاطئى

ودون مداه أتعبتنى الأداهرُ

فيا راهبَ الأزمانِ كشّفْ ستورها

وأفصحْ.. فإنَّ العقلَ حيرانُ سادرُ

---

(١) من الهجر.

(٢) مسابح جمع مسبحة أو مسبحة موضع تزعم العرب أنه موطن للجن ثم نسبوا اليه كل ما تعجبوا من حذقه أو جودة صنعه.

ودعنى وسـرًا فى الليـالى دفنتـهُ

سيبعثه نـاىٌ يكفـنُ صافـرُ

وإلهـامُ شـعـرٍ بينَ جنبىَّ دافقٌ

عليـه رحـيقُ الخلدِ سكرانُ ساكـرُ

إذا أنا لم اكـشفْ سـرائرَكَ التى

شـدهتَ بهـا الدنيـا، فـما أنا شاعـرُ !..

تعـالَ فطارحنى الأحـاديثَ فى الورى

فـمنْ دهرهمْ فـاضتْ لديكَ النوادرُ

عـبـرت فـضـاء الله من عـهـد (آدم)[1]

ومن قـبـله ملَّـتْ خطاك المعـابرُ

وجـئتَ بأمـر اللهِ فـى الأرض هـادياً

تداوى وتأسـو مـا جناهُ التناحـرُ

رأيتَ طريحـاً فى التـراب مـعـفّراً

تنوحُ عليـه السـافـيـاتُ الثـوائرُ

هوَ البَذْرةُ الأولى على الشـاطىء الذى

بمسـراهُ شـلاّلُ المنيـاتِ هادرُ

تمرُّ به الأيامُ خـرسـاءَ رهبـةً

كـمـا فى رحـاب القـدس أطرق سـائرُ

ويهـوى به ركبُ الحـيـاة كـمـا هوى

من الأفقِ نجمٌ كـفـنتـهُ الدياجـرُ

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى فى قصة قابيل وأخته بسورة المائدة ٣١: ﴿فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه، قال: يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى﴾.

هو الرشفةُ الأولى «لعزريلَ» منْ دمٍ
به الإثمُ دفاقٌ منَ الإنسِ فائرُ
هو الكَرْمةُ الأولى على ملعب البلى
تحسّى حُمَيّاها تقيٌّ وفاجرُ
هو الموتُ ساقٍ فوقَ أعتابِ حانه
سواءٌ صعاليكُ الورى والقياصرُ
يموتُ ضياءُ الشمسِ إنْ ممنّ دنّه
ويفنى البلى إنْ لامستهُ الحفائرُ..
رأيتُ صريعاً ذاقَ منْ فيهِ قطرةً
فنامَ.. ومن بلواهُ «قابيلُ» ساهرُ
ينادي له الدنيا: تعالَيْ! وسَتْرى
منَ الأرضِ جرحاً أثخنتهُ الهواجرُ
قتيلٌ بكفّي.. رحتُ ندمانَ فوقهُ
وكادتْ لمرآهُ تشقُّ المرائرُ
على التربِ عريانُ الفناء كأنهُ
فناءٌ لدنيا الآدميينَ سافرُ
أكادُ وقد كفنتهُ، بخواطري
- وفي الكرب قد تأسو وتُبرى الخواطرُ -
أفضُّ له منْ مهجتي سابريةً[1]
تغطيهِ.. لكنى من الضعف خاسرُ!

(١) سابرية: ثوب رقيق جيد.

أ «هابيلُ» ! مـا ذنبـاً جنيتُ على أخي..

ولكنَّ سـهـمـاً أنفـذتهُ المقـادرُ

ويارَبِّ ! غـفـرانَ السمـاء، ورحـمـةً

وستـراً.. فـعـالى غـيـرك اليـومَ سـاترُ!

فـيـا كـاهنَ الأيام جئتَ مـعلمـاً

«لقـابيل».. يقـضي بالذي أنت آمـرُ

دعـيتَ بأمـر الله تحـفـر في الثرى

فـتـنكبُّ نورَ الرشـدِ منك الأظافـرُ

نقـشتَ على الكثـبـانِ خطًا تهللتْ

وقـرتْ لمرأى النفـوسُ الحـوائرُ

فـواريتَ للإنسـانِ في مـثله أسى

ويأساً، وسوءًا مـارعـتـهُ الكبـائرُ

وأصبحَ تابوتَ الزمـانِ.. ومـضـجـعـاً

على مـهـده يغـفـو الأولى والأواخـرُ

عـشـقتُ كـراهُ، غـيـرَ أني أخـافـهُ

وأخـشى ليلتـانى البلى وأحـاذرُ

فـاحلمُ بالدنيـا كـمـا كنتُ فـوقـهـا

وتفـدحني منهـا الخطوبُ الجـوائر..!

* * *

سلاماً قـسيمي في الحظوظِ.. وصاحبي

وقـد أرخـصتْ عـهـدي القلوبُ الغـوادرُ

عشقتك منذُ النخلُ مدّ ظلالهُ

عليَّ... تغاديني به وتباكرُ

وتسبقُ حبوَ الشمس فوق جريده

ليختلسَ الأثمارَ في الروضِ ماكرُ

ومذْ كانَ لي في «الكوخِ» عهدٌ فقدتهُ

فمذْ عنه.. تنبيكَ الليالي الغوابرُ

صلاتي به في سنبل الحقل لم تزلْ

تسابيحها تغذو[1] المنى وتسامرُ

ونوحي على الدولابِ دارتْ بشيخهِ

صروفُ الليالي، وهو في الذلّ دائرُ

فواديهِ تروى الريى وهو ظامئٌ

وأناته جزاعةٌ وهو صابرُ

وفي مرجه «الفلاحُ» يشدو قناعةً

وتشدو بجفنيهِ الدموع الهوامرُ

سليبٌ من الأستارِ إلا ذؤابةً

عليها صراخُ البؤسِ في الكونِ ساعرُ

وفأسٌ بكفيهِ يكادُ حديدها

يسيلُ..! ودمعُ الظالمين مكابرُ

---

١) تغذو : تطعم والمراد تقوى.

يخطط فى القيعانِ أسطارَ شقوةٍ

لها الظلمُ وحىٌ بالرزيات هامرُ

قصائدُ منْ شعرِ الهوانِ نشيدُها

إذا رنَّ مأتوت فى أساها القيائرُ

لها عرقُ المسكينِ دمعٌ أذلُّه

منَ القلبِ ظلامٌ على الأرضِ جائرُ

مراثٍ أصمَّ الناسُ عنها جنانهمْ

ورنَّتْ بها فوقَ السياجِ العصافرُ

لأقسمتُ يا شيخَ العصورِ تذيعها

وتنعى بها فوقَ السها وتجاهرُ

فقدْ طال نسيانُ الورى لأنينها

ورنَّتْ بشكواها الطلولُ الدوائرُ...

وعطرٍ لديه الطيبُ نشوانُ ذاهلٌ

تجنُّ عليه فى الذهولِ الخواطرُ

على أغصنُ «الليمونِ» غنى خيالهُ

فضاعتْ بأحلامى لديهِ المجامرُ

رشفتُ شذاهُ مرةً فلحظتنى

فتيممتُ إحساسى وطرفكَ ناظرُ

وأوشكتُ أجثو منْ خشوعٍ فخانتنى

عدوكَ... فازورَّت لديكَ النواظرُ

وطرتَ.. وخلفتَ الخيالَ وذكرةً

على العشبِ تشجيهِ.. فهلْ أنت ذاكرُهْ؟

* * *

أُحاجيكَ.. ما قسيسُ ديرٍ مسوحةٌ

وشائعُ من فنِّ السماءِ سواحرُهْ؟

تشيبُ لحى الأحقابِ وهى شبابها

على الدهر جنحٌ أسحمُ الصبغِ عاكرُ

ويفنى ظلامُ الليل وهىَ ظلامها

خضمٌ على أبادها يتقاطرُ

تسابيحهُ فى الدير «غاق[1]»!، وإنها

لأسطورةٌ مجنونةٌ تتهاترُ

له صلواتٌ فى البرارى، وعزلةٌ

تساءلُ عنها فى الجبالِ المغاورُ[2]

ونوحٌ على صمتِ الكهوفِ كأنهُ

يؤينُ ميتاً شيعته السرائرُ

وزهدٌ على صدرِ الصحارى كأنهُ

على رملها أحلامُ جنٍ سواكرُ

ونقرٌ على الأكفانِ والجثثِ التى

جفتها ولم تستر رداها المقابرُ

---

(١) غاق غاق: حكاية صوت الغراب.

(٢) المغاور: مفردها مغارة وهى البيت المنقور فى الجبل.

وحَجْلٌ إذا ما سارَ تحسبُ نقشهُ

أنابيشَ رمّالٍ غزتها الأعاصرُ

فياراهبَ الأجيالِ إن كنت مثلما

نعتُّكَ.. فليشفِ الغليلَ التنادرُ..

أجبني على أُحجيتي.. واحكِ مثلها

فمنْ فيكَ يحلو لي الصدى والتسامرُ..

فقالَ: أنا القسيسُ والكونُ معبدي

وبالشرع في ديني، البرايا كوافرُ!

فأنصتْ لنجوايَ الغداةَ، لعلما

يهدهدُ جرحاً في حشاي التناظرُ:

أحاجيكَ.. ما طيرٌ على النيل شاردٌ

جفته عشاشٌ في الحمى ومعابرُ

يرفُّ على الأكواخ تدمى نشيدهُ

أماسٍ صريعاتُ المنى وبواكرُ

تغنى طويلاً بالأسى في ظلالها

فغصتْ بأناتِ اللحونِ الحناجرُ

ومالَ إلى دنيا الحضارة نجمهُ

فأشجته أطماعٌ بها وتهاترُ

وقومٌ على زيف المناصبِ حوّموا

وهاجوا على بهتانها وتناحروا

ومن خلفهمْ جيشٌ . من البؤس والضنى
وهول العوادى ، مضرمُ القلب ثائرُ
فلولٌ من الأبشار ساق حطامها
وأغرقه لجٌ منَ الظلم زاخرُ
وقطعانُ إنسٍ للضجور تواكبتْ
كما دفَّ سربٌ للينابيع صادرُ
فَرُوْعَ قلبُ الطير منها.. وأصبحت
قيائرهُ خُرْسُ الأغانى خوادرُ
فمال إلى عشٍّ تحنُّ لطهره
وتهفو إليه فى البروج الحرائرُ
به ضبةٌ عذراءُ من طيها ارتوتْ
وضاعت على نسكِ الغرام المباخرُ
أستْ جرحهُ الدامى، وواستْ شجونهُ
ونُسْتهُ ماجرتْ عليه الحواضرُ..
ودارت علىَ العشِّ الليالى فأضرمتْ
بدنياهُ أنفاسُ الرياحِ السواعرُ
فأصبحَ مفطورَ الأغانى مشرداً
على الأفق طيرٌ عن مغانيه نافرُ!
أجبنى على أحجيتى.. وانضِ[1] سرها
فإن لم تُكشْفهُ فما أنتَ شاعرُ!

---

(١) اكشف.

فـــقلت: أنا الطيـــرُ الشـــريدُ! وهذه

بلادىَ يشـقى فى حـمـاها العـبـاقـر

أعـيش بهـا أسـتـمـرىءُ الحظَّ صـدفـةً

كـمـا عـاشَ مِنْ سَفْىِ[1] البـيـادرِ طائرُ

فـلاَ الحظُّ واتانى! ولا اليـأس صـدَّنى!

كـأنى على خـضـر الروابى مـقـامـرُ!

(١) ما تسفيه الرياح من بيادر القمح.

○ الشادوف ○

ـغْ لحنكَ الشـــادى بلا تعـــزيف..

طربَ الخـــيـــالُ لأنةِ (الشـــادوف)

ـريانُ جـردهُ الضـحى منْ سـتـره

فـــغـــدا يضج بدمـــعـــهِ المذروفِ

ـمْ يرضـــهِ ثوبُ السنا ســـدلاً له

يختـــالُ فى بَهَـــجٍ ولمحِ شـــفـــوفِ

ـبكى ونكسَ رأســـهُ مـــتـــذللاً

مـــتـــحـــسـرًا كـــالعـــاشقِ الملهـــوفِ

ـإذا تقـــاعسَ خلتـــهُ فى صـــمـــتـــهِ

جـــثـــمـــانَ مـــصلوبٍ بغـــيـــر كـــفـــوفِ

ـرتْ ســـواعـــدهُ الليـــالى، وانبـــرتْ

تبليـــه فى ســـخـــطٍ وفى تعنيفِ

وإذا جئتَ الفيتَه متعبداً

طهرتْ سرائرهُ منَ التزييفِ

سجداتهُ فى النبعِ قبلةُ واله

طبعتْ على سلساله المرشوفِ

سديانُ قدمَ للورودِ شرابهُ

وأعارَ أدمعَه لقلبِ الريفِ

فيظلُّ يظمأُ عارياً، والزهرُ فى

ريٍّ ونبتُ الحقلِ فى تفويفِ

ثارٍ على الجبِّ العميقِ كأنهُ

أعمى على جوفٍ هنالكِ موفى

جبارٌ أفزعهُ الردى، فتقلصتْ

أضلاعهُ منْ صرعةِ التخويفِ

فتخالهُ فى الوهمِ جثةَ ماردٍ

ضجرتْ لهولٍ فى القبورِ مخيفِ

فأعارتِ الأكفانَ ثورةَ حانقٍ

برمتْ بحتفٍ فارتمتْ بحتوفِ!

يا صامتاً والريحُ تخفقُ حوله

والنبتُ يطربهُ بسجعِ حفيفِ

وتصايحُ الغربانِ ينذرِ مرجَه

بحصيدِ سافيةٍ وجدبِ خريفِ!

ورِبابةُ الراعى تهـــــدهدُ عندهُ

قلبـــاً يهـــيم بلحنهـــا المعـــزوفِ

سكرى من الأنغـــام أسكرَ شـــدوها

آذانَ ثاغـــيـــةٍ. وســـمعَ خـــروفِ

هـلاَّ شَجَتْـكَ نُفـــــاثةٌ مـنْ بائسٍ..

لهـــفـــانَ فى كنف الطوى ملفـــوفِ!

روَّى الـزُّروعَ بصـــيِّبٍ منْ دمـــعـــه

وثوى بقـلـبٍ فى الظـلامِ لهـــيـفِ!

○

○ إلى دخان الكوخ ○

أترى أنت على الأفـ ـق لهيبٌ أم دخانُ !
أم جراحُ الكوخ سجّا ها منَ البؤس الزمانُ
أم دموعُ الشاء والرغـ ـيانُ أذراها الهوانُ؟
أم شجونُ الفأس أبلا ها الضنى والحدثانُ ؟
أم هى القريةُ لم يخـ ـفقْ لبلواها جَنانُ ؟
زفرتْ فى الجو ثكلى لمْ يصابرها الحنانُ !
فهى جرحٌ ودخانُ الـ كوخِ بالشكوى لسانُ !

○

○ [١] سنبلةٌ تحتضر.. ○

فى ليالى الحصاد..

كـانَ لى عـرشٌ على الربوةِ ... ممـــدودُ الـــظـــلالِ

تهـجعُ الشـمسُ إذا هلتْ ... بهِ فـــوقَ الـتـــلالِ

والضـحى يخـشعُ، والآ ... صـالُ تجـثـو، والليـالى..

عـابداتٍ سـاجـداتٍ ... فى ثرى النيل حـيـالى !

* * *

يا فراشاتِ الضحى واسألنْ ... عـنهُ فى الكـثـيبِ،

كـيفَ ولّـى.. وتوارتْ ... شـمـسـهُ خلفَ المغيبِ،

وطوتْ أحـلامَـهُ الخـضـ ... ـراء أشـجـانُ الغـروبِ،

وعـرتهُ شـيـبـة الأكـنـ ... ـانِ فى قـبـرِ الغـريبِ؟

* * *

كـــانَ للراعى به شـــدْ وٌ، ولـــلـــنـــخـــل تـــغـــنـــى
ولـفـــــلاحى بـه.. ويـلا هُ! فـــــنُّ أىُّ فـــــنْ..
قـبلَ أن تصـحـوَ شـمـسى فى الربى يوقظُ جـــفنى
ويغنى... فـيـســاقـيـ ـنى الهـوى من كل لحنى !

* * *

وإذا ترمـضـــهُ فى الحـقلِ م أنفـــاسُ الهـجـيـــر
يـنـثـنـى تحـتَ ظـلالـى غـافـيـاً مـثلَ الطيـورِ
حـلـمـــــهُ : سنبلة ترْ قصُ فى شطِّ الغـــديرِ
فـإذا اسـتـيـقظَ صـاحت فى الربى: حـانَ مصـيرى !

* * *

وإلى أينَ سـيـمـضى نعشُ عـودى ويسـيـرُ؟
إنْ مـــوتـىَ لودرى الإنْـ ـسـانُ بعثٌ ونشـورُ
فـاسـألوا «المنجلَ» عنى فـهـوَ بالسـرِّ خـبـيـرُ
واسـألوا «النورجَ» ينبـيـ ـكم بحـدْيهِ المصـيـرُ!

○

○ [٢] هكذا قال «النورج» ○

تحتَ حدّى قصةُ السـ ـنبلِ يرويها الفناءُ
غرسةٌ صلّى لها الصـ ـبحُ، وحياها المساءُ
واحتسىَ خمرَ هواها في الضحى ظلٌّ وماءُ
وانتشى من سحرها طـ ـيرُ الربى والشعراءُ..
ملعبٌ دنياهُ أعرا سٌ، ورقصٌ، وغناءُ
هللَ الكوخُ عليه وتناجىَ البؤساءُ..
ثم دارَ الدهرُ حيناً.. فمشى فيه العفاءُ!

* * *

غرسةٌ صلّى لها الصبح وحيّاها المساءُ
عانقتْ حدى.. وقالت: أنا للكونِ فداءُ!
هات لى الموتَ.. فنعْشى لبنى الدنيا غذاءُ..

○

○ هكذا قالت دودة القبر ! ○

أنا فى ظلمةِ قبرى ... أرتوى من كل خمر..
من رضابٍ فى شفاه الغيـ ... ـد، أشتى بسحرى!
وسرابٍ فى جباه الصيدِ م ... كم أغرى بكبرا!
كم ملوكٍ دانتِ الدنيـ ... ـا لهم، ذلّوا لأمرى
وعروشٍ رصعتْ ... تيجانها.. حلياً لصخرى
وسوساتُ الدرّ فيها ... كنّ أنغامى وشعرى
لى يا ابنَ الطينِ ملكٌ ... فى البلى لو كنتَ تدرى
صولجانُ الدهر عندى ... وزنهُ مثقالُ ذرّ
تظمأُ الدنيا فتمضى ... تستقى منْ كلّ بحر..
لا يرويها، ولا يطفى ... اسداها غيرُ نهرى
شاطئٌ مهدتُ للنسـ ... ـيان فيه كلّ عصرِ
أقلقَ الأزمانَ فيه الـ ... موجُ منْ برٍّ لبرّ
فانزوتْ فى القبرِ حيناً ... ثمّ نامتْ تحت صدرى !

○ هكذا أغنى ○

إن تسلْ فى الشعرِ عنى.. هكذا كنتُ أغنى !
لا أبالى أشجى سمْـ ـعكَ أمْ لمْ يشجِ لحنى !
هوَ منْ روحى لروحى صلواتٌ، وتغنى
وهوَ منْ قلبى ينابيـ ـعُ بها يهدرُ فنى
للأسى، فيها تعالـ ـيل ولليأس تمنى
وهوَ إحساسى الذى ينـ ـسابُ كالجدولِ منى
وأبٌ كالطيرِ فى الأفـ ـلاكِ منْ غصنٍ لغصن
ذاهلٌ كالوترِ المهـ ـجورِ فى عودِ المغنى
ساهمُ الأنفاسِ حيـ ـرانُ.. أيبكى أمْ يغنى ؟
لم يصبْ من دهره غيـ ـرَ جحودٍ وتجنى
فانبرى يعصفُ فى ذنيـ ـاه بالشدوِ المرنْ
زاجلاً تذكى صداهُ نارُ أيامى وحزنى
إنْ تردْ منهُ سلوًا عن أساهُ.. فامضِ عنى

هكذا يخفق نايى ... بينَ إلهامى وبينى

يلهمُ اللهُ.. فيمضى ... وتر الروح يغنى

فسواءٌ رحتَ تُغضى ... لاثماً.. أو رحتَ تُثنى

مِزْهرى نشوانُ لاتو ... قظهُ ضجةُ كونى !

مذهبى؟ لا مذهبَ اليَـ ... ـومَ سوى أصداءِ لحنى

ولها الخلدُ ! ولىَ فى ... ظلها سحرُ التغنى

هى خمرى ! وهى حانى ! ... وهى أعنابى ودَنّى

قد وهبتُ الفنَّ عمرى ... ووهبتُ الشرقَ فنى

فليلمْ من شاء.. إنى ... راسخٌ كالطود جنى

فإذا رقَّ.. فقل: يا ... قُبْلة الأسحار غنى!

وإذا هاجَ .. فهولٌ ... ساقهُ موكبُ جنّ!

«إن تسلْ فى الشعر عنى ... هكذا كنتُ اغنى!

إنْ تشأ فاسمعْ نشيدى.. ... أو تشأ فارحلْ ودعنى!

وإذا أشجاكَ همىٌ ... من صداهُ.. لا تلمنى !

ما أنا إلاَّ كظلّ ... لشعورى.. فاعفُ عنى !

○

الديـوان الثالـث

○ الملـك ○

ظهرت الطبعة الأولى من هذا الديوان يوم ١١ فبراير ١٩٤٦وهو عيد ميلاد الفاروق.

الإهـداء

مولاى صاحب الجلالة:

هذا هتاف الفن لأنوارك الجديدة فى كل آفاق الحياة، سكبتُه من دمى غناءً يفيض للدنيا بحبِّك، وينبض فى جوانح الزمن بآيات وطنيتك.

وحملته إلى الوجود أمانة عن تراب واديك العزيز.... من القرية التى خُضْتَ ظلامها وأسقامها حتى طرقْت باب الكوخ بيمينك لتطمئن على حياة شعبك، فشددتَ ساعد الفلاّح والعامل، ورقأتَ دمعة البائس والسقيم، ونفضت غبار الذُّلّ والمسكنة عن هؤلاء الذين طرحتْهم عبوديّة الفقر والجهالة فى كهوف النِّسيان.

... من المدينة التى لفّتْها عدالةُ الوجود مع أختها القرية تحت ظلال تاجك، فآمنَ كلُّ أبناء مصر بأنهم سوَاسية على أعتاب مُلْكك، وأن الحياة حق للجميع على دين سواء.

... ومن الآفاق البعيدة التى تَفْجأها خُطاكَ بالنُّور والحياة، فتشعر بأنك. وأنت قلبُ مصر. تغذو كلَّ أطرافها بشبابك وقوّتك، وأنك لاتنام وحفْنةٌ من تراب واديكَ يُموزِها الضياء.

... ومن النِّيل الذى عَصَمْتَ عزّته!

... ومن الشرق الذى عَصَبْتَ وحدته!

... ومن نفخة الصُّور التى بعثتْ بها الجيل كلّه.

فكنت حاملَ الشُّعلة الأولىٰ فى طريق أيامه، ورائدَ الوثبة الكبرى فى كفاح نهضته.

إلى شعبكَ الفادى أهُزُّ هذه التَّرانيم.

وإلى نورك الهَادى أرفع هذه الأمانة.

القاهرة فى أول يناير ١٩٤٦

٢٧ محرم ١٣٦٥

محمود حسن إسماعيل

«ارفعوا المشاعل فوق الطريق، ولا تجعلوها ناراً تحرق، بل اجعلوها نوراً يضيء»

«الفاروق»

(من رسالة ملكية)

○ نـور مـن اللـه ○

في يوم الميلاد الملكي السعيد
وهو عيد مصر الخالد المتجدد:
شعت على سماء وادي النيل أول هالة
من نور الفاروق العزيز:
مع أول شعاعة من قبس النهضة الوطنية
فكان فجر الحرية ورمزها الأبدي.

نـورٌ مـنَ اللّه تـرعـــــــاهُ الـعـنـايـاتُ
هـاتـوا أغـــانـيكمْ فـي حـــبـــهِ، هـاتـوا..
وطـاولـوا هـامـــــةَ الـدنـيّا بـعـــــزتِهِ
فـنـحـنُ مـنْ دونـهَا فـي الأرضِ أمـــــواتُ
ورددوُا فـي ضـــــحَى الوادي بشـــائرهُ
فـــمـــا لنا غـــيـــرهَا للمـجْـد آيـــاتُ
وامـشـوُا كـمـا خطرتْ مـصـرٌ بسـاحـتـهِ
نشـــوىَ ترنّحُ جنبـيْهـا الصـــبـــابـاتُ

غـــذًا هواهَا دمًا يجـــرى بمهـــجـــتـــهِ

كـــمـــا جـــرتْ بحـــيـــاة البـــحْر مـــوجـــاتُ

حنا عليـــهـــا، كـــمـــا تحنُو الظلال علَى

ســـــارى هـجـــيـــــر لهُ فى الدوْ آهـاتُ

حنا عليـــهَا، كـــمـــا يحنُو الشـــعـــاعُ على

مـــحـــيّر الليل تشـــقـــيـــهِ المقـــازاتُ

حنّا عليـــهَا، كـــمـــا تحنوا المنَى فـــجـــاتٌ

قلبًا تراوغُ جنبـــيـــــهِ العُـــلالاتُ

حنا عليـــهـــا وسـقّـاهَا العـــلا، فـــمـــضتْ

ومَا لهَا غـــيـــرُ شطْ النجْمِ غـــايـاتُ

مملكٌ فى شـــبـــابِ العـــمـــرِ، تحـــسـبـــهُ

لحكمـــةِ الرأى تحـــدوهُ القـــداســـاتُ

أســـاس ملكِ الورَى ســـيفٌ وصَولجـــةٌ

وملكهُ الضـــخمُ تعليـــهِ الحُشـــاشـــاتُ

أحـــبـــهُ الناسُ، حـــتى لوْ ســـجـــا حلمٌ

بغـــيـــرِ رؤياهُ، تُبليـــهِ النُّفـــاثاتُ

أحـــبّهُ النيلُ ؛ سلْ أمـــواجـــهُ ترَهـا

وملْء اقـــداحـــهَا منهُ بشـــاشـــاتُ

أحـبّه الطيـرُ؛ حـتّى قـالَ اعـجـمـهُا

مـن نشـــوةٍ بالهـــوَى: أينَ الربابـاتُ؟

احبُّه الشرقُ! حتّى صارَ قبلتَهُ
أنّى مشىَ خلفَهُ تمشى السياساتُ
احبّه اللهُ إذْ أوحى لكلِّ هوًى
يشرى هواهُ، فحفتهُ الضّراعاتُ!
كأنما حبّهُ للكونِ هاديةً
منَ الشرائعِ ساقتْها الديانَاتُ
متوجٌ فوقَ عرشٍ منذُ ما بزغَتْ
شمسُ الوجودِ تحييهِ البريّاتُ
شعتْ على مفرقِ التاريخِ صفحتُهُ
كأنّها لظلامِ الدهرِ مشكاةُ
منْ عهدِ «فرعونَ» ما زالتْ عظائمُهُ
تتلىَ بها لبنى الدنيا رواياتُ
أهرامُ «خوفو» تهابُ الجنُّ ساحتَها
كأنّاً هى للأقدارِ خيماتُ
مخيماتٌ، وأسرارُ السماءِ بها
كأنما هى للأفلاكِ جاراتُ
وخيلُ «رمسيسَ» مازالتْ سنابكُها
تلقى حديثَ الوغىَ عنها الفتوحاتُ
والسيفُ فى يدِ «إبراهيمَ» ما فتئتْ
للنصرِ ترعشُ حدّيهِ الخيالاتُ

وادٍ أشمُّ العلَى، مرتْ به حقبٌ

أيامهنَّ بكفِّ الدهرِ راياتُ

ضفافهُ منزهُ الدنيَا ومعبدهَا

ونيلهُ لعذارَى السحرِ مرآةُ

وللطيورِ به شدوٌ، تسيلُ علَى

إيقاعهِ من أغانى الخلدِ رناتُ

شعرٌ منَ النغمِ العالى يساجلهُ

من أفرعِ الدوحِ تسبيحٌ وإنصاتُ

وللرياحِ أباريقٌ مختمةٌ

بمثلِ صهبائها لم تسق حاناتُ

تجرى بأسرارهَا، لمْ يدْرِ شاربهَا

أسرٌ هنالكِ أم للرُّوحِ إفلاتُ!

دنيَا منَ السحرِ لمْ تكشفْ سرائرهَا

لساحرٍ لمْ تكاشفهُ السمواتُ

سجتْ رباهَا، وقلبُ الأرضِ مضطرمٌ

تفزَّعَ الجنَّ من شكواهُ أناتُ

«فاروقُ» أنتَ لهَا فجرٌ علَى يدهِ

ترقرقتْ منْ ضياءِ الله هالاتُ

«فاروقُ» أنت ملاذ عند حيرتهَا

علَى يديكَ لهَا ترجَى المناراتُ

وعصبتها عن النور الضلالاتُ

«فاروقُ» كم رحتَ في البلوى تهدهدُها

ومنْ سواكَ إذا تطفّى البليساتُ؟

كمْ بائسٍ كنتَ سلوانًا لكربته

لولاكَ من دمعه يروىَ ويتساتُ!

وكم شقى الثرىَ عارى الأديمِ، مضتْ

رفرافةٌ منكَ تحييه السعاداتُ!

وكم خريفٍ على الأكواخ أهلكه

ندالكَ، فهوَ رياحين وأيكاتُ!

في كلّ يوْم شعاعٌ القَّ ذهبت

تطوف منكَ به للنيل داراتُ

عطفٌ، وبرٌّ، وإحسانٌ، ومرحمةٌ

ياقومُ منْ ههنا تزكو العباداتُ!

قال المضلونَ: من هذا؟ فقلتُ لهمْ:

في كلّ بيتٍ هدًى منهُ علاماتُ

هذا الذى يرهبُ الأيامَ صولجهُ

لله منْ نسكه تمتدُّ راحاتُ

يقظانُ للوحدة الكبرىَ لدَى وطنٍ

كادتْ تمزقُ جنبيه الخلافاتُ!

مـــا فـــاتـــهُ مـــثـــلٌ أعلَى لمصـــرَ، ولاَ

لغـــيـــرِ عـــزتِهَا منهُ صـــيـــابـاتُ!

مـــولاىَ! قـــدنا إلى الأفـــلاكِ وامضِ بنَا

شـــعـــبًا إلى المجـــدِ تحـــدوهُ البطولاتُ

واسـمعْ نشـيـدَ الحـمىَ! مـا فى مـقـاطعـه

إلا قلوبٌ إلى «عـــبـــديـنَ» مُـــزْجـــاةُ

شـعـرٌ ضـيـاؤكَ يجـرِى فى مـسـابحـه

كـــمـــا جـــرتْ بضـــيـــاءِ الطورِ «توراةُ»..

○

○ فـــاروُق ○

عيد الجلوس ٦ مايو ١٩٤٥

«.. وكان عيداً للإنسانية، والطبيعة، والوطن. سكن فيه أوار الحرب، والتقى على أعتابه موكب الربيع وفجر السلام».

عيد النيل والطبيعة

منكَ الربيعُ.. ومنّى اللحنُ والوترُ
فلا عليَّ إذا بالشدوِ أنهمرُ!
سلا المغنونَ ليلاهمْ وليلهمُ
وأنتَ حبٌّ لسلوى الناسِ مُدَّخرُ
وملَّ حاديهمُ الترنيمَ، فانتبهوا
على قوافلٍ لمْ يهدأ لها سفرُ..
قوافلٌ منْ أغانٍ؛ أنتَ ملهمُها
وأنتَ فيها الهوى، والشجوُ، والذكرُ
حداً خطاها «سليمانٌ» وطارَ بها
بساطهُ، وهدى أرسانها القدرُ

مـاليـمـاتُ الصـدىَ، تسـرى فـتـحـسـبـهُا

بناتَ طيـرٍ جـلاها الصـمتُ والسَّحَـرُ

ذواتُ سـحـرٍ يروعُ الجنَّ، مـا طرقتْ

غـيْبًا ولمْ يأتهـا عنْ سـرهِ خـبـرُ

كم صـادفتْ فى السـرىَ ركـبًا! فـأذهلهُ

أنَّ الـرياحَ لهـا تُصـغى وتأتمرُ

أطلقـتُهـا من صـحـارَى النفسِ عـاتيـةً..

دنَا القطافُ، ولكنْ أو غلَ الثـمـرُ!

إنى أغنِّى! ومـا بى حـاجـةٌ لفمٍ

يروِى، وقلبٍ بما يرويه يعـتـبـرُ

هذا جناحىَ؛ فليطرح حـبـائلهُ

صـيـادُ أرضِ النجـومِ الخـاتلُ الحـذرُ!

طيـرتُ فى الأفقِ أسـرابى، فـحـيـرهَا

أن الفـضـاءَ سـجـينٌ خـانهُ النظرُ!

فـحـومتْ، ورمى الأفـلاكَ هازجـهـا

بنغـمـةٍ لكَ فى توقـيـعهـا أثرُ

ألستَ منْ شـمـسـهـا فى مـثْلِ واهلةٍ

من الضـيـاءِ، عليـهـا حـوَّمَ البـشـرُ؟

النيلُ حـولكَ يجـرى، مـا بشـاطئهِ

إلا هـوى لكَ طـىَّ المـوجِ مـسـتـتـرُ

ضفافةُ الخضرُ والأحلامُ تسكنها
لنورِ تاجكَ فيها معبدٌ عطرُ
غنى به العشبُ، والأنسامُ حين سرتْ
أدتْ صلاةَ الهوى من أهلها زمرُ
وقالت الريحُ قولاً، منذُ ما نزلت
كلُّ الرسالاتِ لم تهتفْ به سورُ
تمائمٌ، وأساطيرٌ، وقافلة
من التهاويلِ لمْ تُلمحْ بها صورُ
هزتْ مزاميرها أشجانَ من سجدوا
سحرًا لواديكَ في الماضي ومنْ عبروا
وشاهدتكَ فاغضتْ واستحتْ وسجتْ
كأنها رسلٌ للوحيِ تنتظرُ
كلُّ الطبيعةِ في الشطينِ زامرةٌ
وأنت «داوودها»: لم تروكَ العبرُ!
انظرْ تجددها بأقداحِ الربيعِ أتتْ
وعندها لكَ من أعرامِهِ خبرُ
ذابتْ على يومكَ الميمونِ أدمعُها
وطابَ للنامِ في محرابِها السمرُ
وراحَ كلُّ نديمٍ عندَ حانتِها
بغيرِ ذكرِكَ لا يُقضى له وطرُ

تخالطت خمرها في كأس شاربها

رحيقُ حبك أمْ عنقودُها النَّضِرُ!

سبحانَ من ردَّها عن ظلمةٍ، وقفتْ

فيها ذولولُ كالشكلى وتُختضرُ

خرساءُ! لا طائرٌ فيها ولانغمٌ

جردا! لا ايكةٌ فيها ولا زَهَرُ

الطيرُ فيها شياطينٌ مجنحةٌ

منَ الحديدِ! صدىً ألحانها شررُ

قذافةُ الموْت عمياءُ الطريق به

حمقاءُ! إنْ تخطُ لاتُبقي ولاتذرُ

أعشاشها من ضلوعِ الناس إنْ سكنتْ

وجوها هبوةٌ بالهولِ تستعرُ

والماءُ فيها دمٌ تغلي سواكبهُ

كأنه من حميمِ النارِ منفجرُ

هذي هيَ الحربُ: أعمارٌ مبعثرةٌ

ولا نعاةٌ، ولا نعشٌ، ولا حُفَرُ

لفَّتْ أعاصيرها الدنيا، وفي يدِها

فجرُ الحضارةِ والآمالِ ينتحرُ!!

صانتْ يدُ الله ملكًا أنتَ عاهلهُ

وانتَ حاميهِ إنْ طافتْ به الغِيَرُ

وادٍ رمـيتَ الضـحىَ فى جنبِ غـفـوتهِ

فـهبَّ من رقـدةٍ طالتْ بهـا العُصُـرُ

كـانتْ تعـيشُ على التـاريخِ عـزَّتَه

واليـومَ منكَ صـبـاها الفـارغُ النضـرُ

بعـثـتـهـا وشـبـبتَ النارَ فى دمِهـا

وقلـتَ: هُبِّـى! فكـان الـزادُ والسـفـرُ

ومـثلُ عـزمكَ يا «فـاروقُ»: عـاصـفـةٌ

ركـابُهـا بغـيـوب الليل مـدَّثرُ

تُـذرى بصـولجـهـا قلبَ الهـشيم، كـمـا

تمزقَ اليـأسُ فى كـفـيكَ والخـورُ

ومـثلُ بـركَ يا «فـاروقُ»: زائـرةٌ

من الغـمـامِ تلقـىَ فـيـضـهـا الزَّهَـرُ

مـالتْ عطاشُ الليـالى ترتجـيكَ، كـمـا

بالنهـر مـالَ حـمـامٌ شـفَّـهُ سـفـرُ!

ومـثلُ خطوكَ يا «فـاروق»: فـاجـئـةٌ

من الهـوى لمشـوقٍ فتَّـتـهُ السُّهـر

أفـاقُ مـصـرَكَ «سـيناءٌ» وأنت لهـا

«موسىَ» يشـعـشعُ منكَ الحـالكُ الفكـرُ!

ومـثلُ عـدلك يا «فـاروقُ» سـاريةٌ

منَ الضـيـاءِ سـقى عـيـدانهَا القـمـرُ

سيَّانِ فيها عزيزٌ في مقاصرِهِ

وشاردٌ ذادهُ عن كوخهِ الضجرُ

هذي موازينُ شعبٍ أنتَ سائسُهُ

فاحكمْ! فإنك في أيامه «عمرُ»!

ومثلُ تاجك يا «فاروقُ»! ما عرفتْ

مفارقُ الملكِ، والتيجانُ، والسررُ

منورٌ بالعلا، من عهد أنْ وقفتْ

أهرامُ «خوفو» وغنى الفأسُ والحجرُ!

ومثلُ شعبكَ يا «فاروقُ»! كوكبةٌ

منَ الطيورِ جفاها الظلُّ والشجرُ

في قارظٍ منْ سهوبِ الصيفِ يرهبهُ

خطوُ النسيمِ؛ رمى أسرابها القدرُ..

فزفزفتْ، وتلاشتْ فيكَ لوعتُها

وأنتَ روضٌ بقلبِ الفجرِ مُزدهِرُ!

ومثلُ عطفكَ يا «فاروق»؛ شاديةً

من الأنامل يشكُو تحتها وترُ

تُشجي وتُطربُ! لا تدري الذي سحرتْ

ولا الذي موشك باللحنِ ينسحرُ

تَشفي وتُبرئُ لا تدري.. كما شربتْ

طبُّ الربيعِ جراحٌ دسَّها زهرُ!

ومثلُ عصرِكَ يا «فاروقُ»! مُزعجةً

من الليالي، تهاوتْ حولَها النُّذرُ

وأنت للنيلِ فيها فارسٌ عجبٌ

معلمٌ دونَ حربٍ كيفَ ينتصرُ!

شبابُ ملكِكَ للأوطانِ أغنيةً

على صداها جميعُ الناسِ قد سكروا

إن كانَ فرقنا رأيٌ.. فأنتَ لنا

قلبٌ لديهِ ذنوبُ العقلِ تُغتفرُ

فاجمعْ هواناً، وطرْ للنجمِ محتشداً

فما يزالُ هناكَ المجدُ ينتظرُ..

عدلتَ في الحبِّ إذْ سويتَ خطوتَهُ

فكلُّ أرضٍ لها منْ سحرِهِ أثرُ

أما نزلتَ على الصلبانِ ساحتَها(*)

هلالُ حبٍّ رآهُ القلبُ والنظرُ؟

وقامَ «بَطْريقُها» هيمانَ منتشياً

وجفنهُ بعُذابِ الشوقِ ينهمرُ

كأنما أنتَ منْ «عيساهُ» خاطرةً

يشجنُ بزورتها الإنجيلُ والصورُ!

(*) شرف الفاروق بحضوره قبيل هذا العيد احتفالاً علمياً لمدارس الأقباط.

فـــاروقُ! هذا الذى توحى السـمـــاءُ إلى

نـاى يُحسُّ، ويسـتـوحى، وينفـجـرُ

شـعـرٌ ضـيـاؤكَ يجـرى فى مـقـاطعـهِ

فنًّا حـدتهُ العُـلا والمجـدُ، والخطرُ

وبعضُ مـاتُلْهمُ التـيـجـانُ أغنيـةً

للفنِّ والسـحـر فى إنشـادها صـورُ

يَبْلـى الغنـاءُ، وشـاديهِ، وسـامـعـهُ

إلاَّ غناءٌ به الأحـسـاسُ منفطرُ

هـذا غنـائىَ يا «فـاروقُ» خلـدهُ

جـديدُ وحـى، كضـوءِ الشمسِ منتشـرُ

يروى عُـلاكَ، وتُـروىَ عنْ تمائمـهِ

إدهاشـةُ السـحـرِ فى ألْبـابِ منْ سـحـروُا..

○

○ أسألوا عنه ○

آهٍ منْ شـــوقٍ أثارتهُ الأغـــانى!
آهٍ منْ لحنٍ أهاجتهُ المثـــانى!
آهٍ منْ ســـحرٍ خفىٍ فى جَنانى
أيهـــا الناىُ الذى حـــملتهُ
مـــا الذى تحـــملُ منْ غيبِ الزمـــانِ؟!

* * *

كلُّ يومٍ لكَ صـــحوٌ والتـــفاتُ
وتســـابيحٌ، ونسكٌ، وصـــلاةُ
والمحـــاريبُ جـــمالٌ وحـــياةُ
ومـــعانٍ لستُ أدرى فى مـــداها
أأغنيـــها بروحى أم لســـانى؟

* * *

سائحٌ أنتَ على الدنيا غريبُ
في ضميرِ الدهرِ تسرى وتجوبُ
أخيالٌ أنتَ، أمْ أنتَ لهيبُ؟
لكَ خطوُ الطيفِ إنْ ريعتَ خطاهُ
ولكَ النارُ التي هدأتْ كياني!

* * *

ومقيمٌ أنتَ، أم عنيَ راحلْ؟
كلما قلتُ: تجافتكَ المناهلْ
عدتَ في سربٍ منَ الإحساسِ زاجلْ
أفطيرٌ أنتَ، أمْ أشواقُ طيرِ
أفردتهُ الريحُ في ليلِ الجِنانِ؟!

* * *

كمْ تغنيتَ بدمعٍ وابتسامِ!
وتشاجيتَ بصمتٍ أوْ كلامِ
أفبحرٌ أنتَ للأرواحِ طامْ؟
أمْ غديرٌ خفَّ ملهوفٌ إليهِ
وتناجى في حماهُ عاشقانِ؟!

* * *

مالنا يانايُ في الدنيا حيارى؟
نشربُ الأيامَ أشجانًا وثارا
ونزفُّ الشدوَ للكونِ سُكارى

أفدمعٌ أنتَ، أم خمرٌ جفاها
قدحُ الساقى، فأنّتْ فى الدّنان؟!

* * *

حولكَ الشطآنُ خضرُ الربواتِ
خضرُ أحلامِ الطيورِ المشجياتِ
وبها الأمواجُ خضرُ الخفقاتِ
تَسْمعُ الضفةُ حلمَ النيلِ منها
ساحرَ الرؤيا، حفىَّ المهرجانِ!

* * *

ما الذى هزَّ منَ الخلدِ رَكابهْ؟
ما الذى أترعَ بالنورِ شعابهْ؟
ما الذى سوّاه قلبًا وأذابهْ؟
فجرى شوقًا، وحبًّا، وغرامًا
ساعرَ الجذوةِ فى كلِّ مكانِ!

* * *

هوَ نهرٌ بهوىَ «الفاروقِ» يجرى
وعلىَ راحاتهِ من روحُ «مصرِ»
ينقلُ الأمجادَ منْ عصرٍ لعصرِ
ويسوقُ الحبَّ موجًا خلفَ موجٍ
والهَ اللُّجةِ، مشبوبَ الأمانى!

* * *

ملكٌ فاضَ صباهُ بالبشائرْ
وسناهُ شعَّ نورًا في الضمائرْ
وهواهُ شبَّ نارًا في السرائرْ
كلُّ صدرٍ فيه «للفاروقِ» قلبٌ
هائمُ اللوعةِ، خفاقُ الحنانِ!

* * *

خطوُهُ في الأرضِ تهواهُ القلوبُ
فهوَ روضٌ في ثراها وطيوبُ
وهوَ فجرٌ للحيارَى، وطبيبُ
للذي أدمتْ يدُ البلوى حشاهُ
فغدا قوتًا لنارِ الحدثانِ!

* * *

اسألوا عنهُ دموعَ البائسينا
واسألوا عنهُ ليالي اليائسينا
أوَ ما كانَ لهمْ صبحًا مبينا!
وضحىً يفجأُ بالنورِ أساهمْ
فجاةَ البشرَى لضُلَّالِ المغاني!

* * *

واسألوا عنهُ الضنىَ والشجنا
والأسىَ في أيِّ قلبٍ سكنا
أفما كانَ يُذيقُ الحَزنا

مـــاتذيقُ النارُ أعـــصـــابَ الهـــشـــيم؟
فـــزعـــةَ الموتِ، وإرجـافَ الجـــبـــانْ!

* * *

واســـألوا عنهُ مـــحـــاريبَ الصـــلاةْ
كـــيفَ أســـقـــاها تعـــاليمَ الهـــداةْ؟
وســـرى كـــالنورِ يمـــحـــوُ الظلمـــاتِ
ويـــردُّ الـــدينَ فى قلبِ العـــبـــادِ
شـــامخَ العـــزةِ، عُلوىَّ الكيـــانْ!

* * *

واســـألوا عنهُ جـــراحَ الـوطـنِ
كـــيف لاقـــاها غـــداةَ المحنِ؟
بيـــدٍ تُحـــيى الصَّبـــا للكفنِ
وبقلبٍ كـــان أعـــتى جـــانبًا
مـن خطا الريـح بدارات الدخـــانْ!

* * *

واســـألوا عنهُ أمـــانى العـــربِ
وهوَ يرعـــاها بأحـــداسِ الأبِ
ويذكّيـــهـــا بعـــزمِ اللهبِ
إن دجـــا ليلٌ، ســـرى منْ تاجـــهِ
كـــوكبٌ للشـــرقِ ضـــافى اللُّمَحـــانْ!

* * *

كمْ فقيرٍ زرتهُ عانٍ طريحْ!
في دجنّ كوخٍ كأحشاء الضريحْ
لحتَ في ظلمائه مثلَ المسيحْ
فأحلتَ النوحَ فرحًا، والرزايا
رحماتٍ من يدِ الشاكي دواني!

* * *

إيه يا «فاروقُ» أشرينا العلا!
وانشرُ البعثةَ بنا والأملا!
وأضنّ للسالكينَ السبلا!
نحنُ راكبٌ.. أنتَ حاديه إلى
غاية تعجزُ أقدارُ الزمانْ!

○

○ نشـوة الحـب ○

أغنيـة

هات اسقنى، واشربْ على لحنى خمرَ الجمالْ
وغنِّى، وارو الهوىَ عنِّى وارو الخيالْ
واشهدْ غرامَ الريح بالغصن فوقَ التلالْ
الحبُّ يسقى الطيرَ فى البستانْ
بالظلِّ، والأزهارِ، والعيـــدانْ
والنيلُ يسقينى بلا دنٍّ مـنْ هـذه الألحـانْ!

* * *

ياموجُ قمْ ردِّدْ معَ الطير نجوى ليالينَا
البلبلُ الصداحُ فى الوكر سهرانُ يشجينَا
والزورقُ النشوانُ فى النهرِ يحكى أغانينَا

والليلُ يروى عنْ فمِ الأكـــوانْ

«للتـاجِ»، والفـاروقُ، والأوطانْ:

مـاتكتمُ الأشـواقُ فى الصـدْرِ منْ حبٍّ وادينا..

* * *

«فـاروقُ» هذى نشـوةُ الحبِّ تهـفـو بواديكا

شعتْ بها منْ عالمِ الغيبِ أعراسُ ماضيكا

فى النهـرِ، والأدواحِ، والعشبِ دنيا تحـيـيكا..

فى كلِّ وادٍ نورك الفـــتـــان

يسـرى معَ الأعـمـارِ والأزمـانْ

كـمـا سـرى دينٌ على قلبٍ والله يحـمـيكا..

○

○ باعث الجيل ○

«إن لم أر الأفلاك تصبغ لمزهري
وأنا أغنى التاج.. ما أنا شاعرا

فلكٌ بحبك في الشواطئ دائرُ
أمل الحياةِ به عتيٌّ هادرُ
رقصتْ له الأيامُ، وازدحمت على
كفيه من سحر الخلودِ بشائرُ
وتنفَّس الوادي به، فكأنهُ
نغمٌ من الفجر الهلال طائرُ
فإذا رأيتَ النيلَ، قلتَ: متوجٌ
الدهرُ صولجهُ القوىُّ القاهرُ!
وإذا رأيتَ الحقلَ، قلتَ: قصيدةٌ
خضراء وقعها الربيعُ الساحرُ!
وإذا رأيتَ الطيرَ، قلتَ: ملائكٌ
للحبِّ في فمها نشيدٌ طاهرُ!

وإذا رأيت الناسَ، خلتَ بهم هوىً

مما يحمله المشوقُ الساهرُ

مهجٌ يرفُّ بها سناكَ، كأنها

ظمأٌ يَدفُّ إليه نبعٌ زاخرُ

ودعاءُ ألسنةٍ يكادُ لطهره

ترفضُّ منهُ على الوجودِ مجامرُ

ويكادُ ينقلهُ إلى شفةِ الربى

ويعيدُ نغماته الحمامُ الذاكرُ

وأكادُ في موجِ الضفافِ أرىَ لهُ

رجعًا يردده الرشاشُ الثائرُ

وأكاد أسمعهُ جنينًا لمْ تذعْ

أصداءَ لجتهِ إليكَ سرائرُ

أنا مرعشُ الأسرارِ في كبدِ الدجىَ

والليلُ عرافُ الظلامِ محاذرُ

شعرٌ هوَ الدمُ لوْ لمستُ خيالهُ

في الروحِ، أحرقني الهدوءُ الساعرُ

أرسلتُ في «فاروقَ» آيةَ حبِّهِ

إعجازَ فنٍّ وحْيُهُ يتواترُ

إنْ لم أذعْ للنجمِ سرَّ جلالهِ

حتى يهيمَ به الشعاعُ الطائرُ

إن لم أرقْ لعلاهُ أحلامَ الضحى

حتى أرى الدنيا به تتسامرُ

إن لم يطرْ نغمي إليه على رؤىً

بيضاءَ يحملها الصباحُ العاطرُ

إن لم أرَ الأفلاكَ تُصغِ لمزهري

وأنا أغنى التاجَ.. ما أنا شاعرُ!!

«فاروق» يا حادي العظائمِ في حِمىً

بكَ نجمةٌ فوقَ العوالمِ ثائرُ

في ضجةِ الأيام والدنيا غدتْ

بركانَ هولٍ نارهُ تتطايرُ

والحربُ عاجلتِ القيامةَ يومها

فمشتْ بها بينَ العبادِ تقامرُ

نقلت جهنمَ للشعوبِ وإنما

حملَ الخطيئةَ في لظاها الطاهرُ

إن حلَّ جاحمها بأرضٍ أصبحتْ

وبها القصورُ الشاهقاتُ مقابرُ

نشرت خريفَ الموتَ في ساحاتها

فجماجمُ الهلكى بهنَّ أزاهرُ

ذبحتْ أمانيها على راحاتها

فغدُ المؤمّلِ في هواها خاسرُ

وغـــدا بهَا ســـيـــانِ فى لهبِ الردَى

ذوُ رحـمةٍ يخـشىَ السـمـاءَ، وجـائرُ

لاترو «للزيتـــون» ذكـــرًا عندهَا

فـحـديدُهَا بالسلم جـانٍ كـافـرُ

دفنتْ شـرائعـهـا فـضُلَّلَ دهرهَا

فى غـيـهب الطغـيـانِ شـرعٌ حـائرُ

فى ليلهـا الداجى ودونَ قـتـامـهِ

خطوُ الرياحِ الهـوجِ خطوٌ عـائرُ!

سطعتْ بلكَ الأوطانُ شـرقىُّ السنا

فـجـرُ البشـائرِ منْ يمـينكَ سـافـرُ

نشـرتْ خطاكَ بهـا سكينةَ مـؤمنٍ

يحـدوهُ بطشٌ للعـزيمـةِ قـادرُ

انى مـشـيتَ بدتْ بركـبكَ آيةٌ

ليـسـتْ لهـا فى المالكينَ نظائرُ:

حبٌّ مـداهُ إلى القـداسةِ ينتـهى

لوْ كـانَ للحبِّ المقـدسِ آخـرُ!

اذكـاهُ شـعبٌ فى ظلالكَ سـابحٌ

يا طالما أغـفـىَ وطرفكَ سـاهرُ!

اوَ لستَ آسى جـرحـهِ منْ بعـد مـا

شُفِّـيتَ بنـارِ الخُلْفِ منهُ مـرائرُ؟

أو لستَ جامعَ شملهِ منْ بعدِ ما
أرداهُ في لهبِ الشقاقِ تناحرُ؟
أوَ لستَ باعثَ جيلهِ منْ رقدةٍ
بوقُ النشورِ لها أنينٌ عابرُ؟
أوَ لستَ قائدهُ لعصرٍ أبيضٍ
آياتُ مُلكك في سماهُ منائرُ؟
أوَ لستَ فجرَ البائسينَ بشطْبه
وزمانهمْ كالليلِ داجٍ عاكرُ؟
أوَ لستَ منْ ماضيهِ بعثاً أوشكت
أيامُ فرعونٍ به تتفاخرُ؟
أوَ لستَ للشرقِ المجرَّحِ بلسماً
يا طالما بندائهِ قرَّ الثائرُ؟
يا أيها الأملُ الفتيُّ لأمةٍ
كادت يشيبها الشبابُ المادرُ(*)
قدها إلى الجوزاءِ، أنتَ شبابُها
ومعينُ حكمتها الدفينُ الزاخرُ
واسبحْ بها فوقَ النجومِ، فطرفُها
أبدَ الحياةِ لنورِ عرشكَ ناظرُ!

○

(*) المستهتر الخمال.

«.. إنني أعطف على هؤلاء المتألمين الصابرين»

«الفاروق»

(من رسالة ملكية)

ركابُ عيسى

«فى شتاء سنة ١٩٤٤ هبت على أعالى الصعيد ريح فاجئة من وباء «الفلارياء فأثر «الفاروق» مواساة شعبه المعذب فى جحيم هذه الحمى الفتاكة، على أن يشهد عيد ميلاده فى عاصمة ملكه»

الفاروق فى أسوان

فـــــاروقُ! لوْ أنَّ لـلأيامِ أجنحـــــــةً

رأيتـــهـــا بالهـــوى تاتيكَ أســـرابا

فـــاروقُ! حـــبكَ ســـحـــرٌ لمْ تدعْ يدهُ

فى الشـــاطئيـن حـــشًا إلاَّ وقـــدْ ذابا

فـــاروقُ! نورك خـــمـــرٌ صـــاغَ بارئهَا

ســـرائرَ الناسِ للعـــشـــاقِ أكـــوابا

قـال الصـعـيـدُ . وقـد كـرَّمتَ سـاحـتـهُ .

نـزلـت بـالـركـبِ أرواحًا وألـبـــــــابا

تسرى، فتشدكَ الدنيا أغانيها

زهرًا، وطيرًا، وأمواهًا، وأعشابا

رآك فى الكوخ قومٌ لاحراكَ بهم

منَ الضنىَ، فأهاجوا الريفَ إطرابا

سَقَيْتَ أوجاعهمُ بُرْءًا ومرحمةً

والدهر أترعها سُمًّا وأوصابا

قالوا: روى الموتُ بلواهمْ! فقلتَ لهم:

ركابُ «عيسىَ» يردُّ الموتَ كذَّابا

فاروق خفَّ لهمْ فجرًا، يسوق لهم

بحرًا من النور فى الظلماء سكَّابا

يامنْ رأى ملكًا أعرامُ مولدِه

تهزُّ عرشَ الضحى بشرًا وإعجابا

ويسبقُ الشممَ للأكواخ يليمسُها

منَ النعيم سرابيلاً وأثوابا!

يجومُ فى أرضها رزقًا، يناجئها

مهللاً فى قلوب الناس وثَّابا

تلك العنايةُ يا «فاروقُ» رُحْتَ بها

تلقنُ الشعبَ أمثالاً وآدابا

وتجمعُ الرأىَ فى البلوى، وتسكبهُ

فى مهجةِ الناسِ أفرادًا وأحزابا

مـــولاى: لولا لظىً فى الروح قـــيـــدها

لطارَ شـــعـــرى علىَ الآفـــاقِ صـــخَّابا

يُشْجِـــى بذكـــركَ ســـمعَ الدهرِ فى نغمٍ

أعـــتىَ منَ الدهرِ أوتادًا وأســـبـــابا

○

○ سبقت خُطا الشمس ○

أغنية

تغنّى بحبك موجُ النهرْ
وعطرُ الربيع، وحلمُ الزهرْ
وهزتْ لك الطيرُ قلبَ الوترْ
تلفتْ! ترَ النورَ فوق النخيلْ
يحييكَ منه الضحى والأصيلْ
ويهواكَ سحرُ الصباح الجميلْ

* * *

سبقتَ خطا الشمسَ للبائسينْ
وسقتَ الأمانيَ للعاثرينْ
فكنت كفجرٍ يشقُّ السنينْ
ويمحو منَ الأرضِ خطوَ الظلامْ

مسحتَ بكفيكَ فوق المقامْ
فلم يَغْدُ في الكوخِ شاكٍ عليلْ

* * *

أفاروقُ أنتَ عزاءُ الوجودْ
وأنتَ على كلِّ قلبٍ نشيدْ
هفا مستجيرًا إليكَ الصعيدْ
فعزقتَ عنهُ ثيابَ المحنْ
وعلمتهُ كيفَ يلقى الزمنْ
ويعلوُ على الشمسِ في كلِّ جيلْ

○ لمَا رآك الحيارى ○

«طراق باب الحزانى أنت.. أم قدر»
«لم يبق للهم فى واديهم شانا؟!»

خلُّوا هوانا يذيعُ الوجدَ أحيانا
فما وهُبنا سوىَ التغريدِ سلوانا
نمشىْ على الكونْ أطياراً، فإن سكنتْ
بنا الأغانى مشينا فيه عيدانا
وما لنا فى قضاء الله أجنحةٌ
حتى نطيرَ إذا لمْ تُصغِ دنيانا
لكنهُ قدرٌ فينا يسيرُنا
شجوًا، وشدوًا، وأوتارًا، وألحانا
نحنُ الأغانى، وما الأشباحُ غيرُ صدًى
مجسدٍ ظنهُ الرَّاؤون أبدانا
أشباهُ إنسٍ.. وفينا كلُّ بارقةٍ
منَ السماءِ تردُّ السحرَ حيرانا

لاتَعْذِلونا إذا مـــا الشـــعـــرُ أذهلنا

فـــهكذا هوَ لهُ الجـــبـــارُ ســـوَّانا!

مـــشـــىَ الربيـــعُ إلىَ قلبى فـــقلتُ لهُ:

لاَ أعـــرفُ الحـــسنَ أزهارًا وأغـــصـــانا

إن كـــانَ فى دنكَ المخـــبـــوءِ منْ نغمٍ

هـــاتِ اسْقنيـــهِ صـــبـــابات ونيـــرانا

مـــالى أتيـــتكَ ولهـــانًا، وعـــدتُ كـــمـــا

اتيتُ، احـــمـــلُ قلبًا عـــادَ ولهـــانا!

هلْ البـــقـــايا التى فى الكاسِ أغـــرقهـــا

ســـاقى خـــريفٍ ســـقـــاكَ الودُّ بُهـــتانا؟

حـــاشـــاكَ ياخـــمـــرةَ العـــشـــاقِ انْ نظرتْ

إليكَ عـــينى، فلم تبـــصـــركَ نشـــوانا

إنى عـــشـــقـــتكَ.. لا ظلاً ولا زهَـــرًا

لكنَّ زمـــانًا مُضىء الروحِ فـــتـــانا

تلفتِ اليـــومَ فى الوادى، تجـــد ملكًا

هوَ الربيعُ خـــمـــيـــلاتٍ وأغنانا

إذا مـــشى، أينعتْ أفـــيـــاءُ خطوتهِ

ظلاً، ونبـــعًا، وأثمـــارًا، وريحـــانا

وإنْ تلفتَ، القى نورُ لفـــتتـــهِ

فـــجـــرًا رطيـــبًا على الأرواحِ ريانا

وإن أشارَ فمنْ إيماءِ إصبعهِ

يضيء شيءٌ.. دعا النامَ إيمانا

وإنْ تحركَ منهُ أيُّ جارحةٍ

فمصرُ تدفعها هفًا وإسكانا

وإنْ تكلم! أجرى النيلُ منطقهُ

بعزةٍ كم جرى فيها قُدامانا!

ياحارسَ التاجِ! يارُ ثبالَ غابتهِ

منْ غيرُ باسكَ بعدَ الله يرعانا؟

أعددتَ للنيلِ عهدَ السائرين به

لغاية تنشدُ الأفلاكَ أوطانا

وكانَ في غفوةٍ بكرى، فانعشهُ

وردُّهُ طرفُكَ اليقظانُ يقظانا

إذا جرى فيه إصرارٌ، وقفتَ لهُ

ورحتَ تلقى علَى جنبيهِ بركانا

مصرُ التي وهبتكَ الحبَّ ماعرفتْ

إلاكَ قلبًا لهَا في الروعِ غضبانا

نشرتَ فيها هوىَ الأحرارِ فاحتشدتْ

وقاسمتكَ الهوىَ شيبًا وولدانا

أنَّى خطوتَ ولوْ للنجمِ تبصرهَا

على خطاكَ زرافاتٍ ووحدانا

تخوضُ بحرَ الليالى غيرَ عابئةٍ
مادمتَ للموكبِ السبّاحِ رُبّانا
ألم تجدها علىَ كفيكَ خاشعةً
لمّا رحمتَ منَ البأساءِ أسوانا!
فجاءتها وهىَ فى الأسقامِ نائمةً
أحالها البؤسُ للأكفانِ أكفانا
بزورةٍ كنتَ «عيساها»، وبى حذرٌ
لولا جلالُ الهدىَ أدعوكَ رحمانا!
دخلت فى ظلمةِ الأكواخِ تقتلُها
برحمةٍ لمْ تدعْ فيهنَّ لهْفانا
لمّا رأكَ الحيارَى فى مخادعهمْ
شكوْا إليكَ الضنى: فقراً، ونسيانا
بسطتَ يمناكَ تُعْطاءً وتعزيةً
لم تنسَ فى زحمةِ الأسقامِ إنسانا
نسختَ رعشةَ حُمّاهُمْ بقرحتهمْ
فأُشْربوا منكَ طبَّ الروحِ ألوانا
ورفرفتْ لكَ أيديهمْ كأنهمُ
ظِمأٌ طيورٍ رأتْ فى اليدِ غُدْرانا
طَرّاقُ بابِ الحزانىَ أنتَ.. أمْ قدرٌ
لم يبقِ للهمِّ فى واديهمُ شانا!

جـردتَ سـيـفًا على الأحـزان، مـذ لمعتْ

شِفـارهُ البـيـض لم تُبْصـرنَ أحـزانا

وهـكـذا أنتَ للأوطانِ شـاطئـهـا

إذا ظـلامُ الليـالى السـودِ غـشّانا

يُحـسُّكَ الدمعُ فى أحـشـاءِ صـاحـبـه

فـلا يَمَسُّ بطيف الحـزنِ أجـفـانا

الله أكـبـرُ يافـاروقُ! مـا عـجـبٌ

أنْ يرتجـيكَ ضـلالُ الدهرِ شطآنا

فـأنتَ للشـرقِ تجـديدٌ لعـزته

تعلى وترفعُ آسـاسًا وأركـانا

وأنتَ للنيلِ بعثٌ، ليسَ يوقـفـهُ

ركبُ الحـوادثِ مـهـمـا كنَّ فـرسـانا

انظرْ ترَ الشـعبَ فى واديكَ مـبـتـهـجًا

يُزْجى لكَ الحبَّ إحـسـاسًا ووجـدانا

واسـمع أناشـيـدىَ اللائى وقـفتُ بهـا

أسـاجلُ السـحـرَ ترهـيـبًا وسلطانًا

منْ كـانَ حـبـكَ يا «فـاروقُ» مُلْهِمُهُ

أشـعـةُ الشـمسِ لاترضـيـهِ عـيـدانا!

○ يوم الفقير ○

(ضيق المستشفيات بكثير من المرضى، فتخرجهم فى دور النقاهة إلى حيث يتلقاهم البؤس فيمدون الفناء والمأوى، ويعاودهم علاتهم من جديد.. وقد مد «الفاروق» جناحاً من بره على هؤلاء المعدمين، فكان لهم ملجأ ورحمة، وصار لهم كل عام يوم ينتظرونه هو يوم المستشفيات)

عيد الرحمة

سرتُ والقيثارُ يومًا فى يدىْ
أسكرتْهُ خمرةُ الحبِّ فنامْ
والضحىْ يُلقى عليه وعلىْ
نشوةَ الطوّافِ بالبيتِ الحرامْ
والهوىَ فى خاطرى لحنٌ شجىْ
هزَهُ عزْفُ ليلٍ مستهامْ
وإذا طيفٌ منَ الرؤيا إلىْ
يتهادَى سارقًا خطوَ الغمامْ

مـــذ لمـــا رفـــرفَ وحـــيٌ بنبـــيْ

لقنَ النجـــوى لقـــيـــثـــارى.. وهامْ!

* * *

كنـــتُ والشـــعـــرَ غـــريبـــينِ تســـيـــرْ

زورقًا ضل طـريقَ الشـــــاطئـــــينْ

غـــربةَ الظلِّ بصـــحـــراءِ الهـــجـــيـــرْ

نتـــلاشىَ فى اللظىَ مـــعـــتنقـــينْ

نشـــربُ الأنغـــام خـــمـــرًا ونطيـــرْ

أينمـــــا كنا ظللنا حـــــائرينْ

وإذا أيـــكٌ، وطيـــــرٌ، وغـــــديـرْ

وهوىً يرجـــو لقـــاءَ العـــاشـــقـــينْ

حطمَ المقـــدارُ أصـــفـــادَ الأســـيـــرْ

فليـــفـــردْ كـــيـــفـــمـــا شـــاءَ، وأينْ..

* * *

أطلقـــتـــهُ فى ربى النيل الســـمـــاءْ

يُطـــربُ الـــدوحَ ويهـــتـــاجُ النخـــيلْ

نايه مـــوجٌ، ومـــرجٌ، وضـــيـــاءْ

ورياحٌ زاجـــلاتٌ، وحـــقـــولْ

فـــإذا النوتىُّ غنَّـــى، والفـــضـــاءْ

ردَّد اللحـــنَ لقُطْمـــانِ المـــهـــولْ؟

فاصنعْ لي فيها.. تجدني في الهواءْ

والثرى، والماء، والعشبِ الجميلْ

أنا أهواها وفتشْ في الدماءْ

تلقَ خمارَ الضحى يسقى الأصيلْ

* * *

مصرًا والدهرُ على أعتابها

حشدَ الدنيا قديمًا وسجدْ

وأضاءَ الفنُّ في محرابها

مشعلاً يسطعُ في قلبِ الأبدْ

وادارَ السحرُ في أكوابها

معجزاتٍ ماتَ عنهنَّ الرصدْ

هات اسكرْني من أعنابها

وانسني، لاتروِ عنّي لأحدْ

فأنا أغنيةٌ غنى بها

كلُّ نسمٍ في روابيها شردْ

* * *

تاجها والشمسُ ساقاً للشعوبْ

منذ شبَّ الكونُ أنوارَ الزمانْ

غير أنَّ الشمسَ تبدو وتغيب

وهوَ خلدٌ شعَّ في كلِّ مكانْ

حلّ «فـــاروق» به عـــرشَ القلوبْ

وســـرى حـــبًا علَى كلّ لســـانْ

فـــسل الطيـــرَ، وسلْ زهرَ الكثـــيبْ

وسلْ النيلَ.. يُجـــبكَ الشـــاطئـــانْ:

كلُّ مـــا يحـــملُ وادينا الرطيبْ

بالهـــوى يهـــفـــو إليـــهِ والحنانْ

* * *

ملكٌ ذاقت ليـــالى البـــائســـين

منْ يديهِ رحـــمـــةَ القلبِ الكبـــيـــرْ

تُوأد الآمـــةُ فـــى الصـــدرِ الحـــزينْ

قـــبلمَا يرنو إليـــه المســـتجـــيـــرْ

فـــإذا مـــاركـــبـــهُ الهـــادى الأمـــينْ

مـــرَّ فى الوادى بشـــاكٍ أوْ فـــقـــيـــرْ

طفـــرت نعـــمـــاؤه للبـــائســـينْ

طفـــرةَ الفـــرحـــةِ من وجـــه البـــشـــيـــرْ

وسَـــرَتْ فـــوقَ دمـــوع الحـــائـــرينْ

ســـيـــرةَ الشـــمس على طلّ الزهورْ

* * *

أيهـــا الداعى إلى يومِ الســـقـــيمْ

لتـــرى شكـــواه رُدتْ رحـــمـــاتْ

الضنىَ، والداءُ، والبرحُ الأليمْ

والأسىَ الكاوى الجنوبَ الموجعاتْ

كلها عادتْ هباءً من هشيمْ

منذُ «فاروقٌ» بدا يُعطى الهباتْ

فتمتَّعْ كلُّ ذى جُرحٍ كليمْ

نارهُ تشوى الضلوعَ البائساتْ

تجدِ السلوىَ منَ التاجِ الرحيمْ

نسختْ نارَ التشكى بسماتْ!

* * *

إيه يا «فاروقُ» أرسلْ بيننا

كلَّ يومٍ آيةً تجلُو المحنْ

واعدْ فوقَ الذُّرىَ أيَّامَنا

نحنُ إن لم نسقِ الدنيا فمنْ؟!

وابعثِ الجيلَ، تجدْ أحلامنا

تزحمَ الأنسُرَ فى عالى القُننْ

وامضِ فالدنيا وثوبٌ حولنا

وإلى الأفلاكِ قُدْ مجدَ الوطنْ

راودَ الإلهامُ نابى.. فرنا

فإذا أنتَ نشيدٌ للزمنْ!!

○

○ تشهد الفأس ○

(.. وهؤلاء الذين أدمى الحفاء أقدامهم، وبرح بأيامهم الشقاء! تلفت إليهم «الفاروق» فكانت لفتته أول نداء للعدالة الاجتماعية، ويقظة الشعور الإنساني بهؤلاء المكدودين في دروب الحياة! وكانت أول نواة لمشروع الحفاء).

أغنية الحفاة

قلْ لسارينَ مشوْا فوقَ الثرى
بقلوبٍ كخطاهمْ دامياتْ..
ومشتْ أيامهمْ بينَ الورى
في ظلام البؤسِ حيرى حافياتْ:
أسبغَ التاجُ عليكمْ نورهُ
ورعاكمْ وحباكمْ برهُ
فاطرحوْا الشكوىَ وإنْ طالَ السرى
أيقظَ اللهُ لكمْ جفنَ الحياةْ!

* * *

فى عبير الحقل، أو رمل الهجير

تشهد الفاتن على آلامكمْ

لاتمرُّونَ بنبع أوْ غدير

لمْ يصفق لوعة معًا بكمْ

وعلى راحاتكمْ ينموُ الزهرْ

وإلى الوادى تزفُّونَ الثمرْ

فاذا عدتمْ حفاةً فى المسير

تجرحُ الطيرُ اغانيها لكمْ!

* * *

يالمنْ أحيينَ حماكمْ بالمنى

واسا جرحَ اساكمْ بالهبات

ياسَراةَ النيل.. منْ هذا السنا

علموا المال معانى الرحمات

منْ منَ الفاروقِ أحنى وأبرّ؟

ملكٌ قالَ لكفيهِ القدرْ

إن للرحمة معنىً ها هنا

جددوه كلَّ يوم للحياة!

○

○سجدت لهيبته الرياح○

(طوى الفاروق مشقة الأسفار في خريف ١٩٣٨ إلى شطر من شعبه نزلهم النسيان في مجاهل الصحراء الغربية حينًا من الدهر. فنزل على الأعراب البائسين في مضارب خيامهم، وغياهب آبارهم... أسعد فقيرهم، وأبرأ سقيمهم، وأحيا فيهم كيان الأسرة بمنح الهبات للراغبين في الزواج).

نغمٌ على شفة الصحارىَ هادئُ
رجفتْ لسحرِ الشدوِ منه «بابلُ»!
سجدتْ لهيبته الرياحُ، وكبرتْ
تحتَ الخيامِ عشائرٌ وقبائلُ
واهتزَّ قلبُ البيدِ هزةَ عاشقٍ
بكرتهُ بالبشرى مُنىً ورسائلُ
ومضىَ البشيرُ على القفارِ كأنهُ
سَيْكابُ مزنٍ في السباسبِ هاطلُ
وكأن رجعَ صداهُ ضجةُ فاتحٍ
فزعَ الخلاءُ لها، وماذَ الأهلُ

لفظًا وتحتشدُ القلوبُ لجرسه

ويهلّل الشاكى ويهفُو الأملُ

وترفُّ أرواحُ العبادِ لطيفه

رفَّ الحمامِ تكنفته ظلائلُ

«فاروقُ» والصحراءُ راحتْ باسمه

شرفًا على نجمِ السمَا تتخايلُ

لبستْ له حلل الأشعةِ فرحةً

وارتجَّ فى فمها السكونُ الذاهلُ

وتدفقتْ مهجًا، وسالتْ أنفسًا

لولا صفاءُ البشرِ، قيلَ: جحافلُ!

منْ شيبةِ النسيانِ هلَّ شبابُها

وشفتْ عليها من صباهُ غلائلُ

فمعازفًا صفوُ المنى، وهواؤها

عبقٌ منَ الركبِ المطيَّبِ ناهلُ

وصباحها أملٌ، ومغربُ شمسها

حلمٌ علَى شفقِ البوادى ماثلُ

قد فاض إعجازُ المنا بربوعها

سيانِ شارقُ نورها والآفلُ

أصبحت يا «فاروقُ» خلدَ ضيائها

لولاكَ ليلُ قتامها متواصلُ

«فاروقُ» خطوكُ فى الرمال نبوةٌ

للخير فى يدها البشيرُ العاجلُ

بيضاءُ يفترُّ الضحى لقدومها

طربًا وتخشعُ فى الكثيب رواحلُ

وتميلُ أجنحةُ السوافى رهبةً

وتثرُّ منْ لهب الهجيرِ جداولُ

ويكادُ صمتُ القيظ حولَ خيامها

هَزَجُ الربيع بظلهِ يتساجلُ

وخريفُ واحتها يعودُ عرائشًا

يخضلُّ يابسها، ويحيى الذابلُ

وتذوبُ أنفاسُ الفرادِس حولها

فتُذيعُ نافجها ربًى وخمائلُ

غوثٌ، وغيثٌ للقفار، ورحمةٌ

وندىً أجبنى: هل يداكَ مناهلُ؟

بحرٌ منَ الخيراتِ صفقَ موجهُ

للواردينَ، وراحَ يدعو الساحلُ

بركاتُ ربِّ التاج تُترعُ فيضهُ

ويذيبُ لُجّتهُ الكريمُ الباذلُ

أنّى سريتَ رأيتَ نثرةَ فضةٍ

هى فى ليالى البائسينَ مشاعلُ

من راحتيكَ سكبتها هبةَ العلا

منْ نبعها العَرَبُ الأباةُ نواهلُ

قومٌ على جَلَد الصفاةِ تماسكوا

وعلى المنابع قدْ تذوبُ جنادلُ

همْ لقنوا الدنيا الفضائل والهدى

والكونُ في همج الرذائل واغلُ

منْ أرضهمْ شعتْ رسالةُ أحمد(*)

بالنور لا بالسيف عنهُ تناضلُ

طلعت على الفوضى، فهار عمودها

والشركُ ماتَ بها، ودُكَّ الباطلُ

بدويُّ مكةَ زفَّها قدسيةً

ألقُ الشموسِ بظلها يتضاءلُ

وأتيتَ تُعلى في القفار منارَها

والعصرُ مطموسُ السريرةِ غافلُ

صَخَبُ الحضارةِ ما ثناكَ، ولا لوى

ركبَ العلا، لغطُ الشعوب الهائلُ

فسَرَيْتَ للأعراب تخطرُ بينهمْ

فلكًا على قُبَب الفلا يتنافلُ

(*) النبيُّ صلوات الله عليه.

بشـــمـــائلٍ عُمَـــريةٍ سطعتْ بهـــا

للصـــولجـــانِ على الجـــبـــينِ مـــخـــايلُ

هُرعـــوا إليك مـــنَ الشِّعـــاب ويمَّمـــتْ

نورَ الركـــاب منَ الفـــجـــاج قـــوافلُ

وتهـــامسَ الركـــبـــانُ فى فلواتهم،

وأحاج صـــمتَ البـــيـــدِ منهمْ ســـائلُ

مـــاذا على الصـــحـــراءِ؟ جنُّ كـــهـــوفِهـــا

زمـــرٌ يجللهُا الخـــشـــوعُ حـــوافلُ

والـريحُ أنغـــامٌ هـنـاكَ شـــذيةٌ

والصـــمتُ أعـــيـــادٌ هنا ومـــحـــافلُ

والبـــيـــدُ مـــحـــرابٌ توهَّجَ بالهـــدى

وأثارهُ للذكـــرِ شـــغلٌ شـــاغلُ

مـــاذا؟ وجلجلَ بالبـــشـــارةِ هاتفٌ

هذا السنا قـــبسُ الركـــابِ الواهلُ

منْ هالةِ «الفـــاروقِ» شـــعَّ لمحـــةً

فليـــرو غُلَّـــةَ قلبـــهِ المتـــمـــائلُ

مـــولاىَ حـــبكَ أســـحـــرتْ آياتهُ

فـــبكلِّ وادٍ مـــنْ هـــواكَ دلائـــلُ

غنـــى بـــكَ الحـــادى، فكبـــرتِ الفـــلا

وترنحتْ بينَ الســـهـــوبِ رواحلُ

حياكَ قطرُ المزنِ حين وصلتها
وانهلَّ بالنعمِ السوابغِ وابلُ
وسَرَتْ خطاكَ اليمنُ يسبقُ ظلها
وتفيضُ بالخيراتِ منكَ أناملُ
فالبائسون مضىَ يكفكف بؤسهم
أملٌ يهللُ بينهم وتفاؤلُ
ماهلَّ نورُكَ بينهمْ حتّى غدا
نجمُ الشقاوة عنْ حماهمْ مائلُ
واليائسون منَ الشفاءِ رحمتهمْ
والداءُ فتاكُ المواجعِ قاتلُ
ماكدتَ تشرقُ فيهمُ حتى بدا
للبرءِ، جرحُ زمانهم يتماثلُ
ياوادىَ الأبطال حيتكَ العلا
وحياكَ تكرمةَ البطولةِ عاهلُ
ملكٌ شآى بالتاج، ينهضُ شعبهُ
ويذودُ عنْ مجْدِ الحمَى ويُصاولُ
تركَ الحدودَ كتائبًا مخمورةً
بالنصر أثملها القوىُّ العادلُ
وأتى وقلبُ الشرق فاض بحبهِ
والنيلُ أزّتْ منْ هواهُ مراجلُ

○

○ من أغانى البائسين ○

يد الفاروق

يا يَدَ «الفاروق» جُدْواك لنا
موسِمُ البشر، وأعيادُ المُنى!
كلّ يومٍ مهرجانٌ للندى
تسبقينَ الشمسَ فيه عندنا
تنسخين اليأس فجراً للمنى
وخيالَ البؤسِ بشراً وَهَنا
رحمةٌ أنت! مشتْ فى ساحنا
وأفاضتْ فى ليالينا السُّنا
فى ظلالِ التاج قامتْ! رُكنُها
عافَ أبراجَ الدَّرارى سَكَنا
كعبةٌ للبرِّ صيداءُ العُلا
جَلّ من أنشا، وسوَّى، وبنى!

يا سحابَ الخلدِ لو طفتَ بها

فاهجُرِ الخلدَ، وجافِ الموطنا

خلِّ عنكَ المُزنَ في ساحاتها

إنَّ نبعَ الجودِ رقراقٌ هنا..

* * *

يا يدَ «الفاروق» إنّا معشرٌ

هدَّنا البؤسُ، وأبلانا الضنى

قد ضربتِ اليومَ فينا مَثَلاً

لذوي النُّعمى، وعُبّادِ الغنى

ختموا المالَ على أكبادهم

وأصمُّوا عن أسانا الأُذُنا

ليتهمْ منكِ استهلُّوا قبساً

ثمَّ ساروا مثلما سرتِ بنا..

يمسحونَ الدمعَ من أيامنا

ويُنسُّونَ الليالي الحزنا

ويمرونَ على حيرتنا

ويُفادون الأسى والشجنا

مثلما مرتْ رُخاءٌ في الدجى

تلثمُ النهرَ، وتهدي السفنا

ليتهمْ ألقوا فُتاتاً للطوى

وأعاروا للجسومِ الكفنا !

نحنُ أكبادٌ تفرّاها[1] الأسى

ومَشى الدّاءُ إليها مَوْهِنا[2]

وجراحٌ . لا طعمتُم نارَها .

أترعتْ في جانبينا الوهَنا

نلبسُ الليلَ رداءً، فإذا

نَصلَ الليلُ لبَسِنا المحْنا

وسرينا مُهجًا لا تُشترى

ولَو أنَّ الموتَ كان الثَّمنا

وأعَدْنا الرقَّ راحًا وخُطى

ودفنّا في الضُّلوع الزمَنا

فارحمونا واجعلُوا مِنْ ضَعفِنا

قوّةً في البأس تحمي الوَطنا

كَفُّ «فاروقَ» أهلّتْ نِعمًا

وضَفَتْ نُورًا وفاضتْ مِننا

بعثتنا من بِلى أرواحِنا

وأعادت حُلُمَ الدُّنيا لنا

فاقبسوا مِنْ نُورها، وامضُوا بنا

مثلما يمضي سنَاها فوْقَنا.

○

---

(١) قطعها ومزقها.

(٢) في ظلمة الليل.

○ نادمتهم يدُ المليك ○

كمْ يمـــين لولاكَ لمْ تلقَ فى العـــيـــدِ
. ســـوَى الدَّمعِ والتُّراب طَعـــامـــا !
ومُقِلْينَ حـــين مـــرُّوا على القـــوت
جـــيَاعِ البُطون مـــرُّوا كـــرامـــا
فـــامْتَال المعـــوزينَ فى كُلِّ فـجٍّ:
كـــيفَ حلَّ الندى؟ وكـــيفَ أقـــامـــا؟
لَطَمَ البـــؤسُ فى حـــمـــاتهمْ، وَوَلَّى
بائِسَ الحظِّ هارِبًا مُســـتـــضـــامـــا
نـادَمَتْهُـــمْ يَـــدُ المليكِ، وكـــانُوا
لِلأسَى فـــى دُجَـــى الليـــالى نَدَامى ..

○

«إن عرشًا وإن تاجًا يحف بهما العلم والشباب لعرش وتاج جديران بمصر، مصر التي كانت ومصر التي ستكون»

«الفاروق»

[من رسالة ملكية]

○ وكانت له ظمأى ○

[أسكن الفاروق ببمبنه جراح الإسكندرية عقب غارة شعواء خاض فيها بين الخرائب والأنقاض مواسيًا راحمًا، وكان من عزائها أن افتتح بها جامعة فاروق الأول فرد لها مجدها الغابر]

أعنْـى على الألهـامِ واسـمع تعـبُّدى
تزّ الدَّهرَ مـمـحـورًا بما ألهـمتْ يدى
تشـعَّثتُ شـجـوًا فـى غنائى، فلم أدعْ
شُعـاعًا من التَّغـريد يُطربُ لى غـدى
يجنبنىّ بحـرُ هادرٌ من مـلاحمٍ
وأينّ لى الشطُّ البـعـيـدُ لأهتـدى ؟
وأينَ شراعـى؟ آهِ لـو كـانَ فـى يدى
لأذهلَ سـمعَ الدهرِ ترديدُ مَعـبـدى
ومـاذا بكفّى غـيـرُ نايٍ وَهَبـتُه
لكلّ غـرامٍ بالضّفـافِ مُقيَّـدِ

هَبُونا أضَعْنا العُمر فديةَ حُبِّها

فأيُّ تُرابٍ طاهرٍ نحنُ نفتدي!

هَوانا على أدواحِها وظلالِها

تنهدُ نارٍ في حُشاشاتِ مَوْقِدِ

ونُورُكَ يا فاروقُ، فوقَ عبادِها

أباريقُ فجرٍ في ربَاها مُخَلَّدِ

وحبُّكَ يجري في حَشاها مرقرقًا

كأمواجِ زخَّارٍ تروحُ وتَغتدي

وخطوكَ فيها موكبٌ لبشائرٍ

تُزَوَّد بالنعماءِ من لمْ يزوَّدِ

فيومًا إلى بؤسٍ تفضُّ أنينهُ

كما فضَّ خطوُ الفجرِ همَّ المُسهَّدِ

ويومًا إلى ضيقٍ تفاجئُ كربهُ

كما تفجأ البُشرى حديدَ المصفَّدِ

ويومًا إلى محرابِ عِلْمٍ تضيئُهُ

وترفعُ من صرحِ العُقُولِ المهدَّدِ

وتبني خلودًا ليْس يبنيهِ فاتحٌ

ولوْ أرهبَ الدُّنيا بسيفٍ مجرَّدِ

قِبابٌ على هاماتِها البعثُ هاتفٌ

يقضُّ ظلامَ الجهلِ في كلِّ مرقدِ

فسائلْ منَ «الإسكندرية» موجَها

وكُل نسيمٍ فى ذُراها مردَّدِ

فجَرْت لها بالأمسِ نبعًا مصفقًا

وكانتْ له ظمآى، فقلتَ لها: ردى!

ودكَّتْ جراحاتُ الزمانِ شبابَها

فاحييتهُ نضرًا، وقلت لها: اسعدى!

كذلكَ تمشى فى الديارِ معلِّمًا

وتسبقُ بالإصلاح كلَّ مُجددِ

* * *

سلامٌ على كفٍّ تديرُ بنانُها

مصابيحَ هادٍ، أو مصابيحَ مُرشدِ

تَضوَّع تُقى عند الصلاة، فطيبُها

يحدِّثُ عنه ربهُ كلَّ مسجدِ

إذا رَضيتْ كانتْ سلامًا ورحمةً

وإنْ غضبت راعتْ ضميرَ المهندِ

فيومًا لمجدِ النيل يُرْجَى شبابُها

ويومًا نرجِّيها لدين «محمد»

تناهى بها الإعجازُ، فهىَ مجيبةٌ

لكلِّ رجاءٍ يبتغيها ومقصدِ

سلوا الشرقَ عنها فهى فى كلِّ موطنٍ

سلوا العلمَ عنها فى كلِّ معهدِ

ألمْ تلكَ للحيران أدنى شُعاعةٍ
ألمْ تلكَ للظمآن أسرعَ مورِدِ؟
ألمْ تلكَ للأوطانِ باسًا يُعزُّها
ويرعَى بها الأحرارَ مِنْ كلِّ معتدِي؟
سلوا كلَّ شاكٍ، كلَّ باكٍ، رنا لها
أما ذقتَ نورَ اللهِ مِنْ هذه اليدِ؟!

* * *

أمولاي ما هذا غناءٌ مُرَقْرَقٌ
ولا مِدَحٌ يشجى لها قلبُ منشدِ
ولكنهُ حُبٌّ، وحقٌّ، وآيةٌ
سحرتُ بها قلبَ الخيالِ المُفرِّدِ
إذا استبقَ الشُّادونَ فيكَ صبابةً
فأنتَ رحيقُ الحبِّ للظامئِ الصدى
تهافتَ روحُ الشرقِ حولكَ هائمًا
كما سرتَ بالوادي يسيرُ ويقتدِي
إلى القائدِ الأعلى يَدِفُّ زمامهُ
فأيانَ تقصدْ في ذُرى النجمِ يقصدِ
فخذْ لزمانِ النيلِ أرفعَ ذروةٍ
مِنَ الدهرِ، وأملكْ في عُلاها وشيِّدِ
ولا تَسألِ الأيامَ ما سرُّ خطبِها
ولو لُحْنَ في ليلٍ منَ الهولِ مربدِ

فـــانتَ منارٌ ســـاطع فى سكينةٍ..

لهـا فـزعـةُ العـاتى، وبطشُ التـمـردِ

لهـا التَّاجُ قلبٌ شـعـبـهُ فى شـغـافـهِ

كـمـا تسكنُ الأعطارُ فى الزَّهْـرِ الندى

لهـا التَّاج حُبٌّ خـالـدٌ.. هامَ طَيْرُهُ

وحـوَّمَ فى مـسـرى قلوبٍ وأكـبُدِ

لهـا التـاجُ رمـزٌ للعـلا وصـحـيـفـةٌ

عليـهـا سطور المجـد يكتبنَ للغـدِ

فـيـا واهبَ الأوطانِ حـبـكَ، هـذهِ

أغـانـى هـولهـا خـالداتُ التَّردُّدِ

تدفَّقْن «للفـاروق» شـعـرًا، كـأنَّهُ

تسـابيحُ طوَّافـيـنَ فى قلبِ مَعْبـدِ!

○

○ أصغى لك السودان ○

(لمحة من صوت الفارق غداة تفضله فافتتاح الخط التليفونى بين مصر والسودان)

بالسَّفح، والقيعانْ،
والدَّوح، والأغصانْ،
والموجِ، والشُّطآنْ
أصغى لك السُّودان

* * *

مسبحٌ توَّابْ
نعسانُ بينَ الغابْ
وحولهُ الأعشابْ
كأنها أهدابْ
تَرْنُو إلى الرَّحْمن

* * *

حـــــادٍ لـــهُ أنغـــــامْ

مـــصـــريةُ الإلهـــامْ..

مـن غـــــابـر الأيـامْ

والـــنـــيـــلُ، والأهـــرامْ

فى كـــفـــهِ عـــيـــدانْ!

* * *

طـافـتْ بـه الأصـــــداءْ

مِنْ صـــوتـكَ الـوضَّـــاءْ

كـــأنهـــا إيحـــاءْ

بيـــقـظةٍ شـــمَّـــاءْ

لـهـــــذهِ الأوطـان!

○

○ فى وادى الشمس ○

(«الفاروق» يشق عنان السماء، على طائرة حملته إلى عاصمة الصعيد «أسيوط» حيث أرسى بيده قواعد جديدة للإصلاح والعمران كان فى طليعتها افتتاح المعهد الدينى بضاحية الحمراء)

هَنِّئى الأشعةَ منْ ضحاك مثانيا
وتلقَّ منى المعجزات أغانيا

أوتارى احتدمتْ، وجلجل أرْغُنُى
مَنْذا يَهُزُّ، سوى سناكَ، بيانيا؟

أخجلتَ كِبرَ الشَّمس حين زحمتها
نَسرا لأحياءِ العظائمِ هافيا

سَبَحَتْ بكَ البيضاءُ تشمخُ فى الضُّحَى
وتَشقُّ فى الأضواءِ بحرًا طاميا

لقَّنتها سرَّ المُلا، وتركتَها
للجوِّ تقتحمُ السَّماك العاتيا

فى زاخـــرٍ بالنورِ، مـــاتَ ضـــبـــابُه

وشِتـــاؤهُ بالدفء أصـــبحَ كـــاســـيـــا

الجـــوُّ أطرةٌ ، والرِّيـاحُ على كـــرىً

مِنْ هيـبـــةٍ فى السـفحِ رُحنَ غـــوافيـــا

صـــيَّرتَ مَسْبَحَهُنَّ رفـــرفَ كـــعـــبـــةٍ

للطَّيـــرِ، أو حـــرمًا هُنا لكَ ثانيـــا

واســـتـــشـــرفَ الوادى ضـــيـــاءكَ مِثلمـــا

يـتـنـظَّرُ السَّارى شُعـــــاعًا هـاديـا

وطـغَى الحـنـيـنُ فـكـلُّ ذاتِ ربـابـة

فى الدوح سلسلت البـغـامَ الشـاجيـا

ورقـــاءُ أنعـــشتِ الخـمـيلَ، وأرعـــشتْ

بالسَّحـــرِ مِنْ فـمِهـا النَّسـيم السَّاريا

والنَّحلُ أشـعلَ فى الحـقـولِ مـجـامِرًا

خُضْرًا علَى بردِ الظـلالِ حَوانِيـــا

طـيَّبنَ أرديـة الصَّبـــاح، ولـم يَزَلْ

جَيْـبُ المسـاء بِهنَّ أفـيحَ زاكـيـا

وصـبَا النَّخـيل فكلُّ ذات ضـفـيـرةٍ

رَقـصَتْ غـدائرها هَوى وتناجيـا

واهتـــزتِ الأكـــواخُ رغمَ سُكُونهـــا

تحتَ العـرائشِ، فـرحـة وتناغيـا

نَسى المقلُّ بهـــا ليـــالىَ ضنكه

ومُـــرزّحُ الجنبـــاتِ أصـــبحَ ســـاليـــا

ولوِ السَّواقى دارياتٌ.. مـــا غـــدا

دولابهـــا تحتَ الخـــمـــائلِ باكيـــا

بالأمسِ ذكَّـــرها البـــشـــيـــرُ، فـــرنَّحْت

نغـــمًا، وهـــزَّتْ أفـــرُعًا ودواليـــا

وغـــدتْ تُغنّـــى.. والقنابرُ حـــولَهـــا

والنورُ فى الكثـــبـــان يرقصُ لاهيـــا

الله أكـــبـــرُ! إن أعـــراسَ العُلاَ

فى الريفِ هِجْنَ إلى لِقـــاكَ ظواميـــا

فـــاروقُ، تلك «سَيـــوطُ» فـــارِعـــةُ العُلاَ

بلقـــاكَ تاهتْ أربُعًا ومـــغـــانيـــا

وهبـــتكَ فـــرحـــتـــهـــا أســـاريرُ الضُّحى

وأرتكَ فـــتنتـــهـــا الأصـــيلَ الجـــاثيـــا

وجلتْ مـــفـــاتنهـــا فكنتَ شـــعـــاعَهـــا

وصـــبـــاحَ فـــرحـــتـــهـــا الشـــذىَّ الناديا

مَولاى كـــرِّمْهـــا بخَطْوكَ، إننى

مِنْ حَوضـــهـــا أرِدُ الفَخـــارَ الضـــافيـــا

لبـــستْ لكَ «الحـــمـــراءُ»(*) فَوقَ ضِفـــافـــهـــا

إكليل غـــارٍ بالبـــشـــائرِ حـــاليـــا

(*) ضاحية على شاطئ النيل بأسيوط وبها المعهد الدينى.

أعليتَ فيها الدينَ، والدنيا غدتْ

أيَّامُها بيضَ الحظوظِ هوانيا

ورفعتَ أمرَ المنشآتِ بظلِّها

رُكنًا لأنضاءِ المقادرِ حاميا

وأقمْتَ للوادى صُرُوحَ عظائمٍ

شُمًّا على فلكِ النجومِ عواليا

فاسْرِ الغداةَ كما تشاءُ لكَ العُلاَ

واطلُعْ على الوادى منارًا هاديا

وانشرْ ضياءَكَ فى المواطنِ كلها

واظلُلْ تحتَ التَّاجِ شعبًا فاديا!

«.. إن الساعات تمر بالشعوب وتمضي وتبقى الشعوب برجالها»

«فاروق»

(من رسالة ملكية)

○ على جبال «رضوى» ○

(على تلك القمة العربية الخالدة في سفوح جبال رضوى التي عاش «النبي» بعاصفة «الجزيرة»، فكانت بقعة كبرى لوحدة الشرق، ومجد العرب، وعزة الإسلام)

زيدى إنشـــادكِ .. زيدينا واسقى أكوابك واسـقينا
وخـــذى الأوتار وغنينا ودعـــينا للحبِّ دعـــينا

واصـفى للمـوج النشـوانِ
ولهـمسِ الدوح النعـسـانِ
ونسيم الفـجر الحيـرانِ

وبكل صـدى فـوق الوادى نادى أحـبـابك.. تجـدينا

* * *

النِّيلُ بكفيهِ سقاكِ وثراهُ الأخضرُ غذّاكِ
وهفا بالسحرِ جَنَاحاكِ فعلامَ بَخِلْتِ بنجواكِ؟

وسموتِ إلى أفقِ عاتِ
حلّقتُ له بخيالاتى
وخفقتُ له بصباباتى

فإذا بى مازلت أنادى وأمدُّ على الأرض شباكى !

* * *

طيرى باللحنِ، وبالعودِ ما فوق بحارٍ، أو بيدِ
واشجى الآفاقَ بتغريدِ أحلى مِنْ رشفاتِ الغيدِ

وأسرى ما شئت على الدهرِ
كاهنةً تلعبُ بالسحرِ
وتقمّصُ أرواحَ الطيرِ

وتحومُ فى كل فؤادٍ فيهيمُ بها.. لكن عُودى!

* * *

عودى واحكى لىَ عن نجوَى سمعتها الريح على «رضوى»
لجراح الشرقِ غَدَتْ سلوى وحديثًا فى الدنيا بُرَوَى

عن أول ضيف للعرب
لقيته جبالهم كتبى
مجهول الزورة مرتقب

فجأ الصحراء بميعاد ما كان بخاطرها يُطوى!

* * *

حيَّاهُ، وكرمهُ الجبلُ واضاءتْ بيديهِ المُقَلُ
واختشعَ الحادى، والجملُ فكأنَّ ملائكةً نزلوا

والصُّخرُ توهجَ للقاهمْ
والسفحُ تموجَ لخُطاهمْ
والقفرُ الأخرسُ غنَّاهمْ

شعرًا أبدىّ الترداد كالوحى تتمتمهُ الرُّسلُ!

* * *

وسَرَى تحدوهُ الأرواحُ وترف سهولٌ وبطاحُ
فالرَّملُ عبيرٌ فياحُ والجو هتافٌ صيَّاحُ

والنَّاسُ حنينٌ مشبوبُ
وشفاهٌ تلهجُ وقلوبُ
والأرض قفارٌ وسهوبُ

وثبتْ تلقـــاهُ بأبرادِ ... فيهنَّ خميلٌ وصباحُ

* * *

مَنْ ذلكَ بين الرُّكبانِ ... كربيعٍ بين الأزمانِ؟
يترقرقُ فى كل مكانِ ... نورًا للسارى الحيران

ويـــداهُ تُفَجِّرُ أرزاقًا
وخطاه تنورُ آفاقا
وصباهُ يجدِّدُ إشراقًا

ويشعُّ كمصباحِ هادٍ ... يُبلى ظلماتِ الأحزان!

* * *

والنُّسكُ تفوح مباخرهُ ... وتَضْرعُ لديهِ مجامرهُ
يمشى والطهرُ يساورهُ ... وجلالُ الملكِ يُسايرهُ

والعطرُ يشقُّ له السُّبلا
ويذيب على يده القُبلا
مازال به... حتَّى نَزَلا

فى روضٍ(*) خضلٍ ميادٍ ... نبتتْ فى الخلد أزاهرهُ!

* * *

(*) روضة المدينة المنورة، حيث زار الفاروق قبر الرسول، وأم المصلين.

فتجرّدْ إلا منْ نورٍ لله عليه منْشورِ
ما بينَ ضياءٍ وعطورٍ وقداسةِ أرضٍ وستورِ

ومَقامٍ يرهبهُ القدرُ
ومزارٍ قدّسهُ البشرُ
فتراموْا فيه واعتبروا

حرمٌ ازليُّ القَصّادِ قدّستْ ثراهُ بشعوري

* * *

الصّولجُ، والباسُ العاشِ خشعًا لجلالِ الحرماتِ
منْ أمّ الناس بساحاتٍ بيضِ الأركانِ مُضيئاتِ

مَنْ زار قُبورَ الأصحابِ
في سبعة عمرٍ وشبابِ
لمْ يُزْهِ بملكٍ غلابِ

وبتاجٍ للشمسِ ينادي : خلّي التسيارَ لخطوّاتي!

* * *

«فاروق» وكم دكّ صعابا! واذلّ منَ الهولِ رقابا!
وتوثّبَ نسرًا جوّابا يجتازُ فجاجًا وشعابا

ويقلبُ أنقاضَ الزّمنِ
ويفتشُ فى ليلِ المحنِ
ويخوضُ بأحشاءِ الدّمنِ

ويمُرُّ بجنبٍ ووسادِ فيذيبُ دموعًا وعذابا!

* * *

فاروقُ نزّلت البيداءَ حبًا، وسلامًا، وصفاءَ
حيتكَ رِباعًا وفضاءَ ورياحًا تخْفقُ وسماءَ

وأتاك العربُ البادونا
يُسْقونَ الحُبَّ ويسقونا
عُشّاقًا حولك يهفونا

سكرُوا مِنْ خمرِ الإنشادِ وتهادوْا .. رقصًا، وغناء!

* * *

ذكرتَ البيدَ بماضيها وأهجتَ السّحرَ بواديها
فكأنَّ الوحى سَرَى فيها وكأنَّ ركابكَ حاديها..

ركأنَّ النيل بها يجرى
وكأنك منْ رؤيا «مصرِ»

ويسهرُ كربانِ هادٍ يتجنبُ ليلَ عواديها!

* * *

هاروقُ! وانتَ على العربِ أحنى مِنْ قلبِ أخٍ وابِ
جمعتَ هواهُم فى سببَ ووصلتَ به خَطوَ الشُهبَ

ولقدْ وحَّدنا فى البلوى
عهدٌ كالصخرة او اقوَى
تُطوَى الأعمارُ ولا يطوَى

وتمرُّ جميعُ الآبادِ وصداهُ يمرُّ على الحقبِ!

* * *

مولاى وحبكَ لا ادرى لمداهُ سماءٌ فى شعرى
شىء فى قلبى كالسحرِ كالموج يدومُ فى صدرى

فاسمعهُ غناءَ ذوبَتى
وطوانى فى تيهِ الزمنِ
واسكبْ انوارك للوطنِ

واشهد فى الرائحِ والغادِى حُبًا يتفجرُ كالبحرِ...

○

○ هذى فلسطين ○

[على يديك جراح الشرق قد لقيت]
[طب العليل، وبرء المدنف العانى]

سَرَى إلىَّ مع البشرى وحَيَّانى
بمثل همسِ الرُّؤى فى قلب نعسانِ
لحنٌ على دارةِ الأفلاك مرتجزٌ
هزَّ النجومَ بترجيعٍ وإرنانِ
فاروقُ هذا هَوَى الوادى تَرِنُّ به
فى مسبحِ الشمسِ أنغامِى وألحانى
أعيادُ عصرِكَ دُنيا ما سمعتُ بها
ولا تَبدَّتْ حواشيها لإنسانِ
مواسم ما اجتلَى «فرعون» فرحتها
ولا ضفا بشرُها يومًا لسلطانِ

على يديكَ جِراحَ الشرقِ قد لقيتْ

طِبُّ العليلِ وبُرءُ المُدْنَفِ العاني

فما به جَذوةٌ إلا وكُنتَ لها

بردَ الرحيقِ على أحشاءِ ظمآنِ

ولا تأوهَ شعبٌ مِنْ فؤادِكَهِ

إلا نشرتَ عليه ظلَّ سَلوانِ

هذي «فلسطينُ» تغلي في مراجلِها

كأنَّما قَذَفَتْ في جوفِ بُركانِ

تلفَّتَ القدسُ فيها شاكيًا فمضت

أنوارُ ملكِكَ في عَطفٍ وتَحْنانِ

ترعَى، وترحمُ، والأقدارُ شاهدةٌ

وفي يمينِكَ للإسلامِ سيفانِ

سيفٌ مِنَ اللهِ علويٌّ تمرُّ به

كالهولِ بالهولِ في صبرٍ وإيمانِ

وسيفُ عزمتِكَ الجبارُ ما شهدتْ

مضاءهُ بالليالي عينُ إنسانِ

في عيدِكَ الشعرُ غنَّى صادحًا طربًا

ومالَ يضربُ أوزانًا بأوزانِ

وفي صدَى الحربِ هتَّافٌ أنا فمُهُ

وهوَ المزقرقُ إحساسي ووجْداني

إن كنتُ منْ زُغْبِهِ فى العُمرِ، لا عجبًا

فالعبقريةُ لا تُحصى بأزْمانِ

أنا الذِى بِسناكَ ابيضُّ لى نغمٌ

وخَلَّدتْ ساحةُ الأقيالِ ألحانى

○

○ دجلة .. والنيل ○

لمحتُ بجنات مصرٍ شُعاعا ... لأنواره صفَّق الشاطئانْ

غزا طيفه كلَّ قلبٍ وشاعا ... فلم يخل من صفحتيه مكانْ

تهادى فخلّت الرُّبى واليفاعا ... وشمسَ الضُحى موكبًا من حنانْ

فيا «نيلُ» من هزَّ فيك البقاعا ... ملاكٌ وفى كفه صولجانْ

حَمَى الله أيامَه أنْ تُراعا ... ووَفَّى ليَاليه ربُّ الزمانْ

وأعلى مع الشرق مُلْكًا حواهْ

ونَهرًا تهيم به صفتاهْ

وتاجًا على الباس يرسُو عُلاهْ

وشعبًا إلى «مصر» يهفو هواهْ

ويربطنا فيه عهدُ الحياهْ

فدجلة والنيل ذاقا الرضاعا ... شقيقين: دينًا ونجوى لسانْ

* * *

فياتاجَ مصر أتتك الشعوبْ ... منَ الشرقِ تسكبُ أحلامها
وألقت إليكَ زمامَ القلوبْ ... فكُنتَ هواها وإلهامها
إذا أرعشتْ جانبيها الكروبْ ... أسيتَ، فآسيْتَ آلامها
وإن مسَّها في سُراها لُغوبْ ... إلى النجم طيَّرتَ أقدامها
فأنتَ لها في ظلام الخُطوبْ ... صباحَ يُنورُ أيامها

وينشرُ في كل وادٍ ضُحاه
فيُنسي به كلُّ قلبٍ أساهْ
على النهر أو في هَجير الفلاهْ
زمانٌ يفارق ضاحٍ سناهْ
مليكٌ على الشرقِ تحنو يداه
رعى ملكهُ ورعاهُ الإلهْ

صَحَتْ أممُ الشرق تبْغي الهبوبْ ... فهبا لنرفع أعلامها

* * *

منَ الرافدين أضاءَ الغِبابْ ... شُعاعٌ بمهْدِ المُلا يَرفلُ
سَرَى والربيع يحث الركابْ ... إلى الدوح فردوسهُ المُخضلُ
فكانا ربيعين بين الشعابْ ... يحييهما الحُبُّ، والجدولُ
وهذا يُناجيه قلبُ الشبابْ ... وهذا الطُّيور له تهْدلُ
ولكن ربيعكَ غضُّ الأهابْ ... حبيبٌ إلى النيل يا «فيصلُ»

فموجُ «الفرات» جرى فى ربَّاهْ

وأحلامُ «بغداد» فَضَّتْ شَذَاهْ

وقلب «العراق» انتشى مِنْ صباهْ

ورقرق آماله فى سماهْ

غدًا من يديك يُلَقَّى مُناهْ

وفى ظل عرشكَ يجنى جَناهْ

ونسبحُ بالشرقِ فوق العُبابْ على وحدةٍ .. دينُها مُنْزِلُ

○ أرزة لبنان ○

«لبنانُ» والسحرُ في يديهِ
والفنُ نشوانُ في ذُراهُ
والشعرُ، والحبُّ والأغاني
مشبوبةُ الوجدِ في رُباهُ
ونايُ «داودَ» مِنْ قديمٍ
يَرِنُ في سَفْحِهِ صداهُ
حيثُ آفاقُهُ، وقامتْ
قيامةُ الشوقِ في جباهُ
وغلبتْ خُلدها وكادتْ
تسيرُ من لوعةٍ خُطاهُ
وكادَ يأتيكَ والأماني
تُسابقُ الحبَّ في هواهُ
أزُرْتَهُ في أمسِ الليالي
وكنتَ في كَرْبِهِ أخاهُ

عـــاتٍ على القـــيـــد، كم لوتهُ
بغـــضـــبـــة الحُـــرّ راحـــتـــاهُ
مـــتـــوجٌ بالجـــمـــالِ حـــيًّا
مـــتـــوجًا بالعُلا ضـــحـــاهُ
واقـــبـلتْ «ارزةٌ» عليـــهـــا
تمائمُ الســـحـــرُ او عـــصـــاهُ
خـــضـــراءُ مـــشـــبـــوبةٌ سَقـــاها
منْ عـــزة الشـــرق مَنْ سَقـــاهُ
حطّت «بعَبْدين» عند فـــجـــرٍ
يفـــيضُ بالنور شـــاطئـــاهُ
وكـلّفـــا حَولـــهُ طيـــورٌ
وحُبُّـــه الـــرَّوْضُ والميـــاهُ

○ جار الصحراء ○

في خريف ١٩٤٣ كانت قرية الفصاصين الظالمة على مشارف الصحراء الشرقية في شمال الدلتا كعبة للمصريين، هرعوا إليها بأجسامهم وأرواحهم حافين حول خيمة مباركة أوى إليها الفاروق المزيز مستشفيًا من عثرة هلع لها قلب الوطن!

(أذيعت يوم عاد جلالته سالمًا إلى عاصمة ملكه)

جـــاءتكَ تشكو الظمـــا قـــيـــاثرهَا
أشـــرقْ.. فـــإن الضـــيـــاءَ هـاجـــرُهـا
خـــمـــيـلةٌ مِنْ هَـوَىً مـــعـــذبةٌ
أســـيـــانُ شوقًا إليكَ طائرُهـا
رياضُهـــا، نَهـــرهُهـــا، جَداولهـــا
أنـــامُهـــا، عِطرهـا.. أزاهرها
مـــشـــبـــوبةٌ في الضـــفـــافِ والهـــةٌ
تُثـــيـــرُ وَجـــدَ الدجى زوافـــرها
الليل هيـــمـــانُ تحتَ أغـــصُنهـــا
كعـــاشقٍ في الرُّبى يُســـامـــرها

جاءَتكَ أمواجه مغمغمةً

يَضجُّ فرطَ الحنان هادرُها

تجري، وللدهر أرْغنٌ صَدحت

بسحرهِ للورى مزاهرُها

في جنةٍ مولدُ الخُلودِ بها

تروي أحاديثهُ مخاضِرُها

تُذكي جُنونَ الصبا ملاعبُها

وتستثيرُ الهُدى منائِرها

أمعبدٌ للجمالِ؟ أم وطنٌ؟

أمْ كعبةٌ شعشعتْ مجامرها؟

أمْ مُهجةٌ كلما خَطرتَ بها

سَقتْكَ خمرَ الهوَى سرائرها؟

أمْ أمةٌ أنتَ سرُّ يقظتها

من رقدةٍ أظلمت ستائرها؟

أيَّانَ أومأتَ للعُلا، وقفت

مُعلَّقاتِ السنا نواظرُها

كمْ آهةٍ تقهرُ الجبالَ مضَتْ

وأنتَ تحت الضُّلوع قاهِرُها!

ودمعةٍ قبل أنْ تَبوح بها

إليكَ، ضنَّتْ بها محاجرها!

أنتَ شُعاعٌ يضيءُ غُمَّتَها

أنى سرى نورتْ ضمائرُها

كيف الفلا يا مَليكُ لُذتَ بها

ولمْ تذُبْ نشوةٌ مزامِرها؟

خيَّمتَ فجرًا على مشارفها

فقرَّ تَيْهانُها وحائرُها

خرساءُ جاءتكَ ليس في يدِها

إلا هوىً عاصِفٌ يخامرُها

نَفثتَ فيها صِبا الربيع، فلَوْ

سألتها عنكَ؛ فاحَ عاطرُها

ذابتْ أماسيُّها شَجَىً، ومضتْ

تَدعو السما رَحمةً بواكرها

وجلْجلتْ فوقها الرياحُ كما

لوْ قيلَ: إن الزمان زائرها!

ماذا على البيدِ يا تُرى؟ ملكٌ

أم كوكبٌ بالضياءِ باهرها؟

تَزاجلتْ بالمُنى قَوافلها

وضَّوأتْ للسنا مغاوُرها

هذا هوَ النيلُ.. تلكَ قِصَّتُه

أولها في هَواكَ آخرها

قديمةُ الوحي، أنتَ ملهمُها

وأنتَ فوقَ القلوبِ ساطرها

خفتْ إليكَ الوفودُ تحسبها

أمواجَ بحرٍ طفَتْ زواخرها

لا قلبُها صامتٌ ولا فمُها

كلُ أغاني الهوى حَاجرُها

مسحورةٌ في يديكَ رُقيتُها

أشرقْ! فأنتَ الغداةَ ساحرُها..

تلفّتتْ حينَ قُلتَ: آهاً كما

لوْ حُملتْ طمنةٌ مرائرها

رمتْ يدُ اللهِ عثرةٌ، ذهبتْ

خَطاكَ ميمونةً تحاذرها

مَرت كطيفِ الكرى على قدرٍ

داءٍ به ضوّأتْ بشائرُها

عنايةُ اللهِ أسرعتْ، فغدتْ

درعًا به حُطمتْ مقادرها!

يا قادمًا والسَّماءُ لوْ قدرتْ

حفّتْ بأنوارِ زواهرُها

أقبلْ فإنَّ القلوبَ ظامئةٌ

نادتكَ منْ لهفةٍ مشاعرها

مِنْ كـــعـــبـــة الله أوشكَت أممٌ

تـطـل لـولا الـتـــقـى نـواظِرهـا

كـادت بشـيخ الجـبـال وقـفـتـهـا(*)

يطيـــر شـــوقًا إليك خـــاطرُها

هـذا هـو الـشـــرقُ! أنت! مـــوئلُهُ

إذا الـلـيـــالـى دَهـت دوائـرهـا

أشـــرقتَ عـــيـــدًا، ورحـــمـــةً، ورؤىً

لـلـحـبِّ ثـارت بـه ثـوائـرُهـا

وهللتْ مـصـــرُ للركـــاب كـمـــا

لـو أُترعتْ نـشـــوةً ســـرائرها

هـزتْ لـه الـطـيـــرُ عـــودهـا، وأتى

يهـــزُّ قلبَ الزمـــان شـــاعـــرُها

○

(*) صادفت عودة الفاروق يوم وقفة الحجيج على جبل عرفات.

○ حماك لشعبك الله ○

أغنية

تغنى الطيرُ فى الفجرِ ... فقلتُ: الطيرُ نشوانُ
وطافَ العطرُ بالزهرِ ... فقلتُ: العطرُ ولهانُ
ورنّ الموجُ فى النهرِ ... فقلتُ: الموجُ فرحانُ

ضياؤكِ ساحرُ الطيرِ
وحبكِ فاتنُ الزهرِ

وعيدكِ فى فم النهرِ ... أناشيدٌ وألحانُ

* * *

لكِ التاجُ الذى أغرى ... جبينَ الشمسِ مرآهُ
لكِ النيلُ الذى أسرى ... وأنتِ غرامُ دنياهُ
فأشرقْ فى حِمى مصرا ... حماكِ لمجدِها اللهُ

وزادكَ فى العُلا نصـــرًا

فـــأنتَ العـــزةُ الكبْرى

وأنتَ العـيـدُ والبُشـرى حَمـاكَ لشـعـبك الله

* * *

عـشـقْنا فـيكَ ألوانًا من الرحـمـاتِ والبـرْ

عـشـقْنا فـيك إحـسـانًا يفـيضُ كلُجَّة البـحـرِ

عـشـقْنا فـيك إيمـانًا يضىءُ سـريرة الدهرِ

فـأنتَ مـلاذُ دنيـانا

بنورِ التـاج ترعـانا

إذا مـا الهـولُ نادانا سَبَقْتَ لهُ خُطا «مصرِ»

○

○ من ذلك الفارس..؟ ○

[ذيعت فى مهرجان الأمة المصرية احتفالاً بذكرى نجاة الفاروق من حادث القصاصين بدار الأوبرا الملكية مساء ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٤]

حـــلاً الغناءُ، فـــهـــاتُوا خـــمـــرهُ هاتوا
إنا نشـــاوى وهذا الشـــعـــرُ كـــاســـاتُ
لا تعـــــذلونا إذا لاحت جـــــوانحنا
كـــأنهـــا لأغـــانى الحُب حـــانـاتُ
كنا نحـــــــوم بليلٍ ليسَ فى يده
لحـــائرِ الطيـــرِ أعـــشـــاشٌ وأيكاتُ
فـــــلا الغناءُ غناءٌ فى حناجرنا
ولا بأوتارنا تهـــــتـــــزُّ آهاتُ
كُنا تماثيلَ تغـــــريدٍ أحـــــاطَ بنا
نَحْـــاتُ صـــمتٍ له بالشـــدوِ ثاراتُ

تأسّى، وتأسى الأغانى فى مزاهرنا

وللغناءِ كما للنّاس ويلاتُ!

* * *

مَنْ ذلكَ الفارسُ البيضاءُ جبهتهُ

كأنّ أنوارها للنصر آياتُ؟

أو مَا إلى أدمُع الأيام، فاهتلكتْ

وقُتّلتْ فى مآقيها الشكاياتُ

ومَرّ بالليل والظلماءُ عاكرةٌ

فبُجّرتْ منه أنوارٌ وهالاتُ

وجامَ فى الكوخ أرضًا غرسُ تُربتها

جُوعٌ وشكوى وأسقامٌ وعِلاتُ(*)

يمشى العُراةُ بها فاتينَ تُبْصرهم

وفيهم من بَنى الدنيا علاماتُ

مهلهلُون على أبدانهم مِزقٌ

كأنها لِصراخِ البؤسِ راياتُ

خَفُّوا إليه جراحًا غابَ عائدُها

وطبُّها، وتجافتْها الرّعاياتُ

ورفرفُوا كطيورٍ جاءها خَبَرٌ

أنّ الربيعَ له فى الروضِ خُطُواتُ

(*) إشارة إلى زيارة الفاروق لمصرعى الملاريا بأسوان فى شتاء ١٩٤٤.

طاروا له رَغْمَ بَلواهمْ، وحـــرقـــتِهمْ

كـــمـــا تَطيـــرُ إلى الحَقِّ الظَّلامـــاتُ

كـــانوا «بأســـوانَ» نســـيـــانًا تُقَلِّبُه

فَتّاكـــةٌ بيـــن جنبـــيـــه المجَاعـــاتُ

خـــاضَ المنايا ليُحـــيـى شـــعْبَـــهُ بطلٌ

لـولاه راحَ الـردَى بـالـنـاسِ يَقْتـــــاتُ

مَنْ ذِلكَ القـــدرُ الســـارى تُظللُهُ

أنّى مـــشـــىَ مِنْ يـد الله العـنـايـاتُ؟

مُفـــاجئٌ نكتُم البُشـــرى ســـريرَتَهُ

كـــآية الســـحْر تعليـــهـــا الفُجـــاءاتُ

فـــاروقُ فـــجـــرُ الحـــيـــارى، أينمـــا نزلَتْ

خُطاهُ، فـــالأرضُ أعـــراسٌ وجنـاتُ!

فـــاروقُ والنيلُ يَهـــواهُ، فلو نَطقت

أمـــواجـــهُ، هتـــفتْ منهـــا الصُّبـــاباتُ!

فـــاروق والطَّيـــرُ تهـــواهُ، فلو سُئلتْ

ترنَّمتْ بأغـانيـهـا الخـمـيـلاتُ

فـــاروقُ والشـــرقُ يهـــواهُ، فكلُّ فمٍ

يدْعـــو، وكل يدٍ منهـــا ضَراعـــاتُ

إذا دَجَتْ فى طَريق الدهرِ نظرتُهـــا

راحتْ تُضيءُ بكفـــيـــه المنـاراتُ

وإن تَشعَّب فيها الرأيُ واختلفتْ

ذابتْ على يَدِهِ منها الخلافاتُ

وإنْ بغى ظالمٌ فيها، فصولجه

في البأسِ تعرفُ ماضيهِ البريّاتُ!

* * *

فاروقُ! واليوم ذِكرى لحظةٍ شهدتْ

بما لُحبكَ تطويهِ الحُشاشاتُ

هَفتْ إليكَ قلوبُ الشعب، وانْدفعتْ

إلى ركابكَ أرواحٌ ومُهجاتُ

وجاءكَ النيلُ يسعَى بينهمُ دَنقًا

يغلي بأشواقهِ موجٌ وضفّاتُ

والدوحُ كادتْ لفرطِ الوجدِ أغصُنهُ

تُمدُّ منها إلى الرَّحمنِ راحاتُ

والنامُ أمواجُ بحرٍ تحتَ عاصفةٍ

رياحُها مِنْ جُنُونِ الأفقِ مُزجاةُ

طاروا لنورِكَ دعّاسين تسمعُهم

وتستجيبُ لهمْ فيكَ السَّمَواتُ

وأنتَ في جيرة الصحراءِ تنفحُها

نورًا، تُضيءُ بهِ الصحراءُ المفازاتُ

خيَّمتَ في شطها فجرًا تُضاءُ به

للسَّالكين على البيدِ المتاهاتُ

غنّى بطلعتكَ الحادى، تُجاوبُهُ
صَبائحٌ جاوَبَتْهنَّ العشيّاتُ
ورددتكَ مزميرًا قوافلُها
كأنما أنت «موسى» وهى تورَاةُ
ومَوكبُ الريحِ! ماذا فى أناملِه؟
مُعْطراتٌ، شجيّاتٌ، مُضيئاتُ
راحتْ تفضُّ على الصحراءِ ما حَملتْ
فكاد ينضخُها رىٌّ وإنباتُ
زارتكَ طوافةٌ، فانظرْ ضَرَاعتَها
واسمعْ، فمن يدها تَجرى التميماتُ!
هذا جلالُك يا فاروقُ! كُلُّ ثرى
تمشى عليه، مشَتْ فيه القَداساتُ
نبوةٌ بمعانى الخيرِ، راحَ بِها
واديكَ تُفْعِمُ شطّيْهِ المُرُوءاتُ
فى كل بابٍ مِنَ الإصلاحِ تطرقُهُ
يامَا شَجَتْنا وهزّتْنا الرواياتُ!
رأىٌ جديدٌ، وتجديدٌ، ومَوهبةٌ
بنُورها سطعتْ منك الهداياتُ
ماذا فعلتَ بوادى النيل؟ كان كرىً
وكُنتَ بعدُ.. وللأيامِ حالاتُ!

نفحته عزمة بأس الحديد لها
مسكين قلب له برح وآنات
ورحت توقظ روح الشرق في زمن
صنحو الشعوب لأهليه ديانات
على يديك التقت آماله، ولها
من أنجم الليل أحباب وجارات
فاروق! ما مر ليل أو دجا أفق
إلا وتاجك للأوطان مشكاة
ذكرى نجاتك عيد خالد سطعت
فيه لحبك في الدنيا شهادات
قباب «عبدين» صارت كعبة، وغدت
مزار حب له تحلو المناجاة
النامس في ساحها كالطير ظامئة
وأنت نبع، وشطآن ظلالات
وقفت أهتف.. لا شعرا، ولا نغما
لكن هوى غردت فيه الخيالات
ومهجة من سنا الفاروق قد شربت
فرنحتها من التغريد هزات

* * *

«مَنْ ذلكَ الفارسُ البيضاءُ جبهتُهُ

كأنَّ أنوارها للنصرِ آياتُ؟»

فـ روقُ، والله للأوطان أرسلَهُ

فَجرًا تفيضُ بكفيه السَّعادات!

○

○ القاهرة تغنى! ○

(القاهرة تحيى الفاروق يوم عودته من مصيف الإسكندرية إلى عاصمة ملكه، وكان قد أمضها الحنين شوقاً إليه، فاستقبله الشعب والجيش (يوم استقبال)

أزكَى فَم الدنيـــا حـــديثُ بشـــائرى
حينَ اســـتـــهلَّ بكَ الركـــابُ لناظرى
يـا غـــــائبًا عنّى .. وكـــــان لنُورِه
مـــحْرابُ تقـــديسٍ أقـــيمَ بخـــاطرِى
مـــا كـــان عـــرشُكَ فى البُروجِ مـــقـــامـــهُ
هو طىُّ احـــلامى، وفـــوقَ ســـرائرى
أعـــلا على مُهج العـــبـــادِ أســـامـــهُ
وشـــــاى على فَلَك الـزّمـــــانِ الدائرِ
إنّ مَد نـورك فـى الشـــــواطئ ظلّـهُ
فَلقـــد أفـــاءَ على دَمى ومـــشـــاعرى
كـــرُمَـــت شطُّ البـــحـــر حـــينَ نزلْتَه
وَحَيـــــاً أهَلّ على نـبـــىٌّ طاهـرِ

وتركتُ سيرته يسابقُ عرفها

عَبَقَ الخمائل فى الربيع الماطر

إسكندر الإغريق ودَّ لو انَّه

منْ طيبها حُلمُ النسيم الغابر

أنا كعبةُ الدنيا، وزينةُ شرقها

بعلاكَ فوق الشمس زُدْ مأثرى

يا ليتَ لى الأسحارَ أنهلُ عَطرها

والنجم أكحلُ منْ سناهُ محاجرى

وأمرُّ صوب خُطاك جائية العُلا

تَشوى، أكبرُ للجلالِ المأثرا

أقسمتُ يا فاروقُ! ما أتلقَ الضحَى

إلا وأنتَ شُعاعةٌ فى ناظرى

أقسمتُ يا فاروقُ ما ذُكرَ الهدَى

إلا وطيفُك حائمٌ بمنائرى

أقسمت يافاروقُ واسمكَ هزةٌ

تَسرى فيخشع كلُّ حىٍّ عابرا

قَبسُ النبوة فى سماتكَ، والعُلا

رَفعَتْه للدنيا جَبينَ قياصر

فجرُ الشباب أطلَّ منك، وحوله

للحكمة الكُبرى مَعينُ أداهر

فالرأىُ كوكبُ هالة قمريّة

يمضى فيصنعُ بالضياء دياجرى

والعـــزمُ نارٌ لم تُخلِّفْ ســـيـــرةً
يُروى بهـــا وهجُ اللهـــيبِ الســـاعـــرِ
والعطفُ للبـــؤسى عَوالمُ رحـــمـــةٍ
ضُربتْ على ثبجِ البُحـــورِ الزَّاخـــرِ
أعـيـــادُ عـصـــرِكَ حـاشـــداتٌ؛ أينمـــا
يممـــتَ مَلعـــبُهـــا حَفيُّ الســـامـــرِ
مُذ قيلَ: أقـــبلَ! أرقـــصتْ كَفُّ المنىَ
طربى، وهزتْ فى الصـــباحِ مـخـاضـرى
والشـــعـــرُ، والوترُ المُغنى، والهـــوى
جـــيَّشْنَ أعـــراسًا بُكلِّ مـــقـــامِرى
والطيـــرُ أقـــسمَ «للجـــزيرة» لحنُهُ:
لنْ تســـتـــريحَ من الغناءِ حناجِرى
شـــد الربابَ من الأشـــعـــة وانبـــرى
يُشـجى خَيـــال الشـــمسِ فـــوق أزاهرى
نَسَّى فَـــمَ المـــلاَّحِ اغنيـــةَ الضُّحَى
فـــاذاع فـــرحـــتـــهُ نشـيـــدُ الطائرِ
والنـخـل أسكـرهُ الجـــــلال، فخلتُه
فى الشطِّ يُصـــغى للبـــغـــامِ الذَّاكـــرِ
وتنسمَ الهـــرمـــان منكَ شـــهـــادةً
للمُلك أحـــيتْ كلَّ مـــجـــدٍ غـــابرِ

وشـــــدتْ بيـــــوتُ الله: يا فلقَ الهُدى

كـــــرَّمْ بخطوكَ سُـــدَّتى ومنابرى

لولا التُّقى لجلعلتُ نورك قـــبلتى

ونَسمْتُ من طُهْرِ الركـابِ مجـامرى

أعليتَ دين الله حـينَ عـصمتـه

بالرُّشدِ فى العـصـر الغـوىّ الفـاجـرِ!

وهـززتَ صـــولجكَ القـــوىَّ، إهابةً

للنيل من عـــصفِ الزمـــانِ الجـــائر

فـحـشـدتَ فـرسـان الوغى ونِصـالهـا

وطلعتَ للأجنادِ طلعـــةَ ظافـــرِ

ونفـــحتَ أنْسُركَ الشـــدادَ عـــزيمـةً

قـصـفَتْ بهـا جنُّ السـحـاب الطَّافـرِ

أسـمـعتَ زمـجـرةَ الردى بجناحـهـا؟

والهـولَ منْ فـمـهـا الغـضـوبِ الثـائرِ؟

هـى منْ جـنـاحـك وثـبـــــةٌ نـاريـةٌ

نَسَختْ ضـفـافَ النيل غـابَ قَسـاورِ

كلباس سـيـفك تستـعـيـدُ شـبـاتهُ:

إن أرهبَ الدنيـــا فليسَ بضـــائرى!

القـــائدُ الأعلى أهاب بجـيـشـه

فـــارتجَّ بين مـــدارعٍ ومـــغافـــرِ

ومضى.. سيمضى للفتوح لواؤه

نشوانَ يرقُصُ للخميس الهبّادِ

فاروقُ خطوكَ فى المواطن رحمةٌ

للمستجير، ونغمةٌ للحائر

أنا لستُ وحدى فى لِقاك قريرةً

كلُّ المدائن والقُرى فى سامرى

أخجلت أعراسَ الربيع بفجأةٍ

لِستاكَ ترفُلُ فى ربيعٍ باكرِ

وتبسّم الوادى كأنَّ صياحَهُ

حُلُم الهَوى يرتادُ أفْقَ الخاطرِ

والتف شعبُكَ بالركاب تسوقهُ

مُهجٌ ترفرفُ بالحنين الطاهرِ!

فاروقُ عودكَ هزَّ أعطافَ الحِمَى

فترنحتْ بهوى المليكِ مزاهرى

يمضى فَمُ الشادين يهتفُ بالصدَى

ودَمَى يرقرقُ فى الخيالِ مشاعرى

أنا ما شدوتُ! ولا صَدَحْتُ! وإنما

أهديتُ نُورَ التاج مُهجةَ شاعرِ!

«.. وهذه يدى فى أيديكم تساهم فى العمل معكم، يد قوية لا لأنها يد ملك ولا لأنها يد شاب، ولكن لأنها يد مصرى يؤمن بمصريته»

«الفاروق»

[من رسالة ملكية]

○ عابدين ○

[قصر عابدين كعبة الوطنية فى مصر، وقبلة الشعب فى وادى النيل.. فى ظلاله درجت أيام الفاروق، وتحت قبابه رست دعائم عرشه، وقامت على أسواره عزة الوطن مقام الأمل والموئل والمنار]

طفْ «بعـــبـــدينَ» وهبْ لى مِنْ سناها
ومـــضـــةٌ لا تعـــرفُ الشـــمسُ ضُحـــاها
لا.. ولا زَفتْ علـى الـدنيـــا خُطاها
لا.. ولا شَعَّتْ بأرضٍ صـــفـــحـــتـــاها
مـــثلمـــا شَعتْ بوادى الخـــالدينْ
هـالةٌ تُســـعِدُ أحـــزانَ السنينْ

* * *

طُفْ بهـــا واجـــعلْ ثَراها فى يديْكا
عـطـر أحـــلامٍ تفـــتَّحن لديْكا
طُف.. وأنعشْ مِنْ شـــذَاها جـــانبـــيكا
كـم أظـلَّتـكَ! وكـم رفَّـــتْ عـلـيـكـا!

فهْي فجرٌ في ليالي الحائرينْ
وهي في الشرق منار التائهينْ

* * *

مُهجُ الشعب لحاميها قِبابُ
ولها الآمالُ تُفْدَى والشبابُ
فهيَ للأرواح مغدىً ومآبُ
وهيَ للنيل دعاءٌ مستجابُ
كلما أكرَب شطيه الأنينْ
زأر الليثُ.. ولبَّاهُ العرينْ!

* * *

زأر الليثُ.. فهز الأنجما
ملكٌ ترعاهُ للوادى السما
كلَّما ليلُ العوادى خيَّما
أطلعَ الرأى شهابًا ملهمًا
وسرَى بالفُلك للبرِّ الأمينْ
مَنْ سِوَى الفاروق يجرى بالسفينْ!

* * *

صولجان الملك فى كَفِّ المُشيرْ
كعصا «موسى» بما يهوى تسيرْ
ينسخُ البأساء نعمى للفقيرْ
ويذيبُ الحزنَ فى القلب الكسيرْ

ولهُ فـــوق شفـــاهِ البـــائســـينْ
مـــا بزهر البـــيـــدِ للغـــيث الهـــتـــونْ

* * *

كم شـقـيٌّ لـم تـدع فـيـه الحـيـاةْ
غـيـرَ شكوى رقـرقـتـهـا دمـعـتـاه
وأنـيـنٍ دسَّـــهُ نـوحُ الشـــفـــاةْ
لـم تكد تضـــــرعُ بالشكوى يداهْ..
.. قـــال يا فـــاروقُ! فـــارتدَّ الأنينْ
فـــرحـــةٌ تجـــتـــاحُ بـرّحَ الشـاكلينْ

* * *

كم مَضى يحـيى تعـاليم السـمـاءْ
ويقـــيلُ الدين من عـــصفِ الفناءْ
مـــرَّ كـالكوكب مـشـبـوبَ الضـيـاءْ
فـمـضى النامُ حـواليـه سَـواءْ
صـــولجٌ عـــاتٍ، وصـــارٍ مُسـتكينْ..
يـا رَعـى الله صـــــلاحَ المالكينْ!

* * *

ضـــجَّت الدنيـــا وأذراها الجنونْ
فى جـــحـــيمٍ فـــزَّعَتْ ريحَ المنونْ
وغـــدا النامُ حـــيـــارى يخبطونْ
كـــوحـــوشٍ بالمنايا يلعـــبـــونْ

يشـــربون الخـــمـــرَ منْ قلب الطعـــينْ
ويســـــوقُون الـردى لـلـوادعـــــيـنْ

* * *

وحِمى الفـــــاروق فى هذا اللهـــيبْ
هادئ البـــأسِ كـــإعـــصـــارِ المغـــيبْ
باطشُ الأســـرار كـــالـهـــولِ الرهيبْ
فـــإذا النيلُ دعـــا.. كـــان المُجـــيبْ
كُلُّ شـــــعـــبٍ، كـل قـلـبٍ، كـلُّ دينْ
نحنُ أبناءُ الفُزاةِ الفـــاتحـــيـنْ

* * *

أيُّهـــا التـــاجُ الذى راعَ الزَّمـــانا
وشـــــاى بالمُلك عـــدلاً وأمـــانا
ومَضَى يُمـلـى عـلـى الـنـجـمِ عُلانـا
اســـــأل التـــاريخ عنَّا.. كم روانا
قـصـــةٌ للمـجـــد بينَ العـــالمينْ
ذكـــرُها فى الأرض جـــبـــارُ الرنين!

* * *

فـــاسلمى يا مـــصـــرُ إنا للفـــداءْ
قـــدْ وهبنا العُمـــرَ جـــرسًا فى النداءْ
نيلُك الســـاحـــرُ قـــهـــارُ الفناءْ
وهـــوَى تاجُك يجـــرِى فى الدمـــاءْ

فـــاجـــعلى الأنجمَ مما تنشـــدينَ
وانهـــضى.. فـــالمجـــدُ يأبى الراقـــدينْ!

○ هو حامى خمائلى ! ○

زارَ النيلُ.. قلتُ.. مـــاذا؟ فـــقـــالت

عـــابراتُ الرياح: ليتَ جـــديدُ!

قلتُ: من أينَ؟ قـــالت الشـــمسُ: لا .

- أينَ! فـــمنْ راحـــتْى تنمى الأســـودُ

غـــابةُ فى الوجُود غـــابى، ومـــهـــدى

مـــهـــدهُ: الشـــرقُ، والعُلا، والخلودُ

أينمـــا سِرتُ، فى شُعـــاعى مُحـــيَّاهُ .

- وفى بَهـــجَتى صـــبـــاهُ النضـــيـــدُ

وكـــمـــا جَذوتى تذيبُ حـــشـــا الدهرِ

- لهُ بأسُهـــا الـــقـــوىُّ الشـــديدُ

قـــالَ طيـــرُ الضـــفـــاف: عندى لحنٌ

لَـــمْ يـــزُدْ بسـحـــرهِ «داودُ»

مَرَّ بى ركـــبـــهُ قـــديمًا، فكبـــرتُ

- ومـــازال فـــى يـــدىَّ النشـــيـــدُ

كُلُّ ظمآنَ للأناشيدِ استقيهِ.

. فيهتزُّ قلبهُ المعمودُ

هو حامي شمائلي! فلو الريحُ.

. دهتها.. لأقسمتُ لا تعودُ

قالَ لي الموجُ؛ وهو أبياتُ شعرٍ

لم يذعها للملهمين قصيدُ

ولهُ موكبُ الحياةِ على الأرض.

. فجاثٍ وجارهُ عربيدُ

وصموتٌ، وصاخبٌ، وشجيٌّ

يتغنى، ووالهٌ يستعيدُ

أنا ركبٌ من عهدِ «فرعون» ظلتْ

تترامى بجانبيَّ العُهودُ..

جئتُ أفخني لهُ بسرٍّ رهيبٍ

في أبي الهولِ منهُ ومضٌ بعيدُ

جئتُ ألقى له رسالةَ حبًّا.

. زينَ، في مجدهم يَحارُ الوُجودُ

أرعشوا صولجَ الليالي وسادوا

وزمانُ العبادِ طفلٌ شريدُ

وبنوا ما تذوبُ كاهنةُ الجنِّ.

. دهاءً، وسرُّه لا يجُودُ

قُبَبٌ فى سريرة الأرضِ شُمٌّ

سِحْرُ أبوابها عَتِىٌّ مريدُ

وبروجٌ تكادُ فى زحمة المحْـ

ـشَر ترسو، وكلُّ شىءٍ يميدُ

جئتُ أتلو لهُ أحاديثَ قومٍ

حَكَموا الأرضَ والبرايا عَبيدُ

قُلْ له: أنتَ منهمُ فلقُ البعث.

- وإشراقهُ الفتَّى الجديدُ

فتخطَّرْ ما شئتَ فى الغابِ، يا ليثُ.

- فإنَّا إذا دعوتَ جُنودُ

خلفكَ اليوم أمةٌ لك يا فاروقُ.

- منها رَهنَ الفدا ما تُريدُ

حُبُّنا فى يديكَ صارمُ هَولٍ

عنْ هَوى التَّاج سِنُّهُ لا يحيدُ

أنت فجرٌ يشعُّ مِن نورهِ الوادى.

- وتستغفرُ الليالى السودُ

أنتَ شطٌّ يلوذُ فى أمنهِ الحائرُ.

- والعاثرُ الشقى الطريدُ

أنت للبؤس رحمةٌ عادَ منها

نائحُ الرزقِ وهو راضٍ سعيدُ

أنتَ للدين قوةٌ تُنعش الروح .

. كما ينعشُ المصلى السجودُ

ذُكرتْ هجرةُ النبى فأحييتَ .

. جلالاً لعهدها لا يبيدُ

وشَقَقْتَ الصفوفَ تهُرعُ لله .

. وتبدى فى حُبه وتعيدُ

ودعاك الوادى، فأسرعت: لبيك .

أنا ليثكَ الأبىُّ العنيدُ

أنا حامى شراكَ إنْ وسوسَ القيد .

. أنا النارُ.. فلتذبْ يا حديدُ!

○

○ اسقنا .. هذه كأسنا ○

اسقنا يا ربيعُ اسقنا ... فالهوى والأغاني لنا
الضُحى راقصٌ حولنا ... والرُبى صفقتْ مثلنا

فاسقه واسقها واسقنا
من رحيق الصِبا والمُنى

* * *

جاءك الرَوْضُ يشكو الظَمَا ... فجرهُ، زهرهُ، طيرهُ
فاغدا هائمًا فى الحمى ... نورهُ، عطرهُ، سحرهُ

أنت فى الأرض خمرُ السَمَا
فاسقنا .. هذه كأسُنا!

* * *

نحنُ والنيلُ والشاطئانْ ... موكبٌ سارَ فيه الفلكْ
خافقٌ بالهوى والحنانْ ... قلبهُ يومَ عيد الملكْ

صاحب التاج والصولجانْ
باسُهُ فى الحمى باسُنا

* * *

كلَّمـــا لاح ضـــافى سناه ذاق خـــمـــرَ العُلا شـــعـــبُهُ
وانتـــشـــىَ نيلهُ منْ هواهْ فـــجـــرىَ عـــاتيًا حـــبُّهُ

فـــهـــوَ فـــينا ربيعُ الحـــيـــاهْ
من يديهِ ســـرىَ مـــجـــدُنا

* * *

غنِّ يا شـــعـــرُ فى عـــصـــره عـــازفًا عـــبـــقـــرىَّ النغَمْ
واروِ للنَّاسِ عنْ بشـــرهِ مـــا روى كلُّ قلبٍ وفمْ

واســـأل الشـــرقَ عـــنْ بـــرِّهِ
تلقَ أيامـــهُ ألسُنا..

○

○ خمرُ «أذار» ○

ما لقيثارك يا شاعرُ نعسانَ الأغاني؟
خمرُ «آذارَ» حواليكَ تغنّى في الدنانِ
والضُّحى قلبٌ على الشطآنِ خفّاقُ الحنانِ
والربى انغامُ عشاقٍ، وأحلامُ غواني
والهوى والشعرُ من سحرِ الهوى معتنقانِ
لا ترى زهرةَ أيكٍ لم يزرها عاشقانِ
ويبثّان لها النجوى وتسبيحَ الأماني..
لا ترى شطَّ غديرٍ لم يَعُدهُ طائرانِ
وكما مرجتُه تحكي رؤاها يسمرانِ..
لا ترى سنبلةً في الحقلِ خرساءَ اللسانِ
فحفيفُ البرِّ موسيقا تُغنّي للزمانِ
ولمن يسمع بالروح ويصغي للمعاني..
كلُّ شيءٍ حولَ أيامكَ هتّافُ المغاني

فلم القيثارُ نعسان؟ وما ذنبُ الاغاني؟
هي في الأوتار تدعوكَ.. فقمْ هُزَّ المثاني!
إنْ يكنْ حانكَ قد جفَّ، فلِمْ تهجرُ حاني؟
وأنا النِّيلُ أبُ الدنيا ومحيي المهرجانِ

* * *

هكذا قال لي النيلُ وناغاني النشيدُ
إيه يا فاروقُ أيامكَ للأيّام عيدُ
وغناءٌ في فم الشَّرقِ سماويٌّ جديدُ
وعلى تاجكَ للأوطانِ نصرٌ وسعودُ
عصركَ الميمون فجرٌ في رواييها سعيدُ
رقرقَ النورَ فذابتْ حولَ ساقيها القيودُ
وغزاها البعثُ والأصلاحُ فانهارَ الجمودُ
كل يوم لكَ فيها مذهبٌ عالٍ سديدُ
منْ رأى وجهكَ في المحرابِ أغراهُ السجودُ
قسماتٌ للهدى فيها وللمجد شهودُ
وجبينٌ فيه للوادي أمانٌ وعهودُ
وبه للغيب آياتٌ سيتلوها الوجودُ

* * *

قائدَ الجيش سلامًا.. جيشُكَ الحتفُ المبيدُ
خلقتهُ جمرةُ الأهوال والبأسُ الشديدُ

ورعـاهُ سـيفُ «إبراهيم» والعـزمُ الحـديدُ
فليعـدّ فى جبهـة الدنيـا يُحامى ويسـودُ
طرْ إلى الجـوزاءِ إنّا خلفكَ اليـومَ جنودُ
كُلنـا فى الهـول هولٌ وبروقٌ ورعـودُ
نَرْدَعُ الأقـدارَ عن «مـصـرَ» ونَفْـدى ونذودُ!
نحنُ شعبٌ من قـديم الدهرِ جبـارٌ عنيـدُ
عـاش راعـيـه وحـيـتـهُ من النيل الورودُ
ومن الشـعب قلوبٌ والهـاتٌ وكـبـودُ

○وكيف . . ؟○

(في ذكرى المهرجان الوطني الذي شاركت به الأمة المصرية أفراح مليكها المحبوب يوم الزفاف السعيد)

خـــمـــائلُنا أبـــتْ إلاَّ سكـــونًا
فكيفَ بعـــثتَ هذا الشـــدوَ فـــينا؟!
تـراود طـائـر الإلـهـــــام شـــــوقًا
فـــيـــقـــبلُ هينةً، ويفـــرُّ حـــينًا
فـــإن أوفَى على العـــيـــدانِ أغـــفَى
ولـم يـســكُبْ عـلـى وتـرٍ رنـيـنـا
فـــإن ضـــرعتْ لراحـــتـــهِ الأغـــانى
تمرَّدَ أن يســـاجلهـــا الحنينا
فـــإن غـــمـــزتهُ أحـــداثُ الليـــالى
تجـــبُّـــر أنْ يُـفـــيقَ لهـــا حـــزينا
ظـلـلـنـا هـكـذا.. إنْ نـالَ مـنـا
غـبـارُ الدهرِ تعـزِفُ صـامـتـينا

فكيف أهجْتَ فينا الشوقَ حتى
غدونا خمرةَ المترنّمينا؟!

* * *

وكيفَ! وأنتَ يا فاروقُ فجرٌ
يشعشعُ غمّةَ المتحيّرينا
وكيفَ وأنت يا فاروقُ حبٌّ
نذوقُ به رحيقَ العاشقينا
وكيفَ! وأنتَ يا فاروق فيضٌ
من الرّحماتِ، يحيْي اليائسينا
وكيفَ! وأنتَ يا فاروقُ بعثٌ
لماضي الشرْقِ يقتحم السّنينا
وكيفَ! وأنتَ يا فاروق مجدٌ
يردُّ بنا تراثَ الغابرينا
وكيفَ! وأنتَ يا فاروق عصرٌ
فم التاريخ كان به ضنينا
وكيفَ! وأنتَ يا فاروق سيفٌ
يد الإسلام تشهره سَنِينا
وكيفَ! وأنتَ يا فاروق وحيٌ
يضيء لشعبه دنيا ودينا
وكيفَ! وأنتَ يا فاروقُ راعٍ
لوادي النيل، تحرسهُ أمينا

وكـــــيفَ! وأنتَ يا فـــــاروقُ هادٍ
إذا لجَّ الســـيـــاســـة يرتمينا
وكـــــيفَ! وأنتَ يا فـــــاروقُ حـــادٍ
عـــبـــرْنا الدهرَ خلفَكَ مُســـعـــدينا
وكـــــيفَ! وأنتَ يا فـــــاروقُ تاجٌ
يعـــزُّ به جـــبـــينُ المالكينا
وكـــــيفَ! وأنتَ يا فـــــاروقُ بأسٌ
يســـودُ به زمـــانُ الطامـــحـــينا
وكـــــيفَ! وأنتَ يا فـــــاروقُ قلبٌ
نظلُّ كـــمـــا خـــفـــقتَ مســـيُّرينا

* * *

هواكَ هوىَ الضـــفـــافِ.. إليكَ نهـــفُو
ونخـــنقُ بالصـــبـــابة مـــا حـــيـــينا
تلفتُّ! ترقُبُ الدنيـــا جـــحـــيـــمًا
يســـاقُ له العـــبـــاد مُخـــيَّرينا
تبـــرَّجتَ الحـــضـــارةُ فى يديهمْ
فـــلاحت مـــذبحـــا للجـــازرينا
إذا أكلتْ.. فـــأجـــســـادُ البـــرايا
وتشـــربُ منْ دمـــاء الهـــالكينا
دَجَتْ! واغـــبـــرَّ جـــاحـــمهـــا عليهم
فليت الله يهـــدى الغـــاشـــمـــينا!

وأنتَ بذلك الوادى أمانٌ

يهدهدُ رعشةَ المتلفّتينا

يُضاءُ بكَ الدجى، إنْ قيل: ليلٌ!

وتهدى الشّمس للمتنورينا

وللأيّامِ فى يدكَ ابتسامٌ

يفىءُ ضحىً لقلب العابسينا

فأعراسٌ وأعيادٌ وصفوٌ

أأقُسْمُ أنتَ بِشْرُ العالمينا؟!

* * *

تذكّرتُ الزفافَ؛ كأنَّ ركبًا

وجندَ الدهرِ فيهِ مهلّلينا

ترنّم فى الحواضر والبوادى

لروعته العبادُ مطرّبينا

فهل «رمسيسُ» بشرهمْ بفتحٍ

فخفُّوا للملاعب راقصينا؟

هفتْ أرواحهمْ وصفا غناهُمْ

فهاموا فى الضفاف مرنّحينا

كأن الله أسكرهُمْ بخمرٍ

ضلّلتُ.. فسكرهُمْ كان الحنينا!

وشوقًا كان فى فمهم غناءٌ

وحبًا كان فى دمهم دفينا

راحـــلامًا بفـــاروقَ اســـتطارتْ

وخـــيَّمَ ســـرُّها فى «عـــابدينا»

وكنتُ هناك شـــاعـــرها بليلٍ

غـــدا لمفـــاتن الدنيـــا جَبـــينا

وقـــفتُ به.. كـــأنَّ خـــميلَ خلدٍ

وحـــورًا فى الضـــفـــاف مُصـــفَّفينا

وأنهـــارًا من الأشـــواق تجـــرى

وأقـــداحًا تُنادى الظامـــئـــينا

وأعطارًا يفضُّ لهـــا شـــذاها

فـــتـــفـــضى بالهـــوىَ للوالهـــينا

وتاجًا منْ ســـمـــاءِ النيل لاحتْ

كـــواكـــبـــهُ الوضّـــاء مـــلألئـــينا

أنا الطَّيـــرُ الذى ســـحـــرَ الليـــالى

هُنـاك وأسـكـرَ الدنيـــــا رنينا

○

○ جدّد عزة الوادى ○

ملءُ أقداحك يا طيرُ نشيدٌ وحياةُ
وقلوبٌ بالهوى تجرى عليها النغماتُ
غنْ فالأيامُ روضٌ أوْ حشتهُ النُسماتُ
واللّيالى للأغانى والأمانى طامساتُ
وتنقّلْ فى ضفاف النيل باللحن الجديدِ
واسكب النّشوةَ من قلبى وروحى وتشيدى

* * *

مُلْكُكَ فاروق حواليكَ جنانٌ ساحراتُ
وروياتٌ مع الشمسِ خُطاها سابحاتُ
صفحاتُ الدهرِ تَبْلىَ وهىَ فينا خالداتُ
بهواها صنّفَ الدّوحُ وغنّاها الرُعاةُ
فارو للدُّنيا معانيها، وفنّنْ للوجودِ
ما الذى فى جبهة الأهرام منْ سر الخلودِ؟

* * *

ملكٌ فـيضُ يديهِ للبـرايا رحـمـاتُ
تذبلُ الدنيا فتخضرُّ بكفيهِ الهباتُ
تاجُهُ في الشَّرقِ طارتْ بعلاء النَّيْراتُ
فهوَ فجرٌ وربيعٌ وشبابٌ وحياةُ
أيُّها الفاروقُ جددْ عزةَ الوادي السعيدِ
أنتَ عيدٌ خالدُ الفرحةِ خفاقُ النَّشيدِ

○ زادٌ .. وسلام ○

لمْ تكنْ نارك بردًا أوْ سلاما

فعلامَ الشدوُ يا طيرُ علاما؟

بينَ جنبيكَ حنينٌ، أوشكتْ

ريحُهُ الهوجاءُ تذروكَ حطاما

وعلىَ عشكَ ليلٌ جاثمٌ

كلَّما راودهُ الفجرُ تعامىَ

سكْتةُ الدوْحِ، وآهاتُ الرُّبىَ

لم تفضْ كالأمس عطرًا وبُغاما

والهوىَ لم تغدُ فى محرابه

صلواتُ الشوقِ يسحرْنَ الظلاما

كلُّ شىءٍ هاجَ حتى حرَّمَتْ

ضَجَّةُ الدُّنيا علىَ الصَّمتِ المناما

كيفَ واديكَ؟ وهلْ طافتْ بهِ

نشوةُ الوحى فأرعشتَ الغراما؟

وتنقّلتَ بعيدانِ الضُّحىَ

عازفًا يستنطقُ النُّورَ كلاما

ونسختَ الظلَّ لحنًا، والثرى

أُذنًا، والنبعَ قلبًا مستهاما

كيف واديكَ؟ وهلْ حالُ الهوىَ

مثلما كانَ بهِ عُرسًا مُقاما؟

وندامـاكَ؟ وقلبى بينهمْ

رقَّ حتى لمْ يكنْ بين النَّدامى

جَدْولٌ غافٍ، وصبحٌ ثملٌ

ونسيمٌ مرَّ مسكينًا مُضاما

وصدىَ صنْجٍ بكفيكَ له

فى فجاجِ الروحِ وجدٌ يترامىَ

وشعاعٌ، وندىً خيَّلتهُ

من بقايا حانةِ الفجرِ مُداما

كلُّ هذا كانَ حلمًا هاربًا

ليتهُ طنَّبَ فى قلبى الخياما!

* * *

فاعبدْ معبدًا مصطخبًا

وترنمْ وأملأ الدنيا ابتساما

واسكبِ الأنغامَ لا تنشدْ لها

أينما تهزجُ على الأرضِ مُقاما

وتألقْ باغانيكَ على

زمنٍ عجَّ لهيبًا وقتاما

أخضرُ الشطينِ ناداكَ فطرْ

فى روابيهِ غناءً أو حماما

منْ يكنْ للحربِ غنَّى هولها

قمْ فرتلْ فى مغانيهِ السلاما

واشدُ للتاجِ الذى فى ظله

تخشعُ الأفلاكُ قدسًا واحتشاما

صرعَ الدهرَ صبيًا، وشاى

دارةَ الشمسِ ولم يعدُ الفطاما

أعجزتْ مصرٌ به سحرَ النهى

يومَ كانَ الناسُ فى الأرضِ سواما

لم يزلْ فى النيلِ من آياته

هزجٌ أشجى به الموجُ الغماما

رُدَّ يا فاروقُ من أمجادهِ

قبسًا يوقظُ فى الشطِّ النياما

وأعـــده للبـــرايا كـــوكـــبا

طارَ للنجمِ ليـــاذاً واعـــتـــصـــامـــا

وانشـــرُ الحبَّ على أقـــوامـــه

من ســوى نورك يجـتـاحُ الخـصـامـا؟

كم علىَ طيـــفكَ أغـــفىَ جـــائعٌ

كـــانَ لولاكَ ســيـقـتـاتُ الرَّغـامـا

كلُّ يـومٍ لـكَ نُعـــمىَ أهـلـكـتْ

آهـــةَ الشـاكى وتنهـيـدَ اليـتـامى

أقـــبـلـتْ تـنـسـخ أرهـامَ الـنـدىَ

كلَّ صـــبحٍ للمُقلِّيـن طعـامـا

ســـابقتْ نورك فى رأدِ الضـــحىَ

ومـــشـتْ زاداً إليـــهـم وســـلامـا

كـــبَّـــر الشـــرقُ! فـــقـــالوا: من بدا؟

قلتُ: منْ غنَّى به الشـــرقُ هيـــامـــا

من رعـى الإســـلامَ حـــتـى خلتُه

عُمَـــرىَّ الـدينِ رأيـــاً وحُســـامـــا

فى ســـبـــيل الله ركبٌ ســـائرٌ

لبـــيـــوتِ الله كم راعَ الأنامـــا

كـم جـــثـتْ لله مـنـه هـالـةٌ

فى سناها يطرقُ الدهرُ احـتـرامـا

يا مـــقـــيلَ الدين منْ عـــثـــرته

انتَ اعليتَ لركنيْه الدعـــامـــا

كلُّ يومٍ لك عـــيـــدٌ مـــشـــرقٌ

يتـــراءى فى رِبَى الوادى ابتـــسـامـــا

طار تغـــريدى على آفـــاقـــه

نغـــمَةً للعـــرشِ عـــزَّتْ انْ تُســـامى

سُقْتُهـــا مـــشـــبـــوبةً منْ كـــبـــدٍ

اوشكـــت تسكـــبُ نجـــواها ضِـــرامـــا

لم يـزلْ منهـــا «بعـــبـــدينَ» صـــدىً

ظلَّ فى أســـوارها يُشـــجى الحـــمـــامـــا

○ حيــن أشــدُو ○

مــا لتــغــريدىَ إنْ غنّيــتكَ الشّعــر يدانِ
لا .. ولا أدركُ من أين سَـرَتْ منّى المعــانى
فـتـسـمّعْ وحىَ قلبى اليـوم لا تسـمعْ بيـانى
مـا أُراني حـينَ أشـدُو غـيـرَ لحنٍ مـتـفـانِ
هـزّةُ الإلهــامُ والحبُّ وغنّتــهُ الأغــانى
فـسـرىَ من كبـدى الدّامى إلى خـفق اللسـانِ
مـثلمـا تسـرى على الروح عُـلالات الأمـانى
وكـمـا تسـرى مع الريح عطورُ الأقـحـوانِ
وكـمـا وسـوسَ طيـرٌ إلفَـهُ بينَ الجنانِ
وكـمـا ينسـابُ فى الآهةِ شـجـوى وحنانى
وكـمـا حلمٌ خـفى الهـمس يجـرى فى كيـانى
غلفلتْ فىَّ رؤاه واسـتـقـرتْ فى جَنـانى
ثـمّ هـاجتْ، ثم ذابتْ، وتـلاشتْ فـى ثـوانِ

هكذا حالى إذا ما حرّكَ الشدوُ بنانى
أنا عُودٌ فى يد الأقدار غيبىٌّ المثانى
قد سقاهُ من سقى الطيرَ الأغانى وسقانى
منْ رحيقٍ جُنّتِ الخمرُ عليه فى الدّنانِ
طافَ بالشعْرِ علىّ عشاقه فى غيرِ حانِ
فاصغِ لى، لا تسألِ الدّهرَ به كيف أتانى؟

* * *

فهوَ سرٌّ غلّفَ اللهُ به سرَّ زمانى
للهِ يا فاروقُ منهُ ما سيروى الهرمانِ..
عن حديثِ التاجِ والصّولجِ .. ياما حدّثانى!
حَدّثانى عن عُلاً عرشٍ لمجدِ النيلِ بانِ
عَبْقريٌّ النورِ من جنبيه شعَّ الفرقدانِ
وبه فى النيلِ راحتْ تتناغى الضفّتانِ
والضُحىَ، والموجُ، والعشبُ المصلّى للزمانِ
والرُبى، والزّهرُ فيها فضَّ أختامَ الغوانى
وشراعُ الفلكِ قصتْ لى هواهُ الصّفحتانِ
ظلّهُ فى الماءِ نسكٌ سابحٌ خلفَ العيانِ
وصلاةٌ حرّةُ المحرابِ، خرساءُ الأذانِ
نقلتْ للتّاجِ سحرَ الحبِّ من كلّ مكانِ

وغناءُ الطّيـر صنجٌ ذاب فـيـه الشـاطئـانِ

فى حـمى ملككَ أضـحى أزليُّ الخـفـقـانِ

ناغمَ الضجة كمْ أشجىَ الليالى وشجانى ..

أنتَ سـاقـيـه وسـاقى عـصـرهُ ظلُّ الأمـانِ

أنت منْ وقّـى مـغـانيـه غـبـارَ الحـدثانِ

أنتَ فـجـرٌ فى روابيـه سـجـاليلُ المغـانى

أنت صـفـوٌ يهـتكُ السّارى به قلبَ الدخـانِ

أنت أمنٌ فى ليـالـيـه لمذعـورِ الجَنانِ

أنتَ نجـوى كلّ شـاكٍ فـيـه، سلوى كلّ عـانِ

أنت عـزٌّ للذى يشكو تبـاريحَ الهـوانِ

أنت يأسٌ منهُ تُسـتى اليـأسَ أوهامُ الجبـانِ

أنت دنيـا كلّ مـحـرومٍ، ورؤيا كلّ هانى

أنت للداعى نعـيم الله فى البـؤسى يدانِ

أنت للوادى غـدٌ منْ فـاله بشـرُ الأوانِ

لكَ طارَ النيلُ حـتّى غـارَ منهُ المشـرقـانِ

فـافـرعِ الأنجمُ بالوادى وطرٌ فى كلّ آنِ

فلكَ أنتَ عليـه عـبـقـرىُّ الدُّورانِ

فى شـبـابِ الملكِ أرهبتَ سكونَ الصـولجـانِ

وضـممتَ الشّعبَ قلبًا واحدًا فى المهـرجـانِ

○ بَيْنَ يَدَيْ المليك ○

«لقد نال الشعر شرف الإنشاد بين يدى صاحب الجلالة الملك الله فى احتفال الجمعية الخيرية الإسلامية بدار الأوبرا الملكية مساء ديسمبر سنة ١٩٣٧م فألقى الشاعر هذه القصيدة التى نالت الرضا العالى، فأمر أعزه الله بدعوته إلى المقصورة الملكية وتفضل حفظه فصافحه بيده الطاهرة مبديا إعجابه السامى وتقديره الكريم».

نُورانِ . . نـــورُ هُدًى، ونـــور تـــيَمُّـــمِ
سطعـــا، فـــراح الشـــعـــرُ يمنَطِعُ من فَمِى
فـــهـــتـــفْتُ: يا دُنْيـــا الملائكِ طهِّرى
وَتَرى، ومِنْ آيـات وحـــــــيْكِ ألْهِمِى
هاتى لِىَ النَّغَمَ الجـــديد، بغـــيْره
مـــا اهْتـــزَّ للشـــعـــرَاء ســـمْعُ الأنجُمِ
هاتى فـــإنَّ بعـــرش مـــصْـــرَ مُلْكًا
تاجُ الـعـــصـــورِ بمثْله لَمْ يَنعـمِ
أوْحَـى . . فـرُحْتُ إلـى الخـمـائل هاتفًا :
هـاتى الشَّذَا مـن زهْرك المتـــبـــسِّمِ

فُضِّي لحُونَ الطيرِ من لَهَواتِها

ومُرِي اغانيها تَرِنُّ بمِرْقَمي

ودَعي الصباحَ ونورَهُ، ودعي الضُحَى

وعبيرَهُ ينسابُ طُهْرًا في دَمي

إنّي ساهتفُ للمليكِ بآيةٍ

بَيْضَاءَ مثلِ جبينه المتَوَسِّمِ

مَوْلايَ! فاهتزَّ الوُجودُ مهلّلاً

طربًا، وإنْ لم يَشْدُ او يتكلّمِ

مَن رامَ تغريدًا بظلّكَ فليكُنْ

لبَلابلِ الخُلْدِ السواجعِ يَنتمي

اللهُ أكبرُ! ما لسَمْعِك هزّةٌ

بسِوَى حمامِ الجنّةِ المترنمِ

* * *

«فاروقُ» حُبُّك في القلوبِ عَقيدةٌ

أخذتْ سُراها في القلوبِ مع الدَّمِ

فَسَمَتْ مع الإيمانِ قَدْسَ مكانِهِ

في الروحِ، وهْوَ لغيرِها لم يُقسَمِ

الشرْقُ يقرأُ في جبينِك آيةً

فَجْرُ الربيعِ بنُورِها لم يُوسَمِ

النّيلُ فسّرها له مُتَخايلاً:

هذي منارةُ كلِّ قلبٍ مُظْلِمِ

فيها عزاءُ الشرقِ عنْ آلامِهِ
ومُناهُ بَعْدَ أسىً وطولِ تجهُّمِ
اللهُ سطَّرها لتاريخِ الحَمى
بُشْرَى وثُوبٍ للعُلاَ وتَقَدُّمِ!

* * *

يا عاهلَ الإسلامِ كرِّمْ عصرَهُ
وأنِرْ به حَلَكَ الوُجودِ المُعْتِمِ
ألْقَتْ إليكَ يدُ الحنيفِ زمامَها
فأقلْتَ عثْرَتَها، وقلتَ لها اسْلَمى!
وبَعَثْتَ عهْدَ الراشدين بصَوْلةٍ
شَرْعُ السماءِ بها حديدُ المِعْصَمِ
فرعَيْتَ عزَّ الصَّوْلجانِ ومجدَهُ
وخَطَرْتَ في وَرَعِ النَّبِيِّ المُلْهَمِ
وحمَلْتَ مِسْبحةً كأنَّ مَدارَها
فَلَقُ الهُدَى للحائرِ المتبرِّمِ
حَبّاتُها فِلَذُ القلوبِ خواشِعًا
عطَّلْنَ باللثَماتِ آمالَ الفَمِ
نَسَقٌ من المُلْكِ انفردتَ بعزِّهِ
لِسواكَ في التاريخِ لم يتقدَّمِ!

* * *

فى دَوْلَةِ الإحسان قامَتْ عُصبةٌ

للخيْر فى جَنَبَاتِ عرْشِكَ تحتمى

تاسو إذا جَرحَ الزَّمانُ، وتنبرى

قَدَرًا يُكفكف دمْعةَ المتيتم

كم ثاكلٍ ردّتْ فواجعَ قلبها

نِعَمًا وأسبغَتْ النعيمَ لأيِّمِ

ستّارة الأعْراض يقْمُرُ جودُها

ليلَ الحرائر فى بياضِ الأنعُم

وترابُها للمعوزين غرائسٌ

للقُوت، تثمر فى خريف المُعْدِم

تُعطى ولا مَنٌّ يشوبُ عطاءها

وتجودُ جودَ العدْل للمتظلّم

مِنّ تدبُّ إلى النفوس خفيّة

يجرى بها قَدرُ الإله المُنعِم

فكأنها الأحلام تهبط فى الدُّجى

للبائسين بخَشْيةٍ وتحرُّم

شَرَفُ العطايا أن تُزَفَّ وحيدةً

كالسّر بين تخفُّرٍ وتحشُّم

هى كعبةٌ ـ للبؤس من إحسانها

بِشْرُ النبات بغَيْثه المتَرحِّم

للعلم فى أكنافـــــهـــــا رىُّ النهى

ولشكـــوْةِ العِـــلاَّت بُـــرْءُ المسْقَـمِ

مَـــولاىَ .. أسْعِدها بنُورك إنهـــــا

بهُداك تفـــرعُ ســـابحـــاتِ الأنجمِ

هِمَـمٌ ســبـقن خُطَـى الزمـان بعَزْمَـــةٍ

أوْقَدْتهـــا ســـبْقَ القـــضـــاءِ المبْـرَمِ

هتـفَتْ بـك الدنيـا فـردَّ هتـافـهـا

شَعْـــبٌ يُفـــدَّى بالقلـــوبِ وبالـــدَّمِ!

○

○ تغَريدة فِى سَماء عَابدينْ ○

وهذه تغريدة الشاعر فى سماء عابدين بين يدى حضرة صاحب الجلالة مليك مصر المعظم (فاروق الأول) فى الحفلة الساهرة التى أقيمت بقصر عابدين الميمون ليلة ٢٣ يناير سنة ١٩٣٨ ابتهاجا بالزفاف الملكى السعيد، إجابة لرغبة سامية من جلالته أعز الله به دولة الأدب.

لحن الزفاف

شُـــــدِّى المـزاهِرَ فـى الْقُلـوب .. ورَتِّلـى

نَغَمَ الســـمـــاءِ لعَرْشكِ المتـــهـــدِّلِ

واســـــتَلْهِمى طيْـرَ الجِنَـان غِنـاءَهُ

وصـــفـــاءَ ملعـــبِهِ بشطِّ الْجَدْوَلِ

وإذا الخـــمـــيلُ سَجَا ورفْـرفَ طيْـرُه

هـاتـى مـنَ الْفـــــردَوْس أرْخَـمَ بُلبـلِ

ودَعـــيـــه يصـــدَحْ للمليك بآيـــةٍ

عُلْيـــا .. لغَيْـر جَنانه لـم تُرسَـلِ

يا مصرُ عرشُكِ فى المباهج رافلٌ

فردِي النعيمَ بشاطئيْه وأرْفُلى

حُورُ الفرادس ينتظرْن.. فأسْرعى

لصَباحهِنَّ وبشْريهِ وَهَلّلى

واستوْقفِى رَكْبَ المْلائكِ، واهتُفِى

للشَّمْسِ: هَلَّتْ شمْسُ «مِصرَ» فأقْبلِى

وتَزَوَّدى منْ طُهْرِها وَسَنائها

زادَ الأشعةِ قَبْلَ أن تنتقِلى

* * *

«فاروقُ» نَجْمُكَ فى الْبَشائر سابحٌ

فَقُدْ العصورَ بنُور مُلكِكَ واعْتَلِ

واسكبْ على الأيام مما نلتَهُ

بِشرًا يصفِّقُ كالرَّحيق السَّلْسلِ

ذَهَبتْ تَسيرُ وراءَ عصرِكَ خُشَّعًا

تَقْتاتُ مِنْهُ أمانىَ المسْتَقبلِ

مَوْلاىَ دَعْها ترتَوِى مِنْ شاطىءٍ

فى ظلِ تاجكِ عَبْقَرىِّ المنهَلِ

أنتَ الأمانُ بها لكل مُحيَّرٍ

وبِشارةُ الدُّنيا لكلِّ مؤَمِّلِ

* * *

«فـــــاروقُ» حُبُّكَ آيـــةٌ عُلْويـــةٌ
نـزلـتْ مـنَ الأرواحِ أقـــدَسَ مَنْـــزِلِ
الله ألهـــمَهَا لشـــعـــبكَ شـــرْعَـةً
كـــالوَحْيِ يُلهَـــمُ للنبِـيِّ المرْسَـــلِ
حُشِدَت بساحـــتكَ الجـــيُوشُ بِمـــثْلهـــا
«رَمـــسِيسُ» لـــم يَخْطِـــرْ بأعظـــمِ جَحْفَـــلِ
فـــاهْتـــزَّ أجنادُ الملائكِ فـــرحـــةً
وســـــــرَوْا إلـــيك بـحَيْرةٍ وتـأمُّلِ:
لِمَ هـذه الأســـــيَافُ حَوْلك والظُّبَـــا
والله فـــوقَكَ حـــارسٌ لـــم يَغْفُـــلِ؟
هِيَ للحِمىَ والعَرْشِ نصْـــرٌ خـــالِدٌ
لمحتْ بشـــائرَهُ يمـــينُ الصـــيْقَلِ!

* * *

هَتَفَ البـشـيـرُ بيـوْمِ عُرْسِكَ . . فـانبـرَتْ
زُهْـــرُ الـكـواكـبِ فـى بُرُوجـك تَجْتـلـى
وأطلَّتْ الأهـرامُ تشـــهَدُ مـــوكـــبًا
«خـــوفـــو» يمـــثـــلِ عُـــلاهُ لـــمْ يتنقَّلِ
أرْواحُ شـــعـــبِكَ حـــائمـــاتٌ فـــوْقـــهُ
ينْهـلـنَ سَاكـبَ طهْرِهِ المتـــــسلسِلِ
خَشَعتْ كـــمـــا خـــشَعَ الحـــمـــامُ، ورتلَتْ
دعَواتهـــا كـــبُغـــامِهِ المتـــرسِّلِ

وأتتْكَ ضافيةَ الحَنانِ كأنّها
أسرابُ طيرٍ يستبقْنَ لجدْوَلِ
فرويْتَ غُلّتها، وكنْتَ لِقلبِها
بُشْرَى المنى لليائسِ المتعلّلِ

* * *

يا فرْحةَ الأوطانِ طُفْ بزمانِها
بُرْءًا يطوفُ بالسّقامِ المعضِلِ
رُدَّ الأسى عنها كما رَدَّ السّنا
فى الفجرِ غاشيةَ الظلامِ المسبلِ
وانشرْ هُداك على مفارقِها كما
نشرَ السنا فلَقُ الصبّاحِ المنجلى
وأعِدْ لها التاريخَ أصيدَ شامخًا
يُزْهَى بتاجِكِ فى الزّمانِ المقبلِ
أنتَ المنارةُ فى دُجَى أيامِها
والغَوْثُ عندَ الحادثِ المتبدّلِ!
زَفّتْ إليكَ الحورُ أطهرَ ما برَتْ
فى خُلدِها كَفُّ الألهِ المُفضِلِ
طُهْرُ المَلائكِ نشْرَتُهُ هالةٌ
شمْسُ الربيعِ بنُورِها لم تنْجلى
الخُلدُ عطّرَها بأطيبِ زَهرةٍ
نبتتْ لديهِ بشطِّ أعذبِ منهلِ

والفجرُ زَفَّ لها عرائسَ حُلْمِهِ
يَخْطُرْنَ بَيْنَ تبسُّمٍ وتهلُّلِ
والتاجُ ظللَّها بأروعِ مَوْكِبٍ
بَهِجٍ، يعزُّ الصولجانِ مسرْبِلِ
فأتتْكَ مُشْرِقةَ الجلالِ كأنها
تهليلةُ الفردوسِ للمُتبتِّلِ
نصرٌ يُزَفُّ! وفرحةٌ أبديَّةٌ
تهتزُّ حولَ ركابكَ المتنقِّلِ

* * *

«فاروقُ» ليلتُكَ الخلودُ فقلْ لها:
زُفِّي الخلودَ إلى الحمى وتمهَّلي
كادتْ لها الأفلاكُ تحشُدُ موكبًا
وتسيرُ خلْفَ ركابكَ المتهلِّلِ
بيضاءُ أترعتِ النعيمَ بظلِّها
ونسختْها للدهرِ أقدسَ مِشعلِ
سَجَدَ الزمانُ لها، وأقسمُ خاشعًا
باللهِ يا بيضاءُ لا تتعجَّلي
طالَ انتظاريَ منْ عوالمِ «آدمٍ»
لأراكِ: فانتظمي النُّجومَ، وأقبلي
وتخطَّري.. فبمثلِ نوركِ ما زهتْ
أعراسُ «قيصرَ» في الزمانِ الأوَّلِ

يا عـــاهلَ الشـــرْقِ اصطفَاكَ زمـــانُـهُ

لتكون للاســـــلامَ أكـــــرمَ مَوْئـــلِ

لكَ فى بُيـــــوتِ الله أرْوَعُ سَجْـــدةٍ

سطَعَتْ قـــداســـتـــهـــا بريح الصَّنْدَلِ

مَشَتْ الخـــلافـــةُ نحـــو عـــرشِكَ تبـــتـــغى

للشـــــرْقِ والإســـــلام كلُّ مُومَّـــلِ

مـــولاىَ! قُدْها فى حـــمـــاكَ إلى ذُرَا

عَصـــرٍ بســـيفِ الراشـــدين مُظَـــلَّلِ

واســـمعْ نشـــيـــدَ الرُّوح منْ مـــتـــرَنِّمٍ

طيْرُ الخلود بســـحْره لم يَهـــدِلِ

أشـــجَاكَ تغـــريدى .. فـــهـــاكَ مـــلاحنى

هـــتـــفَتْ بوحْىٍ من سنَاك منـــزَّلِ

للشـــاعـــرينَ بلاَغـــةٌ فـــضْفَاضـــةٌ

حُشـــدَتْ بلفْظٍ فى الحلُوقِ مـــجلْجِلِ

وأنا الذى شِعْرى نُفـــاثةُ مُهـــجـــتى

سُكِبَتْ جَدَاولهـــا بهـــمْسِ السُّنبلِ

يوْمَ الفـــخـــارِ سنلْتَقى .. أنـــتَ العُـــلاَ!

وأنا الصَّدَى فى ظِـلِّ عـــرْشِكِ! فـــاصْغَ لى!

○

○ يَـوْمُ التَّـاج! ○

شـــاديكَ منْ قَصَبِ الْفـــرادِسِ نايُـهُ
ومـنَ الـسَّنَا والـطـيـبِ عُـلَّ غـنـاؤُهُ
ومِـــنَ الـصَّبَا نَهـلـتْ ظِـلالَ أراكَـةٍ
سَجْـــواءَ، نافـــجُهَا غـــفـتْ أنـداؤُهُ
ومنَ الطَّفَاوَةِ فى أصـــيـل خـــاشعٍ
ســـجـــدتْ على زهر الربا أضـــوَاؤُهُ
ومـــن الأغـــانى البـــيض رَنَّـــم لحنَهـــا
مَلَكٌ تـرقْرَق فى النُّجـــوم دعـــاؤُهُ
ومنَ المساجـــدِ هَيْنَمت تحت الدُّجى
صـــوُفـــيُّهـــا نهلَ الغـــيُوبَ صـــفـــاؤُهُ
ومنَ الشُّعـــاع المسْتَهـــام بقـــبْلَةٍ
فى الـنـيـل طـهَّرهـا هَوَاهُ ومـــــاؤُهُ
ومنَ السنَّا الرقـــرَّاق فى قَدَح الضُّحَى
أغْـرَى النديم فـــوَلْوَلتْ صَهـــبـــاؤُهُ

ومنَ الطّلاسِم قــــد زَوَى أرصـــادَها

هـرَمٌ أشَابَ الخـــالدينَ فَتـــاؤُهُ

ومـنَ الهُدَى فـى ظلِّ عـــرشكَ خَلْتُه

أقـبـاسَ وَحْـيٍ هـلَّ منـكَ سنـاؤُهُ

سَجـداتُ وجـهٍ مُشـرقٍ نضحَ التـقى

فى كلِّ مـا لَمحتْ به سـيـمـاؤُهُ

لوْ رآهُ عـــانى المجُوس تخـــشَّعَتْ

للنَّار منْ غىِّ النُّهى أعـــضـــاؤُهُ!

لانْحـــازَ فـى ركـب النـبى، ونـارُهُ

نـورٌ تـدفـق فـى الـصَّلاة ضِيـــاؤُهُ

ومن الهـــوى أوْراه حـبُّك جـاحـمًا

أشـــهىَ مـن النَّسم الرَّطيب صِلاؤُهُ

يَسْرى لـظـاهُ بـكـلِّ مَسْبـحٍ ذَرَّةٍ

فـيَكادُ يُشـعَلُ منْ هَوَاكَ فـضَاؤُهُ

أنَّى حللْت نسـخْتَ تربْكَ مـعـبـدًا

تَخـضَلُّ من عَبق المنى أرْجـاؤُهُ

وَقـفَ المغَنِّى فـى حِمـاكَ مَجلْجِلاً

بـاللحـن تخـفُقُ فـى الورَى أصْداؤُهُ

فـيـه من الأقْدار وَهْلَةُ غـيْبِهـا

خـبـأتْهُ عن لَمعُ الحِجـا أطْواؤُهُ

ومنَ الكتائب أرزَمتْ أسلاتُها

صخبٌ يزَمْجرُ بالفتوحِ نداؤُهُ

ومنَ المواكبِ هَوْلُها في فَيْلقٍ

نَشْوانُ في يَوْم الفَخَار لواؤُهُ

ومن الجِنان الفيح همْسُ ظلالها

ريَّا النثار على الرُّبى بَيْضاؤُهُ

رَجَزٌ بأرغُولَ الزَّمان شدا بهِ

لما خطرْتِ صَباحُهُ ومَسَاؤُهُ

حتى إذا دَوَّى بيَوْمكَ هاتفٌ

أسْنَى الليالي بالمُنَى بُشَرَاؤُهُ

وانهَلَّ من جنبَاتِ عَرْشكَ سيْكَبٌ

طُهْرٌ يموجُ على الحمى لألاؤُهُ

وأذعتَ من حُجُراتِ مُلْكك في الضحى

قسمًا أعزَّ النيل منكَ وَلاؤُهُ

قصفَ المغنِّي عُودَه ومَضى الصَّدَى

خَجْلانَ يَنْتهبُ الأثيرَ حيَاؤُهُ

يُصْغى! ويُرْغِن خاشعًا! ويكادُ مِنْ

نَدَمٍ تردُّ لهُ اللحونَ جِوَاؤُهُ

أُنشودةُ «الفاروق» هَلَّلَ شدْوُها

ماذا سيُنْشِدُ بعدَها شعراؤُهُ.!

هىَ فى فم الدنيا حديث خالدٌ
حَدَرَتهُ من شفةِ الغيوبِ سماؤُهُ
الله طهَّرَهُ وسَلْسَلَ نبرَهُ
جَامًا يُعَلُّ بقُدْسِهِ ندَماؤُهُ
أوْرادُ نُسَّاكٍ، وجرسُ مآذنٍ
تكبيرُهَا عَمَرَ القُلوبَ دُعاؤُهُ
وحَفيفُ أذْعِيةٍ، وهَمسُ ملائكٍ
بالوَحْى يلْهِمُ غيبَهُ رُسَلاؤُهُ
دعْنى من الأشعارِ مهْما سقْتُها
إعجازُ جنٍّ زمزمتْ أفْناؤُهُ[1]
منْ كانَ هذا الطهرُ فيْضَ لِسانِهِ
فالشِّعْرُ فيه أعاجمٌ أمراؤُهُ!

* * *

أوْفَى على الشطِّ الظليلِ بزَنْبَقٍ
خَضِلِ النسائمِ بَرَّةٍ أفْياؤُهُ
يَنْسَابُ كالإيمانِ وَشْىُ سِتْرِهِ
نورٌ يَشُفُّ سَنَا العُيونِ بهاؤُهُ
مُتَخَشِّعٌ للهِ فى نظراتِهِ
تَسْبيحُ صَمْتٍ زانَهُ إغضاؤُهُ

(١) جمع فزء، وهو جماعة الجن.

ولصَوْلَةِ التَّيْجَانِ فى قَسَمَاتِهِ
مَعْنىً يفسِّرُ كُنْهَهُ إيماؤُهُ
مَلِكٌ أَهَلَّ عَلَى الحِمَى فَارتجَّ مِن
طَرَبٍ، وكَبَّرَ روْعةً أحياؤُهُ
شَقَّ الضحَى بِرِكَابِهِ فكأنَّهُ
(رَمْسِيسُ) تزأرُ فى الضحَى هَيْجَاؤُهُ
بُعَرَامِ قَسْطَلَةٍ وَضَجَّةِ فَاتِحٍ
أذكى حماسَ الهالكين لِقَاؤُهُ
وكأنما فُرْسَان (طيبةَ) جَلجلَتْ
فى ساحِهِمْ. من فرحةٍ. أنبَاؤُهُ
فتقلَّدوا أرماحَهُمْ وقِسِيَّهُم
ومَضَوْا ليومٍ أرجفَتْ غَبْراؤُهُ
شَقُّوا غُبَارَ الدَّهرِ من أرماسِهِمْ
وَسَبَتْهُمُ. فتخطَّروا. خُيَلاؤُهُ
شَدَهَتْهُمُ تلكَ الحمَائلُ والظُّبَا
غُرُّ السلاحِ عَلَى الأكُفِّ وضَاؤُهُ
نشْوَى عَلَى الأجيادِ طرَّبَ سمعَهَا
قَصْفُ المدافعِ زُلزِلتْ أرْجَاؤُهُ
وَشَدَا لها فى الجوِّ لحْنًا صاخبًا
فَلَكٌ من الغُولاذِ ضجَّ فِنَاؤُهُ

سِرْبُ النسورِ السابحاتِ خِضَمُّها

ذرُّ الأثيرِ تلاطمتْ أرجاؤهُ

نظروا إلى تلكَ المواكبِ جيَّشتْ

حشْدًا من الأرواحِ ضاقَ خلاؤهُ

أممٌ! وآجالٌ! ودُنيا كلُّها

رَصَدٌ لمنارٍ لا يُمَلُّ رواؤهُ

سَدِكتْ[1] به الأبصارُ حتى لو ثنتْ

إنسانُها لارتدَّ فيهِ عَماؤهُ

ولو أنَّ أواهُ الخلائقِ هادنتْ

خفْقَ اللسانِ لَمارَ فيهِ هُداؤهُ

ورَأوْا بَيارقَ رفرفتْ مخضوبةً

بدمِ الفخارِ زها بهِ شُهداؤهُ

خيلتْ كتابَ المجدِ نُشِّرَ للورَى

رُقِمتْ هِلالاً مُشْرِقًا طُفَرَاؤهُ

فتساءلوا: ما النِّيلُ؟ ما أفراحُهُ؟

ما يومُهُ؟ هلْ كُشِّفتْ بُرَحاؤهُ؟

ستِّين عامًا في القيودِ مصفَّدًا

يجْرِي ويصرُخ في الشطوطِ ظماؤهُ

---

(١) علقت به بشدة ولازمته.

هـيّا إلـى كُهّان (مَنْفَ) لـعـلـهـم

كَشَفـوا الذى أعـيّا العـقـولَ خَفَاؤهُ:

وَإذا (بخـوفـو) فَضَّ أخْتـامَ البِلىَ

وَالسـرُّ لـم يَعـثُرْ به حكمَاؤهُ

هـذا هـو الملكُ الذى بيـمـينه

وَجـبـينِهِ أمَلُ الحـمَى ورجـاؤهُ

عـرْشٌ يُحـاك الفـجْرُ من هـالاتِه

فـيَروحُ ينتـضحُ السَّنا إمـسـاؤهُ

لا المُلْكُ فـى أبـراج (تَدْمُر) حـازه

يـومًا! وَلا حَظِيـتْ بـه (زَهْراؤهُ)

الشـرقُ، وَالوَادى الأبىُّ، وشـعْبُهُ

والنيلُ، والهـرَمُ العـتـيـدُ . . فِداؤهُ

حَضَنَ (الحنيـفـةَ) فى حِمـاهِ وَصـانهـا..

أقـسَمْتُ يـا (قُرآنُ) منـكَ ضِيـاؤهُ

خَشَعَ الحَمـامُ[1] علـى وَشـائع خَزِّه

يـا قُدْسَ مـن خَشَعَتْ لـه وَرْقـاؤهُ!

أوْدَى (سُلَيْمَانٌ) فـصـار بُغـامُهُ

نَوحًا! وجـئتَ فَلَـذَّ فـيكَ غنـاؤهُ

---

(١) إشارة إلى حمامة الموكب التى لاذت بالعربة الملكية فى مهرجان التتويج آمنة مطمئنة كأنها من حمام سليمان عليه السلام..

من عَهدِهِ هَجَرَ العِشاشَ مُشَرَّدًا

حتى رآك فأُسْبِغَتْ نَعْمَاؤُهُ

حَوَمٌ على «عَبْدينَ» قُدْسَ جَوُّهُ

وَعلى خُطاكَ تخشَّعتْ أبهاؤُهُ

للطَّيْرِ آناءٌ يُحَرَّمُ صَيْدُهُ

فيها. وطيْرُكَ خُلِّدَتْ آناؤُهُ

لمّا رَأى قُدْسَ النبيَّ وَطُهْرَهُ

فى وَجْهِكَ الميْمون طابَ ثواؤُهُ

فجثا وكَبَّرَ فى ذَرَاكَ مُرنِّمًا :

مِلكَ الوَرَى والطَّيرُ عزَّ عَلاؤُهُ

* * *

مولاىَ! إن تَرنُّمى سِحْرُ النهَى

فاطْرِب! فمنكَ خيالُه وَبهاؤُهُ

يا ليتَنِى مثلُ الحمامِ بظلِّكم

شادٍ يَرِفُّ مِنَ الخلودِ هواؤُهُ

حتّى أُرَقْرِقَ فى النَّعيمِ مَلاحنى

وأُذيعَ إعْجازًا خَبَتْ أصْداؤُهُ!

○ عَرشُ يتهادى على النيلِ ○

«أهل ذوق» على مروج الصعيد يوم حف ركابه العالى على النيل فى رحلته الميمونة عام ١٩٣٦م. فكان وحيا لهذا النشيد.

مَنْ انطقَ النيلَ بسحر البيانْ ... فظلَّ يشدو بين تلك الجنانْ!

يُزجى الترانيم.. فتُشْجى الصبا ... وينتشى من كاسها الشاطئانْ

وترقُص الأدواحُ فى مَرجه ... شكْرَى تحيِّى بالغصون اللِّدَانْ

يَنهَلْنَ فى الأسحار جام الندَى ... وفى الضحى يخطرنَ بالأرْجُوان

عرائسُ الفردَوس مَخْدورةً ... وهُنَّ سِحْرٌ سافرٌ للْعَيَانْ

إذا سَواجى الريح مرَّت بها ... تهزج بين الطَّلح والسُّنْدِيانْ

وساجعات الريف زفَّت لها ... نواعمَ اللحن من المَيْسَبان

فقُل «لداود» ومزمارِه: ... هذا هوَ التسْبيحُ يا عابِدَان

وموجُه فوق الثرَى شاعر ... ألحانُه عن خافقى تَرْجمان

وقفتُ فى الشاطىء أهفو له ... مُطَيِّر الحسِّ. طروبَ الجَنان

أشْدُوا وَيشدو. والضُّحَى سامع ... كأننا فى أيْكِه بُلْبُلان

تطارَحا نجوَى الهوى فرحةً ... فرُتِّلتْ فى صمْته آيتَانْ

وإذْ بِمَلاحٍ هَتُوفِ الصَّدَى ... يُومِي بِخَفْقِ الرُّوحِ لا بِالبَنَانْ

العَرْشُ جَلاَّهُ رِكَابُ الضُّحَى ... فَكبِّرا للنُّورِ يا شَاعِرانْ

فَخَرَّتِ الأَمْوَاجُ قَدِيسَةً ... جَاثِيَةً فِي الرَّمْلِ فَرْطَ الحَنَانْ

وَرُحْتُ مِن رَوْعِ السُّنَا خَاشِعًا ... كَأَنَّنَا فِي مَسْجِدٍ نَاسِكَانْ

نَدْعُو وَتَدْعُو مِصْرُ مِن خَلْفِنَا ... والنِّيلُ، والأَهْرَامُ، والمَشْرِقَانْ:

رَعَتْكَ يَا «فَارُوقُ» عَيْنُ السَّمَا ... وَعِصْمَةُ اللهِ.. فَسِرْ فِي أَمَانْ!!

* * *

فَسَارَ والشَّمْسُ جَلالاً لَهُ ... تَخْضِبُ رَاحَ النِّيلِ بِالزَّعْفَرَانْ

وَتُلْبِسُ النُّوْرَ بُرُودَ المُنَى ... رَوْعَاءَ لَم تَنْسِجْ حُلاَهَا يَدَانْ

والنَّخْلُ لَمَّا شَعَّ فِي ظِلِّهِ ... لَمَّحَ سَرَى مِن نُورِهِ إِصْبَهَانْ

رِيعَ .. ولو يَسْطِيعُ مَدَّ الخُطَا ... لَزَاحَمَ النِّيلَ لَهُ مَوْكِبَانْ

وَسَارَ خَلْفَ الرَّكْبِ مِن فَرْحَةٍ ... أَغْرَتْ بِهِ فُرْقَةَ هَذِي الجِنَانْ

يَشْرَعُ مِن أَغْصَانِهِ رَايَةً ... وَمِن أَوَاسِي الجِذْعِ حَدَّ السِّنَانْ

وَيَقْتَدِي حَيْشًا يَهُزُّ الوَرَى ... يَحْرُسُ عِزَّ المَلِكِ والصَّوْلَجَانْ!

* * *

جَبَابِرُ الأَهْرَامِ خَفُّوا لَهُ ... جُنْدًا مُشَاةَ الدَّرْعِ والطَّيْلَسَانْ

لَم تُغْنِهِم رَوْعَةُ تِيجَانِهِم ... فَوُشِّحُوا بِالطَّلِّ والأُقْحُوَانْ

وَاقْبَلُوا فِي مَوْكِبٍ حَاشِدٍ ... «خُوفُو» و«رَمْسِيسُ» لَهُ قَائِدَانْ

كَأَنَّهُمْ مِنْ فَرْحَةِ المُلْتَقَى ... قَد عَجِلُوا لِلبَعْثِ قَبْلَ الأَوَانْ!

و(طِيبَةٌ) سَارَتْ بِتَارِيخِهَا ... تَخْتَالُ فَوْقَ النِّيلِ فِي مِهْرَجَانْ

يَصْدحُ «بنْتاءور» فى رَكبها ... مَجلجلاً يَرْهبه الخافقانْ
دَوَّى بفرعَوْنَ قديمًا فما ... أبقَى لشادٍ فى الأوالى بَيانْ
وعادَ للنيل بقيْثارةٍ ... محطومةٍ جفتْ عليها اليدانْ
وحين شامَ العرش فى لجّه ... والطيرُ والناسُ له هاتِفانْ
وَطلعة «الفاروق» تندَى سنًا ... يغارُ من بهجته الفرْقدانْ
هلَّتْ على آثارهم فى البلى ... فأشرقتْ للعينْ رَيَّا الدهانْ
ولو هفَت مرّاً لتابوتهم ... وخاطبتْهُ: كن حياةً! لكانْ ..
فعاوَدَ القيثارَ.. تُوحى الصَّدَى ... معربدًا يُسكِرُ بنتَ الدنانْ
وراحَ يلْقى سِحرَهُ للوَرَى ... يصغى إليْه كل إنْس وجَانْ..
عرْشٌ لفاووق أنَى يومُه ... وكان صمتًا منْ قديم الزمانْ

* * *

«فاروق» ! حيَّاكَ شبابُ الحمى ... وعشتَ فخرَ الشرق فى كلِّ آنْ!
وافاكَ عفًا من حِمَى عبقَر ... . يكاد يسْرى بصداه الأذانْ .
شِعرى من الأحشاءِ يجرى دمًا ... وشعرُ غيرى من حواشِى اللسانْ
ما كلُّ من غنَّى! فشتان ما ... لحنٌ من الله، ونقْرُ البنانْ!

○ ميلادُ الفاروق ○

بُلْبُلٌ مِنْ عَرائشِ الخُلْدِ طائرْ
غَمَرَ الكوْنَ مَجْمَعُهُ بالْبشائرْ
طهُرَتْ لحنُهُ السماءُ، وَقالتْ
لطيورِ الجِنانِ : هاتِي القيائرْ
وَالْبِسِي من ضُحَاكِ أجْنحةَ النُّو
رِ، وفُضِّي عبيرُهُ في الحناجرْ
قد جَعَلتُ الأمانَ مستَرَاكِ، فَامْضِي
فِي سَلامٍ، رَعتْكِ عَينُ المقادرْ
وانْشُدِي فِي متابِحِ الكوْنِ عَرْشًا
لمْ تحزْ مثلهُ بروجُ القياصرْ
وَإذا مَا لمحْتِ سدَّتَهُ العُلْـ
ـيا، وَنَادَتكِ من حماهُ المفاخرْ
فَاهبطِي فِي ظِلالِهِ، وتَغَنَّيْ
وانْهلِي العطرَ مِنْ جُيُوبِ الأزَاهرْ

واسكبى الشعرَ منْ لهاتكَ سحرًا

لم تلقنْهُ قُدْرَتى أىَّ سَاحرْ!

* * *

فانبرَىَ الطَّائرُ البشيرُ إلى الأرْ

ضِ يُباهِى بسربِهِ كلَّ عابِرْ

سألتهُ النجومُ: أيانَ تمْضى؟

وَإلى أىِّ جنَّةٍ أنتْ طائرْ؟

عُشُّكَ الخلدُ! والملائكُ فيهِ

منْ أغانيكَ رَاقصاتٌ سواكرْ

فَعلامَ انتهجْتَ سيْرَكَ للأرْ

ضِ، وخلَفْتَ عشْكَ اليومَ حائرْ؟

قالَ: كُفِّى الْملامَ! إنى بشيرٌ

بصباحٍ للشرْقِ أبيَضَ زاهِرْ

فَدعينى أزُفُّ بُشرى هِىَ النُّو

رُ تَهادَى شُعَاعُهُ للنواظرْ

جَنَّةُ النيلِ أسْعدَتها يدُ اللهِ.

. بِيَومٍ كضحْوة الخلْدِ سَافِرْ

عَبقرِىُّ الضياءِ تعْشَى بِهِ الشمْـ

ـسُ وَيَرتدُّ طرْفُها عنهُ حاسِرْ

شدَّهُ الغيبَ فاستسرَّ لنَجوا

هُ، وراعَ النهَى، وَهَاجَ السرائرْ

سَجَدَت خلفَهُ العُصور جلالاً

كلُّ ماضٍ، وكلُّ آتٍ وحاضرْ

والمحاريبُ كَبَّرَت، وَتنادَت

بجلالِ الأذانِ بيضُ المنائرْ

وَالهدَى فى مَسَاجدِ اللهِ أضحَى

يسكبُ البشرَ فى حواشى المنابرْ

والْفراعين أَوْشكوا حينَ شقَّتْ

مَوْجةُ النُّور خطْوَها فى المقابرْ!

فى هُدُوءِ البلَى يقيمونَ عُرسًا

لم يُقمهُ فى الأرْض أبهجُ منامرْ

عاجَلوا البعثَ واستَطارُوا من الْفَر

حَة سارين فى الرُّبَى والْمخَاضِرْ

وشَحُوا النخْل بالضياء، وشدّوا

من خيوط الأنسَام قَلْبَ المزاهرْ

وَمَضَوْا يهْزِجُونَ، وَالْفَجرُ صاحٍ

وَحمامُ الرَّبيعِ نَشْوانُ ذاكِرْ

وَعَلَى سُنْبل الْحقُولِ صَلاةٌ

ذَابَ فى صَمتها صَفيرُ الغَنابِرْ

وَالسوَاقى مُزْغردَاتٌ ولكن

بعد، طال نوحُهَا فى المقَابرْ

شـــابَ فى مـــرْجـــهـــا الأنين، فـــردَّتْ

ـهُ خُلُودًا منَ الأغَانِي الســـوَّاحـــرْ

فـــرحـــةٌ هـــزَّتْ الليـــالى، وَســـاقت

بعـــد يأس الزَّمـــان دُنيـــا بَشَائرْ

ســـالتْ (طِيـــبـــةُ) النجـــومَ عليـــهـــا:

أىُّ ركب إلى حـــمى النيل ســـائرْ؟

فـــأجـــابَتْ: ميـــلادُ «فـــاروق» أوْفَـــى

فـــانفُضى خَيْلَةَ المُلُوكِ الغـــوابرْ

واسْتَعـــيدى عُلاك، وازهَىْ على الدُّنْـــ

ـيَا وتيـــهى على جـــمـــيع الْحَواضِرْ

بـــشْرِى الجيـــلَ بـــالمُنـــى، فَهْى لَمْحٌ

مِن جَبـــين المَوْلود يمـــحـــو الدَّياجـــرْ

ملكٌ زفَّ للعـــوالم عصـــرًا

مـــا لأعيـــادِهِ مَدَى الدهرِ آخِـــرْ

خَطْوُهُ رحـــمـــةٌ، ولُقْيـــاهُ سَعـــدٌ

يَعْقـــد اليُمْنَ للجُدُودِ العَوَاثـــرْ

حـــمَلَ السَّيفَ قـــائدًا، وَحـــمَى الدِّيـ

ـنَ إمـــامًا يَصُونُ قُدْسَ الشـــعـــائرْ

قَبَسَ الناسكون من وجـــهـــهِ النُّو

رَ، ومـــن طُهْرِهِ عَبِيـــرَ المجـــامِرْ

حُبُّه أشعَلَ الشبابَ فأضحَى

طَيْفُه بالْجلالِ يذكى المشاعرْ

أوقدُوا الروحَ فى الْمَشاعلِ[1] نورًا

حوّمَتْ فوقه النفوس الطواهرْ

زيْتُها كانَ مِن دماهم، وكانت

حَرَكاتُ الْفَتيل خَفْقَ السرائرْ

وأقاموا بظلِّ تاجكَ عُرسًا

نَقَلَت عِطرَهُ طُيُوبُ المباخرْ

وأذاعُوا النشيدَ تحسَبُ فيه

شُعَلاً مِن صُدُورهم يتطايرْ

قسمًا بالذى رعَاك لَتَحْمِى

(مصرَ) من سطْوة الليالى الجوائرْ:

ما زَها فاتحٌ! ولا اهتزَّ عَرشٌ

لملوك الورى بتلكَ المفاخرْ!

إيهِ مولاىَ! واستمع لنشيدٍ

سحْرُهُ أوْقَفَ الطُّيورَ الْعَوابِرْ

قدَّسَت لحنَه بِسَمعك (عبديـ

ـنُ) فأسرَى إلى الخلودِ وهاجَرْ

---

(١) إشارة إلى مهرجان المشاعل الذى أقامه شباب الجامعة المصرية فى ساحة عابدين ليلة ميلاد فاروق.

نُورُ يمناكَ جدولٌ عَبْقرِيٌّ

فى جنانى مِنْ زَحْمةِ الوَحْيِ ثائِر

تأكل الحاسدين نارُ التجنّى

وأنا من رحيقهِ العذبِ ساكرْ

قسمًا ما شَدَوتُ شعرًا.. ولكن

سقتُ للعرش. فاديًا. قلبَ شاعِرْ!

○ نحن السيوف ○

نشيد وطني

نحنُ السيوفُ المشرعاتُ للعدا ... أرواحنا للنيل والعرش فدا
إذا دعتْ مصرُ رفعنا العلما ... وفي دمِ الأعداءِ خضنا أُسُدا
تَخالُنا الأبصارْ ... زوابعًا منْ نارْ
في ثورةِ الاعصارْ ... وقوةِ الأقدارْ
نحنُ السُّيوفُ المشرعاتْ
نحن الرُّعودُ القاصفاتْ
في الهول لا تخشىَ الدَّمارْ

* * *

أرواحُنا للنِّيل والعرش فدا ... وتاجُ فاروق لنا نعمَ الهُدىَ
أهلٌ بالوادي فهزَّ الهرما ... وأطربَ التاريخَ حتى سجدا
وصاحَ «خوفو» و «منا» ... فاروقُ أحيا مُلْكَنا
نحنُ قهرنا الزَّمنا ... ودانتْ الدنيا لنا
في عزنا، في مجدنا ... لا ترهبوا ريحَ الفنا
في الجوِّ قودوا الطائراتْ

وزمـــجـــرُوا كـــالـعـــاصـــفـــاتْ

وفـــى الـــوغـــىَ هـــزوا الـــقـــنـــا

* * *

إذا دعتْ «مصرُ» رفعنا العلما ... وللعـدا طرنا لهـيـبًا ودمًـا

للقائدِ الأعلى صدقنا القسما ... فى حبِّ وادينا سنمضى شهدًا

نعلو به فـــوقَ الوجـــودْ ... وننبـــرى نحـــوَ الخلودْ

ونتـــركُ الدنيـــا تميـــدْ ... بالنصـــر والذِّكـــرِ المجـــيـــدْ

يـا مليكَ المكرمـــــاتْ

هـاتِ مـــــجـــــدَ النـيـل هـاتْ

وابـعـــــث الـفـــور الجـــــديـــدْ

○ تكلّمْ أيها البحرُ ○

غناءٌ رائحٌ غـــادٍ وقلبٌ ظامىء صـــادِ
وشـعـرٌ منْ فـجـاجِ النفسِ لا يأتى بميـعـادِ
أهيبُ به فـيـرمـيني باغـضـاءٍ وإبعـادِ
واعـشقُ أن اغنيـه فـيَحْطِم كـأس إنشـادى
ويصـمتُ صمـتةَ المسحـورِ فى خفقٍ وإرعـادِ
فـإنْ راودتُه اغـفى وأطرقَ فـوقَ أعـواد
فـرشن لهُ خـمـيلَ المهـد منْ مـهجٍ وأكـبـادِ
ومنْ سـحـرٍ وأسـرارٍ وتسـبـيحٍ وأورادِ
ومنْ وهمٍ عـمـيقِ الخطوِ فى أحـشـاءِ آبادِ
ومنْ حلمٍ كطيـر الحبِّ رفـرافٍ بأعـوادى
ومنْ خـمـرٍ بدنُ الرُّوحِ لم تخلقْ لرُوَّادِ
مـخـتـمـةٍ لأوتارى، مطلسـمـةٍ لأغـرادى ...

* * *

وإنْ خـاصـمـتُه نادى بلا لحنٍ ولا شـادِ
ومـزَّقَ صـمتَ أضـلاعى بإعـوالٍ وإرعـادِ
وبثَّ ناؤُه المنهـوكِ تحتَ سـياطِ جـلادِ ...
حلفتُ لهُ بحقِّ الحبِّ إلا فكَّ أصـفـادى
بحَقِّ الفنِّ ساقيهِ وساقينى الأسى العادى
بحقِّ الليل نقضيهِ بتعذيبٍ وتسهادِ
ونخـيط فى جـوانحـهِ بلا ريٍّ ولا زادِ
سـوى مـا تنفخُ الظلمـاءُ منْ فحٍّ وإبقـادِ!
بحقِّ النيل والمرعى الجميل بصفحةِ الوادى
وحقِّ النغمةِ الخضراءِ لم يظفرْ بها حادِ
تذوبُ لشجـوها القطعـانُ أكبـاداً لأكبـادِ
وتُذهل يقظةَ الراعى بترجـيعٍ وتَرْدادِ..
وحقِّ الزورقِ الحيـرانِ منْ وجدٍ لأسعـادِ
يقلبُه انتظارُ الحبِّ فـوقَ لهيب مـيعـادِ
فيخفقُ خفقةَ المأسورِ بينَ حبال صيَّادِ
بحقِّ الريحِ والملاَّحِ يرقبُ خطوها الهـادى
على أرضٍ منَ الأحلام .. مصرُ لشمسها نادِ
وفـوقَ جـبـينهـا تاجٌ تعلَّقَ نورهُ الوادى
وهامَ بحـبـهِ الروَّاحُ فى الشطين والغـادى
وغنَّى الشَّرقُ حتى ذاب لحناً فى فم الشـادى

بربِّكَ ايها البحرُ! وحولكَ سحرهُ بادِ
تكلمْ، وارو عن فاروقَ، لا تبخلْ بإمجادِ ..
شعاعٌ هلَّ بالوادى، وبشره بميلادِ
وطافَ به مطافَ البعثُ فى جنباتِ رُقَّادِ
فيومًا منهُ للشاكى العليل حنانُ عُوَّادِ
ويومًا منهُ للعانى الفقيرِ معينُ أزوادِ
ويومًا منهُ للسارى الشقىِّ نعيمُ أبرادِ
ويومًا منهُ للسارى الغوىِّ منارُ إرشادِ
ويومًا منهُ للوطنِ الجريحِ زئيرُ آسادِ
ويومًا للشبابِ يقودُ منه خميسَ أجنادِ
تكلمْ ايها البحرُ ... وفوقكَ نورهُ بادِ
عليهِ تهافتوا ومضوا إليهِ مضاءَ عُبَّادِ
ألا يا بحرُ حدثهمْ حديثَ معلمٍ هادِ
أوانُ الحب طاب لكمْ فلا تمشوا بأحقادِ
وكونوا فى سبيل النيل صفًا يصرع العادى
ويزحفُ كالسيوفِ الصيدِ لا ترضىَ بأغمادِ ..

* * *

سلامُ الحُبِّ يا «فاروقُ» بينَ شبابكَ الفادى
حبيبتكَ والهوى كالسحرِ: شىءٌ مضمَّرٌ بادِ
فسقتُ لكَ الغناءَ الحرَّ منْ إعجازِ إنشادى

سُهـوبٌ من صـحـارىَ الفنّ تُغـوى كلّ نقّـادِ
وتصـــرعُ كلّ هاروتٍ لسـرّ الغـيبِ نقّـادا!

○عاش الملك○

[ألقى بين يدىَ صاحب الجلالة الملك فى احتفال نادى فاروق الأول الرياضى بدار الأوبرا الملكية]

نشيد الملك

على راحتيكَ الأمانى تُجابْ
ومنها أغانى العُلا للشبابْ
رأينا سناها كلمعِ الشهابْ
فجئنا كبحرٍ غزيرِ العبابْ

* * *

كأنَّا طُيورٌ كواها الحنينْ
نطوفُ حواليكَ كالعاشقين
نزفُّ الأغانى لسمع الفلكْ
ونهتفُ بالروح:

«عاش الملك»

* * *

افـــاروقُ أنت ربيعُ الحـــيـــاةْ
وانتَ الضـــحىَ كم هدتنا خطاهْ
وانت الحـــمى، كلُّ شيءٍ فـــداهْ
رعـــتكَ وصـــانتكَ عـــينُ الإلهْ

* * *

تقـــودُ الشـــراعَ، وتجـــرى الســـفـــينْ
وتعلو بمصـــــر على العـــالمينْ
وتشـــدو الليـــالى، ويُصغى الفلكْ
ونـهـــــتف بـالـــــروح!

«عاش الملك»

* * *

نفـــخت بنارك عـــزمَ الوطنْ
وابـرائـهُ مـنْ جـــــراحِ المحنْ
وعلّمـــتـــهُ كـــيف يلقى الزمنْ
قـــوىَّ الجنانِ، قـــوىَّ البـــدنْ

* * *

فـــجـــئنا إليكَ نهـــزُّ اليـــمـــينْ
ونقـــــسمُ أنا سنطوى السنينْ
ونعلو بتـــاجكَ فـــوقَ الفلكْ
ونـهـــــتفُ بـالـــروح!

«عاش الملك»

○

من الكلمات الملكية السامية

اقتطف الشاعر من الرسائل الملكية الكريمة التى تفضل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم بتوجيهها فى بعض المناسبات، فقرات خالدة توّج بها بعض القصائد:

	صفحة
من الرسالة السامية التى وجهها صاحب الجلالة الملك إلى الشباب فى أول احتفال تاريخى أقيم بقصر عابدين العامر تكريمًا من لدن جلالته للمتفوقين من طلاب العلم يوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٤٣.	قائد الجيل العلم والشباب المصرى الأول
من الرسالة السامية التى تفضل جلالته بإذاعتها على العالم الإسلامى فى مستهلّ رمضان سنة ١٣٦٤ هـ فى قصر رأس التين العامر يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٤٥.	العدالة الاجتماعية
من الرسالة السامية التى تفضل جلالته بتوجيهها إلى فخامة رئيس جمهورية لبنان فى ١١ نوفمبر سنة ١٩٤٣.	الشرق

الديـوان الرابـع

○ أيـن المفـر ○

الطبعة الأولى، القاهرة، ديسمبر ١٩٤٧

وكلّما نالَ قَيْدٌ
جاءَ قَيْدُ...
ربِّ أين المفرّ!!

محمود حسن إسماعيل

١٩٤٧

على الأسوار ...

ظل الشعرُ العربى - إلا مقاطع قليلة فيه مرزوءةً بالغفلة والجمود من هذا العصر - مشدودَ الوثاق على خشب المنابر، يثريص لزادها من خصاص الزمن، وحوله رهط من السدنة المتحفزين للذبّ عن شعائره الموروثة كلما نبضت بأصفاده رنّة حياة أو تحرر... أرهفوا آذانهم لفاجيء الحدثان يتعقبون غباره، ويلقمون الشعر من صياحه الذى تلفط به جمهرة السواد، ويمسخون سمته الرائع الحى بصبغ معارٍ من حواشيه، يخدش جلال سيرته ويصعق مداره فى تطور الحياة.

وتصدر هذه اللمة الضخمة ممن أقاموا أنفسهم على الشعر سدنةً أبرارًا وأوصياء، رتلٌ من الركبان المحافظين يتوسطهم شاعر عيل البيان، قناص لما يرضى مزاج الحياةِ حوله، متماوج الصيح مع خواطرِ جيله وهمومِ قومه، فجرف صيته البقاع، وطنّ بوقه فى شعاب الشرق، وتزلقتْ على رقاب العصر.. فأمروه صاغرين على الشعر وحفوا خاشعين حول قبابه الناغمة بالجرس وفخامة الإيقاع، والترنيم اللفظى الساحر، وتأنق الزىّ البيانى، وتجنيد التجارب وأزواد التاريخ لمظاهرة الإحساس الشعرى وإمداد طاقته بما يخرجها من النفس فى موكب حماسى حاشد، وتطويع الفطرة لشهوة الآفاق التى تحدجها الجماهير بالترقب والإصغاء..

وانتهى بعده رجاء الناس فى أن تجود الحياة بمثله، وقذفوا الطبيعة بالعقم وقالوا: للشعر لن تقوم لك قائمة بعد أن دفنتْ صولجانك معه، ونفضوا أسماعهم

من كل شاعر مرّ على مزاره الرحيب دون أن يحفن من ترابه حفنة يبارك بها نشيده قبل الغناء!

وضاقت عصائب منهم بهذا الرق الأدبى الفادح، فلم يملكوا وهم بناةُ صرحه إلا أن يشركوا به بعد موته، فنفخوا من سمائه هالة التوحيد، وورثوا معه فى هذا العرش الموطد بأيديهم شاعرًا ممن ذرتهم ريح شهرته، وطفا به مشيب الحوادث بعد حين، فحملقت فيه الأيام لتلقى عليه وعلى أعقاب جيله نظرة المشيع لركب قديم.. أعادوا له السرادق، والبسوه مسوحَ شيخه، وبين عجيج المحافل وصخب المباركين وضعوا فى يمينه عصا المعلم... وقالوا له: سلام الفاتحين! لقد كنت حامل اللواء، وأستاذ الشعر والشعراء، ورائد المجددين العاقل الحذر فى تطعيم الشعر العربى الجامد بلقاح الفن الأوروبى، وترميم هياكله ومومياواته بطرائق الأدب الحديث.... وهكذا نسخوا على رأسه لواء الإمارة الموروثة إمامة أبطأها الأوان، وكان غارها آخر ما تناقلوه على المفارق من هشيم الخلود! وصوتها آخر دقة من أجراس الرحيل لجيل من الشعراء جثم كابوس قداسته على صدر الحياة، وأخفتَ صليلُ أقدامه نبضَ المواهب الجديدة، وطمستها سيرتهُ العريضة، فأخذت على مهادها قيودُ التقليد، وهلك وميضُ إشراقها، وهمدت فى أوتارها نار التحرر والانطلاق، ووكزتها إغماءة الخلاص من جيل إلى جيل، وعاقها عن السير الواثق الجرىء بأنغامها الجديدة تشبثُ الزمن بأصفادِ تاريخه وبيئته، وتعصبهُ لكهولةِ الذكريات المناسقةِ معه فى مثل هذا المفترقَ المحيرَّ من زمان الشعوب المترددة بين النكوص والطيران، فاضطجعت مع قوافل الراحلين على هذه المنامةِ الوثيرةِ ضجعةُ الموت!

وفى طريق هذا الضريح الشاهق تلاغطت أرسالٌ من نابتة هذا الجيل ومن أخلاف أبيه، تسلل بعضهم من المزاحف العربية القديمة، والبعض الباقون من الذين أنهكتهم مداخل الفن الأجنبى، ومرقت بهم عطورهُ وألوانه، فحرمتهم أرضهُ الغريبة ومناخُ انفعالاته طواعيةَ التقليد، فلم يسلس لهم قيادة حتى فى التوليد والمسايرة، وتركتهم مزالقهُ فى منعرجِ حالكٍ بعد أن أوغل بهم الطريق فلا وصلوا ولا عادوا..

نظم الأولون منهم الشعر، فكانوا حفدة حافظين لإرث أسلافهم، أذهلهم دوار التعصب وجرفتهم حماقة الأنفة الذهنية، والعصبية الثقافية، فغضّوا من كل شاعر لم يفهق غناؤه برغاء الجرس العربى الموروث، وعثروا دروبه الحرة بالتشنج فى الجدال مع كل قصيدة لم يلفّع وجهها نقابه المقدس.. وحاد نفر منهم عن الطريق، ولكن إليه! فلم يستجيبوا نفاس التركة العربية ولم يلصوا على الحرف العربى فيخالسون الناس فى شعرهم بعرض حركاته وسكناته كما فعل أشياخهم من قبل! بل سلكوا السبيل نفسه فى تعقب الشعر الجديد الذى بهرهم ترامى الفضاء بينه وبين خوالجهم، ففروا إليه يتلهفون على وميض من خياله وتعبيره ومعناه، وعادوا بنظم مرقع يشوبه هوس الخيال المطروق واللحن المسروق، وتعذيب الألفاظ بحشرها فى غير أجسادها النفسية بلا بث من الشعور ولا إضاءة من الروح... فشطت بهم خيبة المصير وعاقبتهم الطبيعة بالإهمال والضياع، وحاقت بهم لعنتها على التكرر والمتابعة والتقليد، ولو فى طريق جديد!!

والتوى بالآخرين المعاد إلى أرضهم الأولى فى جوانح الشرق وبالها من أزلية بكر! تختزل أسرارها كل قادم على وجهه غبرة الشك، لاذوا بها من هجير المعميات النافرة بطبائعها وجوهر انفعالاتها عن وجودهم النفسى، فردتهم حيارى، يتكفأون فى مسخ غريبة. وفنّ مضطرب الغرائس، هجين النسب، مقطوع الوشائج بالدوافع النفسية الأولى خالقة الفنون الحية الخالدة.. وبالغوا فى التخفى وراء تلك السلائب المخطوفة، والفن تمام على وطنه، فلم يمهلهم قليلا فى الترويج لهذه البضاعة الذهنية الشائهة، حتى هتك عنها الحجاب، وعصف بالطلاسم اللفظية التى أعانهم غموضها على التدليس فى إيهام الشرق بأنهم أضافوا جديدًا إلى أدبه الراكد العقيم!.. نزعات.. ومذاهب.. ومدارس شعرية.. وتجديد.. وثورة على القديم... وكلها مباخر مدخولة الفوح على الشعر العربى، أفقدهم الإدمان على شميمها قوة احتماله كموجود حرّ الطبيعة والكيان لا يعوزه التلقين الخارجى، ولا يجدى شيئًاتسول الحياة له طعمًا فى تغيير طاقته، وتبديل ذاته، فخرجوا به عن نطاق الفن المنصهر من الحياة الجارف بقوة النبض

الإنسانى، وإشراق الطبيعة النفسية، وأصالة التعبير عن الشعور فى لحظات احتراقه وانطلاقه من أعماق الوهج الغامر الملح بشجو غنّى الإيقاع بالصدق فى كلّ ما تنبض به، وتنفذ منه، وتحلقُ إليه أجنحةُ الشاعر وانفعالاته الكبيرة الخالدة.. وأحالوه غناء لفظيًا مشلول الإثارة، يتيم الحركة، مهزول الأداء، كاذب الشجو، تشوبهُ جهامةُ الشعور العقلى المثقف، والوعى الذهنى المبعثر فى أخلاط دخيلة على حياة الإحساس.

وبين هؤلاء وهؤلاء ضربت على الشعر أسداد خانقة من التشبث بالقديم، واحتراف التجديد فوقف عاثرًا، مظلوم الجراح يلفقون له البواعث، ويصنعون له المثيرات، ويلفقون زاده من لغط الحوادث اليومية، والتجاوب الرخيص مع انفعالاتها العادية السريعة. ويتصيدون له المنابر، ويروضونه وهو عصارة الأرواح الطليقة العاتية على مداجاة الجماهير، ومصانعة العامة فى ترديد ما يرضى أهواءها القاصرة المغلوبة، ومسارقة إعجابها بمس الرغائب المعاشية، والترجيع المنتهز للخواطر السطحية فى كل ما من شأنه إهاجةُ الشواغل الحسية تمليقًا وتطويقًا لثراء الناس، وكسبًا عاجلا لزيد الشهرة واغتنامًا لمجدها الزائف فأخذه الناس لغوًا رخيمًا لفراغهم، وجرفت كبره وقوته رخاوة المزاج المنهوك من ضجر الرق الاجتماعى، وكآبة الحياة العقلية المغلوبة، وران عليهم كساد الشعور، ونفر فيهم أدب الأشباح والمعانى البصرية والصور الحسية ولغة الأطوال والعروض فى جس الخيال، وقياسه على الواقع المجرد.. وشنوا القيامة على كل ما ليس فى أوعيتهم من معانٍ وصورٍ مألوفة، وكواهم العواءُ على غير طائل فى مهبِّ الرياح الجديدة، فانساقوا مع الواقفين على أسوار مجده الغابر فى ترديد النواح على أقطابه الذاهبين.. وفى هلع النعاة يخفتُ صوتُ الوليد!

ونفد صبر الطبيعة فى احتمال هذه الأغلال قرابة جيل من حياتها المتحفزة دائمًا للسير الكاشف المتحرر.. فأطلعت نذرها بأضواء جديدة أفلت زمامها من عقال العبودية الضاربة، وتوهجت طلائع نشيدها من معاقل الشعر العربى فى مصر وأخواتها على أيدٍ أرعش بعضها الحذر والأجفال فخذرت فى أول الطريق!

واندفع بعضها مع حماسة البعث الجارف فطاشت خطوته! وبعضها أمضه الكفاح، وخانته طاقته عن المسير، فنكس على عقبيه! وانسل بعضها فى عدو الظلال فامحى فى غبارها ومات!

وراغ بعضها بين خاطره وناظره، وبين فنه وزمنه، وبين خطوته وشهرته، فزاغ بصره، وترنح على سراب بلا رحيل ولا إياب!... وبعضها وهم ندرةٌ هائمةٌ على سفوح النغم العربى فى مختلف أصقاعه، انطلق جناحها فى وهج النور العارج بقوة الإيمان، وراحت تتموج أوتارها بحنين الأسرار الواغلة فى ظلام النفس الإنسانية، وأنين قيدها وعذابها المصفد العميق، ومالت إلى السحر المحجب العاصى وراء أحزان الطبيعة وأفراحها وأسوارها الأزلية العاتية، وشب غناؤها من نار الشقاء الإنسانى الذى ترزح تحت نيره جوانح الشرق المعذب المقهور.. بعد أن غوى الشعر عن طريقه روحًا من الزمن وهو فى شغل شاغل بالنفاق الاجتماعى ومداجاة الأوضاع، والغناء الواقعى الضحل، وختال الجماهير بترويضها على الفنون الرخيصة المنحلة، انسياقا مع الذوق السيار الذى يروج على يديه فنُّ الآدمية المسترقة إمتاعًا للأسوار المطمئنة، وتخديرًا للقطعان الساجدة بشقائها وبكائها على أعتاب الهشيم، ونزفًا للأوشال الباقية فى أعماقها من زاد التحرر والتطور والانطلاق...

فيا أيها الأجنحة الضاربة فى ضباب الشرق!

شُقّى حجاب السر المختّم على جراح الوجود..

والطُمى ظلام الحياة الشقية بعويلك الجبار علها تهتك قناع الرق عن وجهها الجاثى على رياء الزمن!

ومرى بترنيمك السماوى على أسوار هذه الأرض المحرومة من النور.. لعل سحرها يصحو من غطيطه الطويل على دقّ هذه المزامير، وبقنات إشراقة من هذا الغناء الجديد.

واجرفى بنارك الحرة الواثبة هشيم الواقفين بتوابيت الماضى فى طريقك الطويل! وايقظى الغاب والرعيان...

٤-ح ١٠

○

○ أغـانى الـرق ○

ألقـيـتنى بين شـبـاكِ العـذابْ وقـلـت لـى: غـنْ!

وكلُّ مـا يشـجى حنينَ الربابْ ضـيـعـتـهُ منّى!

○ أغـانى الـرق ○

ألقيتنى بين شباكِ العذابْ ... وقلت لى: غنِّ!
وكلُّ ما يشجى حنينَ الربابْ ... ضيعتهُ منِّى!
هذا جناحى صارخٌ لا يجابْ ... فى ظلمةِ السجنِ
ونشوتى صارتْ بقايا سرابْ ... فى حانةِ الجنْ

اواهُ يا فنِّى
لو لمْ أعشْ كالناسِ فوقَ الترابْ!

* * *

رمانىَ الرقُّ بدنيا زوالْ ... مغلولةِ الجنبِ
وقال: حومْ فى سفوحِ الجبالْ ... واهبطْ على العُشبِ
واضربْ جناحيكَ بأفقِ المحالْ ... واسألْ عن الغيبِ..
وهانا.. لا شىءَ إلاَّ ضلالْ ... سارٍ مع الركبِ!

اواهُ يا ربِّى
لو لمْ أكنْ عبداً لهذا الخيالْ!!

* * *

جـــعلتَ زادى منّ عـــويلِ الرياحْ ... وغـــربةِ الطيـــرِ

ومن أسىَ الليلِ، ووجـدِ الصبـاحْ ... وشـهـقـةِ النهـرِ

وسـقـتنى ظمـآن بين البطاحْ ... إلا من الســحـرِ

وقلتَ لى: رفـرفْ بهـذا الجناحْ ... واشـربْ من السـرّ.

والسرُّ فى صدرى

قيدتَ ساقيه بتلك الجراحْ!!

* * *

خـدعْتنى يا نايُ.. حـتى الغناءْ ... لم تعطنى سـرهْ!

والعـالم الرحبُ، ومُلْك الفضـاءْ ... زيفتَ لى أمـرهْ!

ورحتَ تغـريني بفنّ السـماءْ ... والـوحْى، والفـطـرهْ

وأنت عبدٌ.. منْ جحيم الشقاءْ ... جـرعـتنى جـمـرهْ.

وقلتَ لى خـمـرهْ!

وسقـتنى عبدًا لهذا الرياءْ!

* * *

المـوجُ فى البـحـر كـركب طليقْ ... يمـشى بلا حـادِ

غناؤهُ أشـواقٌ مـاضٍ عـمـيقْ ... فى صـدرِ آبادِ

ولجـةُ الطامى هتـافٌ سـحـيقْ ... فى قلبِ جـلادِ

لكنهُ عـبـدُ النسـيمِ الرقـيقْ ... إن هـبَّ فـى الـوادى

من غـيـر ميعـادِ

تخـالُ شطيـه ذراعىْ غـريقْ!

* * *

والريحُ كالبفتة فوق القفارْ ... تأتي بلا وعدِ

كأنها ثكلى تريدُ الفرارْ ... من ضجةِ اللحدِ

جبارةٌ بعد خلودِ الإسارْ ... فرتْ من القيدِ

أخنتْ عليها قبضةٌ من نهارْ ... في قارظٍ صهدِ

فخيمتْ عندي

كأنها ضيفٌ قديمُ المزارْ!

* * *

والليلُ كم هزَّ سياطَ الظلامْ ... وعذب الناسا

وراح كالراهب فوق الأنامْ ... يدقُ أجراسا

يدير كأسًا لم تطقها مدامْ ... ويحتسي كاسا

وفجأةً أومأ إليه غلامْ ... ومدَّ نبراسا

الفجر قد داسا

بنوره أشلاءَ هذا القتامْ!

* * *

والعطرُ في الزهرةِ طيرٌ سجينْ ... ما بين أشراكِ

أسفادهُ أبطالُ رقٍّ فنينْ ... في زيِّ أشواكِ

يا واهب النشوةِ للعاشقينْ ... يا سلوةَ الشاكي

على خريفٍ مستبدٍّ اليمينْ ... بالروض فتاكِ..

.. عبيرُكَ الباكي

معذبٌ يشكو الإسارَ الدفينْ!!

* * *

والنفسُ في الجسمِ كسيرٍ غضوبْ ... هاجتْ مراميها

راحت به في كلِّ أرضٍ تجُوبْ ... فزادها تيها

حيرى يسليها غناءٌ كذوبْ ... والوهمُ يسقيها

مخدوعةُ الأوتارِ؛ كفُّ الغيوبْ ... هزتْ مثانيها ..

لكنّ أغانيها

أنينٌ ذلَّ في حنايا غريبْ!

* * *

غريبةٌ شدتْ عليها القيودْ ... من كلِّ ما تهوىَ

قالوا لها: طيري بهذا الوجودْ ... ورددي النجوىَ

ولم تكدْ.. حتى دهتها سدودْ ... كالموتِ أو أقوىَ؛

الحبُّ، والغيبُ، وسرُّ الخلودْ ... واليأسُ، والشكوىَ

وما لها سلوىَ

عن هذه الأغلالِ إلا الوعودْ!

* * *

وطائرٍ تحت قبابِ العظامْ ... من غيرِ أوكارِ

مصلوبِ شدتهُ رؤيا غرامْ ... في قيدِ إعصارِ

واطلقتهُ ماردًا منْ ضرامْ ... في الجسمِ موارِ

يفحُّ لذّاتٍ، ويسقى مدامْ ... معصورةَ النارِ

منْ كفِّ خمارِ

حانوتهُ أحلامُ كلِّ الأنامْ..

* * *

مـــد جناحـــيـــه، وغنى، ودارْ ... فـى كلّ أوصـــــالـى

أوتارهُ ليلٌ وخـــمـــرٌ ونارْ ... من غـيـرِ إشـعـالِ..

.. توهجتْ، وارفضّ منهـا شـرارْ ... للعـقـل قـتـالِ

يا طائرَ الشـهـوةِ! أين الفـرارْ ... من سـجنِكَ العـالى..

ونارُ أغـــلالى

تكويكَ مـثلى بعـذابِ الإسـارْ؟!

• • •

والحبُّ؟ مـا أشـقـاهُ! حـادى سـرابْ ... فى واحـةٍ حـيـرى

طيـرانِ حطّا فى هشـيمِ خـرابْ ... فـراغٍ، واخـضـرارْ

وقـال: هيـأ... فـازاحـا النقـابْ ... ومـزّقـا السـتـرا

يا سـاقى السـرّ! أذقنا العـذابْ ... واسكب لنا السـرّا..

وبعـدها فـرًا ..

ولم يزلْ يحـدو أنين التـرابْ!

• • •

كم سـاقنى فى جنح ليلٍ أسـيـرْ ... عـبـدًا إلى قُبّلةْ!

وسـاقـهـا مـثلى لهـذا السـعـيـرْ ... لهـفـانةً مـثلةْ

ونهـدها طيـرٌ ينادى الغـديرْ ... والريحُ فى غـفـلةْ

ذابتْ على السـرّ.. وذاب الضـمـيـرْ.. ... وذابـت الـلـيـلـةْ

وازمـعـتْ رحلةْ ..

والحبُّ عـبْدٌ فى خُطاها أجـيـرْ!

• • •

كنا جناحين لطيرِ المساءْ ... يهفو كما تخفق

إذا أمرنا الأفقَ رقَّ الهواءْ ... وعرَّجَ الزورقْ

وإن نزلنا العشبَ رقَّ الغناءْ ... من قلبه المغلقْ

وإنْ تعانقنا رجونا الفناءْ.. ... لو أنهُ يطبقْ!!

لكنَّهُ فرَّقْ

وأصبحتْ أنشى ككلِّ النساءْ!

* * *

جبارةٌ كانتْ تسوقُ النشيدْ ... سحرًا لأوتارى

وتصطلى أحلامها ما تريدْ ... منْ شهوةِ النارِ..

أخفتْ عن الدنيا هواها العتيدْ ... من خشية العارْ!

وباعت الحبَّ لشارٍ جديدْ.. ... لو أنه دارِ

ما أحرقتْ نارى..

لباعها - وارتدَّ - بيعَ العبيدْ!!

* * *

والإثمُ خفاشٌ تحبُّ الظلامْ ... طيورُ أسرارهْ

يقالُ عارًا إنْ أدار الأنامْ ... كأسًا باخبارهْ

وإنْ غفا السمعُ! تمطَّى ونامْ ... فى ظهر أوزارهْ

قلْ لرداءِ العرسِ: أرخِ اللثامْ ... وانظر إلى عارهْ

وزهرُ أبكارهْ..

يبكى على العطر بتلك الرمامْ!!

* * *

كم ذات وجهٍ شبّ فيه الحياءْ كأنه نارُ!
تغضى من النور.. كأن الضياءْ فى لَمحِهِ عارُ!
سجا دجاها، واطمأنّ الخفاءْ ونامت الدارُ..
فعربدتْ للحبّ أنى يشاءْ والحبُّ قهارُ

والليلُ ستارُ..
أعادها للصبح تُغْضِى حياءْ؟!

* * *

والظلمُ.. لا ظلمَ! ولا ظالمينْ! لكنْ هو الضعفُ..
أخنَى على الناس، فصلى جبينْ فداسهُ ظلفُ!
معذبَ الأعناقِ..! فى الراكعين تمردَ الخوفُ
فارحمْ كثيرًا... فشراعُ السفينْ أمالهُ العصفُ..

والموجُ لم يغْفُ..
قبل ارتداد الريح للواقفينْ!

* * *

يا سارقَ القوتِ! نزعت الحجابْ عن هذه اللقمةْ!
ما كنتُ أدرى فتكها بالرقابْ! أو أنها نِقمةْ!
والجوعُ إنْ صاحَ يصيحُ الخرابْ وتصعقُ الأمةْ!
انعمْ كما شئتَ! ودعْ للترابْ ما قالت الرحمةْ..

يأيُها الأكمةْ
إنّا وراءَ الركبِ حتى نجابْ!!

* * *

والعهدُ رقٌّ ليتهُ فى الحياهْ ... يبقى، ولا ينفدْ!
أهواكَ.. واللهُ على ما يراهْ ... من لوعتى يشهدْ..
مادام هذا النجمُ يلقى سناهْ ... فحبنا أخلدْ!
واللهِ باقٍ! نجمهُ فى سماهْ ... مشعشعٌ فرقدْ!

وأقبلَ الموعدْ..

وأنتِ فى أحضانِ صبٍّ سواهْ!!

* * *

من هؤلاء الأشقياءُ الظهورْ ... من غير علاتْ؟!
المنبتون الزهر فوق الشعورْ ... من رأس حياتِ
كم حملوا الوجهَ رفات الشعورْ ... عند التحياتِ!
أحرارُ ألفاظٍ، أسارىَ صدورْ ... تخفى الدنياتِ

من غير مرآة

رأيتهم صرعىَ نفاقٍ وزورْ!!

* * *

والموتُ وعدٌ لا تشلُّ الحياهْ ... إلا بأصفادهْ
أريد لو أعرفُ عهدًا سواهْ ... أوفى بميعادهْ!
يا ليته خانَ! وضلَّتْ عصاه ... طريقَ أوعادهْ!
مفاجىءٌ، لم تكبُ يومًا خُطاهْ.. ... طاحتْ بأجنادهْ.

وكلُّ أزوادهْ

فُجاءةُ البعث.. فشُلَّتْ يداهْ!!

* * *

والرقُّ نارٌ من قديم الزمانْ ... من نفسها تأكلْ..
تحررتْ نفسي، وعى اللسانْ ... فجاءها يعولْ
عبدٌ وحرٌّ في دمي ساكنانْ.. ... رباه ما أفعلْ؟!
أهمُّ بالقيد... فتهوى اليدانْ ... ويضرب المعولْ

في كل ما أحملْ
فاسحقُ العودَ.. وتبقَ البنانْ!!

○ مصيـــر ○

ودارت بهـــا الدنيـــا... وعـــادتْ لوكـــرها

وفى يدها الماضى على صـــــدره طفلٌ..

* * *

تنوحُ ولا تدرى بأىّ خـــــمـــــيلةٍ

حـــبـــا ســـرها.. أو جـــاد لوعـــتـــهـــا طلُّ..

* * *

ســـألتُ سطورَ الحبِّ عنهـــا، وصـــورةً

ووجـــهًا أفـــاعـــيـــه من الغـــدر تنسلُّ..

ظلمتِ عـــهـــودَ العـــاشـــقـــينَ.. فـــأرضـــعى

هوانا، ونوحى، فـــالخطايا لهـــا ظلُّ!!

○ عبيد الرياح ○

آهى غروب يوم قائظ، ماتت رياحه وسكن فيه كل شىء، إلا غناء شقى يتهالر أنينه من هؤلاء المعذبين الأبطال.. ساروا مصفدين بحبال السفن، يصارعون تيار النيل فى عراك جبار مع الطبيعة علّهم يشقّون صدرها فى طريقهم إلى الجنوب!!

رأيتهم فى غروبٍ كئيبْ ... يعزُّ على شمسهم أن تغيبْ
حدتهم بأشلاء ضوءٍ ذبيح ... يعصفر أشباحهم باللهيب
جبابرةٌ عوّدوا للهواء ... وبثّوا رُقاهم لريح المغيبْ
يلوحون صفًا وئيدَ الحراك ... كأنهمُ صلْبوا فى الكثيبْ
يسيرون سيرَ الهوان المريب ... ويمشون مشىَ الزمان الكئيبْ
فتحسبهم أوغلوا فى الخيال ... وعينُك تأخذهم من قريبْ
على صدرهم من غضون الكفاح ... أفاعى حبالٍ تلفُّ الجنوبْ
تجاذبهم خطوهم للوراء ... فهم من عنادٍ بقايا حروبْ
سواعدهم مولقات الزنود ... ولكنها عُدةٌ للهبوبْ
تشقُّ الفضاءَ بأصفادها ... فتنشقُّ أجوازُه أو تذوبْ

وأجسادهم حانيات لها ... ركوعَ المحمَّل ثقلَ الذنوبْ
كأنهم فى سفوح الزمان ... شياطينُ تحدو المساءَ الرهيبْ
حواميمهمُ خلف نعش الرياح ... هُواهُو.. هُواهُو.. غناءٌ رتيبْ
سقاهم «سليمانُ» من سره ... فكادوا يمسُّون سمعَ الغيوبْ
أقاموا جنازًا يئنُّ الفضاءُ ... بأصدائه وينوحُ الغروبْ
يكاد يعزى، ويمشى النخيلُ ... وراءهم، وتلوذ السهوبْ
شدوا واستجاروا وخابَ النداءُ ... فغاصتْ خطاهم وشقوا الجيوبْ
ومروا حفاةً عراةً لهم ... شهيقَ الثكالىٰ وزفرَ الغريبْ
على الأرض خرسٌ وإن همهموا ... فهذى صلاةٌ تذيب القلوبْ
يجرون أيامهم خلفهم ... وذكرىٰ شقاواتهم والكروبْ
عبيدَ الرياحِ، كلانا رقيقٌ... ... فغنوا وسلُّوا عبيدَ الخطوبْ!!

○ جَلاد الظلال ○

«مظلولةٌ يدكِ أيتها الطبيعة!
«وأنت موقدةُ الهجيرِ،
«فاسمعي مثلنا صليلَ ناره،
«في أقدامك العانية!
[جزيرة الزمالك في هاجرة الصيف]

دعوها على راحاته الخُضْرِ ترتمي
فقدْ شفَّها بَرْحُ الهجيرِ المسمَّمِ!
رمتْ فوقَهُ أشجانها، وتنفستْ
إليه بشكوى عابرٍ لمخيمِ
ولاذتْ به مفطورةً.. فظلالُها
أساريرُ وجهِ اليائسِ المتجهِّمِ
وأدواحها ركبانُ دوٍّ أحالهمُ
ضلالُ الفلاَ أصنامَ ديْرٍ مهدَّمِ
تناجتْ بصمتٍ أيقظتْ هجساتهِ
يمامات ظُهْرِ صاحياتٌ كنوَّمِ

هفـــفنَ، وذرّفنَ التـــغنى صـــبـــابةً

فـــخطّفنَ إحـــســـاسَ الغـــصـــون المكتّمِ

وأغـــفـــتْ على حـــضنٍ منَ الموجِ نائمٍ

بـخـــيـــلِ الـرؤى إلاّ عـلـى كلّ مـلـهـمِ

هـو النيـلُ رباهـا على الحبّ والهـــوى

وعـــانق شطيـــهـــا عناقَ المتـــيمِ

وطوقَ جنبـــيـــهـــا، فـــلاحتْ غـــريبـــةً

على ســاعـديهْ من أسى البـين تحـتـمى

وتحكى له أشـــجـــانهـــا، وحـــديثـــهـــا

يـغـنى بـلا عـــــودٍ، ويـشـكـو بـلا فـمِ

تضـــوعُ غـــرامًا، وانتظارًا، وحـــيـــرةً

وشـــعـــرًا إلى غـــيـــرِ الهـــوى لم ينغّمِ

يمـــرُّ على مـــحـــرابهـــا الناسُ غُفّـــلاً

كـــمـــا مـــرَّ بوذىٌّ على دار مـــسلمِ

وتسـرى حـــواليـــهـــا الســـفـــائنُ خـــشّعًا

ســـرىَ تائبٍ فى كـــعـــبـــة الله مـــحـــرمِ

تشقُّ عـــبـــابًا مـــاتَ هـــســـهـــاسُ مـــوجـــه

فـــلاحَ كـــمـــشـــتـــاقٍ إلى نفـــســـه ظمى

ولولا خطا تيـــارهْ لحـــســـبـــتـــهـــا

تماثيل طيـــرٍ فى ســـرابٍ مـــدوّمِ

لهـا شـرعٌ بيضُ الحـواشي، متـونهـا

كـأعـلامِ جيشٍ مسـتجيرٍ مسلّمِ

سكونٌ، ولكنْ في حنيـات صـدره

بقـايا لُهـاثِ الشرْ في قلبِ مجـرمِ

واقـعي على الأسـوارِ قـيظٌ رأيتـهُ

يطلُّ بوجـهِ الحـائقِ المتندمِ

يلـوحُ كـجـلادِ الظـلالِ، وهـذه

سـيـاطُ اللظىّ منهُ طوالُ التضـرمِ

يكدنَ يحلْنَ الظلُّ وهمًا، وغـصـنه

تهـافتَ مـفـزوعٍ عـمـيقِ التـوهمِ

تشـاكى منَ التـعـذيب فـرعٌ وطائرٌ

وعـشبٌ، فكانَ الروضُ إيحـاءَ مـاتمِ

واوقـفَ نـعـشُ الـريـح.. لا كـفُّ لاحـدٍ

ولا خَطْوُ بكّـاءٍ كـثـيـر الـترحمِ

تعـرى عن الأسـتـارِ، فـهـوَ مكفـنٌ

بضـوءٍ على الأغـصـان حـيرانَ مـحـجمِ

شـواظٌ ولا نـارٌ، ونـارٌ ولا لـظىّ

ورؤيا لهـيب في خـيـالي وفي دمي

ومـوقـدُ عـبّادينَ، مـاتَ لهـيـبـهُ

وشـبتْ أغـانيـه سـعـيـرًا بأعظُمي

وكـــدتُ أرى والنارُ لم تبـــدُ ســـجـــدةً

مـــجـــوســـيـــةٌ قـــامتْ علـــىَ كلِّ مَجْـــثمِ

وركـــبًا من التنهـــيـــدِ تخـــفى وجـــوهَهُ

وتنـــظرُ من وجـــــهِ الأثيـــــرِ الملثمِ

وحـــــائرةٍ من عـــــالمَ الزهـــرِ أطرقتْ

حـــــدادًا على عطرِ الصـــبـــاحِ الململمِ

مـــقـــيـــدةٍ، ملهـــوفـــةٍ، ذاتِ آهةٍ

مـــقـــيـــدةٍ، تبـــدو كطيفٍ مـــجـــسمِ

تمدُّ يديهـــــا للغـــــديرِ، وقلبـــــه

إلى عـــــودها يجـــرى بكوبٍ مـــحطمِ

اظمـــــآى تنادى ظامـــئًا؟ من رأى الأسى

يغـــيثُ الأسى فى الخـــاطرِ المتـــألمِ؟!

لقـــد بُحَّ صـــوت الجـــوِّ برحًا ولهـــفـــةً

كـــمـــا بَحَّ ســـرَّ الغـــيبِ صـــوتُ المنجِّـــمِ!

* * *

وهاجـــرةٍ يُشـــوىَ بهـــا الظلُّ مـــثلمـــا

يُقلِّـــبُ فى الأشـــــواقِ قلبُ المتـــــيمِ

لهـــا وَهْـــوهـــاتٌ فى الربى خلتُ أنهـــا

فـــحـــيحُ أفـــاعٍ من زوايا جـــهنمِ

رمـــيتُ بهـــا حـــرَّانَ أحكى حكايةً

عن الصـــــيفِ لم أنبِسْ، ولم أتكلمِ

ولكننى أروى عن الوحى كيفما

روى لى بأطياف الخيالِ المهمهمِ

لنفسى أحكيها، ومن هولِ سحرها

طلاسمُ سمعِ الغافلين المختمِ

رأيتُ جحيمًا لم تباركه «فارسٌ»

بعبادِ نارٍ منْ بنيها مزمزم

ولم يرنُ طوّافٌ إلى قبساته

بقلبٍ من التسبيحِ شادٍ مرنّمِ

ولا حدثتْ عنهُ الخرافاتُ أهلها

ولا خطَّ عنهُ الوهم حرفًا بمرقمِ

له وهجٌ يصلى الوجوهَ بحره

ويفهقُ كاليحموم فى مسربِ الدمِ

والسنةٌ بيضٌ لهنَّ رطانةٌ

بمثلِ لُغاها كاهنٌ لم يتمتمِ

كأنَّ عفاريتَ الظهيرةِ طنبوا

خيامًا على هذا البساطِ المضرمِ

تنادوا بالفاظٍ، صداها وساومٌ

سمعتُ معانيها بآذانِ أعجمِ..

وجوٌّ غضوبُ الذرِّ يكظمُ نقمةً

ويكتمُ غيظَ الساخطِ المتبرمِ

شممتُ به ريحَ المعاصى سخينةً

محملة الأنفاسِ من كلِّ مآثمِ

يفحُّ كجراع الشكوكِ هواجسًا

لهنَّ دبيبُ السمِّ فى رأسِ أرقمِ

وألحدَ صوفىُّ النخيل، فما أرى

به هزةً كانتْ إلى النسكِ تنتمى

لقد كانَ رعاش الأيادى تبتلاً

إلى الله، لم يدنسْ، ولم يتأثمِ

ولم يجنِ ذنبا يبتغى عنه توبةً

مع الناسِ يدعوها بكفٍّ ومعصمِ

أما قامَ فى الفجرِ الرطيبِ مؤذنًا

يصيحُ بتكبيرٍ على العقل مبهمِ

فما بالهُ أصغى، وأصغتْ ظلالهُ

كمنتظر حكمَ القضاءِ المحتمِ!

وألقى على الأفقِ المصفّدِ نظرةً

كأصفاد عيسى والتفاتاتِ مريمِ!

وأُزهقَ إحساسُ الطبيعةِ، فاغتدتْ

كحزنٍ على كتمِ الشكاياتِ مُرْغَمِ

كأنَّ ثكالى مخرساتٍ على الربى

شليلات همسِ الروحِ والجسمِ والفمِ

وقفنَ عليها ينتظرنَ معزيًا

وطرفُ المعزّى عن طريقِ الأسى عَمى

طرحنَ مناديلَ الظلالِ على الثرى

وكاد بهنَّ العودُ كالظلِّ يرتمى

وأطرقَ فيها كلُّ شيءٍ، فما بها

سوى طيفِ مصلوبٍ وإيماءِ مُنقَّمِ

كأنَّ القصورَ الشامخاتِ بأرضها

محاريبُ جنٍّ فى مزارٍ محرمِ

يَطِنُّ حواليها الهجيرُ كأنهُ

تخافتُ عارٍ حولَ عرضٍ مُثلَّمِ

وينفخُ كالحدّادِ نارًا، شرارها

تناهشُ خزيٍ فى ضميرٍ مذممِ

مشيتُ بها حيرانَ أشبه خاطرًا

بقلبٍ ملولٍ جازعِ اليأسِ مظلمِ

أفتشُ عنْ سحرِ الربيعِ وعطرهِ

كأنى نقّابٌ بأحشاءِ منجمِ

لقد ماتَ! واغتالت مغانيه بغتةً

كما اغتالَ عصفُ الشكِّ أحلامَ مغرمِ

ألا أينَ هفهافُ النسيمِ بأيكها؟

وأينَ مزاميرُ الضحى المتبسمِ؟

وأينَ أغـــانى الموجِ، والموجُ شـــاعـــرٌ

وإنْ لـــمْ يُـــذِعْ شـــعـــرًا ولـــمْ ينـــرنمِ

وأينَ الهـــوى؟ إنى حـــمـــلْتُ ربيـــعَهُ

بقلبٍ من التـــســـبـــيحِ عـــاتٍ مـــدمـــدمِ

وهمتُ على صـــيفِ الجـــزيرةِ شـــاردًا

بحـــبى كـــســـرٌ فى حـــشـــاها مطلسَمِ

أحبُّ لـيـــالـيـــهـــا، وأهوى ترابهـــا

وأهوى غـروبَ الشـمسِ فى أفـقـهـا الظمى

فـــقـــدتُ أليف الروح بين شـــعـــابهـــا

وعـــدتُ بحـــزنِ المســـتطارِ المُيـــتَّمِ

كـــأنى هجـــيـــرٌ تائهٌ فـــوق أرضـــهـــا

يغـنـى بنـاىٍ من أسىَ النـفسِ مُلْجَـــمِ!

○ بُهتـــانُ ○

عـجـبتُ لهـا.. كـانتْ سـوادًا وسـمـرةً
كـسـحـرِ غـروبٍ ضـمـهُ سـاعـدُ الليلِ
وتجـهـشُ بالحبِّ العنيفِ جـفـونهـا
كـــأنَّ هواها شبَّ منْ عـــالمَ الثُّكـلِ
حـضنتُ أساها فى دمى، وسـقـيـتـهـا
غـرامًا مـحـا من وجـهـهـا آيةَ الذلْ
ولما نضتْ عنهـــا الحـــدادَ رأيتُهـــا
تقلبُ أفـعى عـضـهـا واقـدُ الرَّمْـلِ
مكانكِ! واسـقى غـيـرنا السمَّ.. إننا
شـــربناكِ أنشى فى رحـــيقٍ من الويلِ..

○

○ العزلة ○

«وآخذتْ على روحه الوحدة، فثورتْ له
ضبابها روضةً من مقابر الأحلام...»

فى روضـــةٍ مـــعطارْ
تخـــضلُّ بالتـــذكـــارْ
هـاجتْ بهـــا الأفكارْ نـــارًا عـــلـــى قـــلـــبـــى

* * *

فـــيـــهـــا جناحٌ طارْ
وعـــطـــر أيـــك ثـــارْ
وجـــــــــدولٌ هـدارْ يجـــــــرى بـلاَ سـكـبِ

* * *

صلتْ بهـــا عـــيـــدانْ
لاتـعـــــــــرفُ الأديـانْ

واستغفرتْ أغصانْ لكنْ بلا ذنب...

* * *

خميلها حرانْ
ونبعها ظمآنْ

وصمتها ولهانْ شوقا إلى الغيبِ

* * *

تفجرتْ أنهارْ
فيها منَ الأسرارْ

يجرى بها إعصارْ فى عالمى الرحب

* * *

دارتْ سواقيها
تبكى وتسقيها

منْ دمعِ ماضيها ما فاضَ منْ هدبى

* * *

مشى بها الماضى
يدوس أنقاضى

كمرهفٍ ماضٍ يُغمدُ فى جنبى

* * *

ولاحـــــتِ الأيـــــامْ
مـــشلولةَ الأقـــدامْ

كـــانتهـــا أوهامْ مـــصلوبةُ الركبِ

* * *

منْ أينَ ـ لا أغـصـانْ
فـيـهـا، ولاكـثـبـانْ

حطتْ بهـا الأحـزانْ سـربًا إلى سـرب؟!

* * *

وكـيفَ ـ لا حـانـاتْ
فـيـهـا، ولا كـاسـاتْ

طارتْ بهـا الأهاتْ سكـرى بـلا شُـرب!

* * *

وهـذه أفـواجْ
منْ خـاطرى الوهاجْ

تجـيش كـالأمـواجْ جنبًـا إلى جنب

* * *

وهـذه أنفـاسْ
فى صمتـهـا الواسوسْ

تدقُّ كـــالأجـــراسْ فى مـــعـــبـــدِ القلْبِ

* * *

وهـذه أنـغـــــامْ
مـــغلولةُ الألهـــامْ

كـــأنهـــا أنســـامْ قُيِّـــدن بالعـــشبِ

* * *

وهـذه أصـــفـــادْ
للـحـن والأعـــوادْ

تـضـج كـــالأجـنـادْ فى غـــمـــرةِ الحـــربِ

* * *

وهـذه أشـــواقْ
مـــجـــهـــولةُ الآفـــاقْ

مـــقـــتـــولةُ الأشـــراق مـــسـدولةُ الحـجبِ

* * *

وهـذه ركـــبـــانْ
للغـــدر والبـــهـــتـــان

تنسلُّ كـــالشـــعـــبـــانْ فـى المـزحـفِ الـرطـبِ

* * *

وهـذه أكـــــــوابْ
مما سـقى الأحـبـابْ

بالسمْ والأوصـــــابْ تـدورُ فـى قـلـبـى

* * *

وهـــــذه رنـــــاتْ
ممدودةُ الراحـــــاتْ

كـــانهـا قـبـلاتْ ظمـــــأى إلى الحبْ

* * *

تنهـيـدةٌ منْ عـــودْ
فى مـهـجتى مـشـدودْ

مـــعـــذبٍ مكدودْ منْ قـســوةِ الضـربِ

* * *

أم نغـمـةٌ خـرسـاءْ
مـسـحـورةُ الأصـداءْ

أشـهى منَ الأغـضـاءْ فى سـاعـةِ العـتبِ؟

* * *

وهـذه صـــحـــراءْ
فى وحـدتى السـوداء

مـــرتْ بهـــا الأنواءْ تبـكـى مـنَ الـرعـبِ

* * *

وهذه حـــيـــاتْ
تمـضى منَ السـاعـاتْ

كـــأنما الأوقـــاتْ غـــابٌ نما قـــربى

* * *

وهـــذه جـــنـــاتْ
رفتْ بحـــوريـاتْ

ينثـــرنَ بالهـــالاتْ زهـرًا على جـــدبى

* * *

ســـربٌ منَ الأمـــالْ
يدب كـــالمحـــتـــالْ

مـــرقشَ الأســـمـــالْ بـالـزيـفِ والـكـذبِ

* * *

اكـــعـــبـــةٌ امْ حـــانْ؟
ام مـــخـــدعُ النســـيـــانْ؟

ام مـــــوئلُ الأيمـــانْ؟ امْ مـــعـــقلُ الريبِ؟

* * *

وهـذه أطيـــــــارْ
يـا نفسُ أمْ أوكـــــارْ

لاذتْ بهـــا الأســـرارْ منْ روعـــةِ الخطبِ؟

* * *

وهـذه أكـــــــوانْ
للروحِ أم أكـــفـــانْ

يـا حـــادىَ الأزمـــانْ ثُهْنـــا عـــن الـــدربِ..

* * *

يـا عـــــزلـةَ الأرواحْ
لاتظمـــئى... فـــالراحْ

وهـاجـــةُ الأقـــداحْ منْ دمـــعى العـــذبِ

* * *

ابكى.. كـــمـــا أبكى
من ظلـمـــــةِ الشكْ

فـــدمعُ عـــينيكِ أهمى منَ السحـــبِ

* * *

ربيـــعكِ الرفـــرافْ
خـــريف حـبٍّ طافْ

مُـــلألأ الأفـــــوافْ كـــــــادمعِ الـصبْ

* * *

أطلقتُ فـــيكِ الروحْ

كطائرٍ مـــجـــروحْ

فـــعـــادَ كـــالمذبوحْ ملقىً على التـــرب...

* * *

عـــمـــرى غـــريبٌ تاهْ

ضلتْ به دنيـــــاهْ

مـنْ ســـــجنهِ الأواهْ أطلقـــــهُ يا ربى..!!

○

○ الشك ○

«ربِّ أرنى النورَ مرةً واحدة من دموع أنثى!!»

ذريني وصمتي، وانفرادي، وغربتي
فإني لقيتُ السرَّ في ظلِّ وحدتي
ولا تسأليني عنه، فهوَ أمانةٌ
ينوء بها في الأرض قلبُ البريةِ
وخليكِ ظمآى.. فالهوى كلُّ حرقةٍ
وكلُّ عذابٍ وانتظارٍ وحيرةِ
جهلْتِ سبيلَ الحبِّ، حين طلبته
إسارًا لأنفاسي، وقيدًا لخطوتي
وما الحبُّ إلا حالةٌ، ولها صبًا
وعمرٌ كعمرِ الناسِ رهنُ المنيةِ
وما الخلدُ فيه غيرَ أنَّ سحابةً
تمرُّ على السالي بذكرى جميلةِ

حملناهُ حملَ البيدِ رؤيا غمامةٍ

ويلهثُ فيها كلُّ صخرٍ وصخرةِ

وسرنا كما سارتْ هواجسُ نشوةٍ

باعصابِ سكّيرٍ رأى طيفَ حانةِ

فلانحنُ ذقنا أيَّ خمرٍ، ولا مشى

لأيامنا ساقى النشاوىٰ بجرعةِ

وكانت لنا كأسٌ، ولكنْ رحيقُها

أنينٌ ودمعٌ واشتعالاتُ زفرةِ

وكانت لنا الأيامُ حانًا مقدسًا

وأنتِ نديمُ الفجرِ ساقى العشيةِ

ظللتِ تديرينَ الأسى فى ظلاله

وتسقيننى منها بكأسٍ مريرةٍ

وما حولنا إلاغناءٌ مذوبٌ

ذرفتُ به أحزانَ عمرى وشقوتى

ولقنتهُ خطوَ الرُّؤى، فأحالنى

معارجَ طيرٍ لم يجدْ أىَّ ذروةٍ

أهيمُ به أنى يشاءُ، وأننى

أنا عبدهُ المأسور فى كلِّ خفقةٍ

تحملتهُ نورًا لغيرى، وجمرةً

موهجةَ الأحراقِ تشوى سريرتى

أعافُ قيودَ الرقِّ إلا لنارِهِ

ولو قبّلتني في جحيمِ المذلةْ

ففيها ملاذُ الروحِ، فيها كيانهُ

وفيها معادٌ عاجلٌ لحقيقتي

وفيها جنانٌ نضّرَ الغيبُ أيكها

وأجرى بها الأنهارَ في كلِّ بقعةٍ

تدورُ سواقيها، ويفردُ طيرها

وتنعمُ في آفاقها كلُّ ذرةٍ

وما مرةً زارتْ رُباها رياحها

ولم ألقَ فيها سجدًا لنبيةٍ

على كلِّ فرعٍ من دوالي كرومها

قماريُّ أحلامٍ طوالُ التلفتِ

ومنهنَّ إصغاءٌ، ومنهنَّ هجعةٌ

وهذا مهبُّ الوحي من كلِّ وجهةٍ!

وما زرتها يومًا وعدتُ بلا جنيٍّ

هو الشعرُ مسكوبًا على نغمةٍ

ذريني في جناتِ وهمي محررًا

لظاهنَّ أشهى منْ رباكِ الجميلةِ

فقد كنتِ روضًا يانعًا، كلُّ زهرةٍ

لديه أرى في عطرها رأسَ حيةٍ

واســـــمع فحَّ الشكّ تحت ظلالهِ

كـمـا يسـمعُ اللحنُ الرخـيمُ بضـجـةِ

فـفـيـه أفـاعٍ للظنونِ غـريبـةٌ

تـطـلُّ مـع الأضـــــواءِ مـن كلِّ زهـرةِ

وتزحفُ من أيكٍ بجـفـنيك سـاحـرٍ

رهيبِ الذرى تخـشى حـمـاه تميـمـتى

رياحـينهُ صـفـرُ العـبـيـرِ سـواهم

ترعـزَ عن من سُقـيـا ضـلالٍ وريبـةِ

تراوغُ أنفـاسى بما يفـعلُ السـرى

بصـيـادِ غـابٍ مـسـتـرابِ القنيـصـةِ

وفـيـه أغـانٍ لوْ عـزفتُ ربابهـا

لكانتْ رثاءً خـالدًا للعـقـيـدةِ

وفـيـه طيـورٌ هالعـاتٌ، ترقـبتْ

منَ الوهم هبّـاتِ النبـالِ البـعـيـدةِ

فـارختْ جناحًا، واسـتـجـارتْ بغـيـره

وحطـتْ، فـكـانـتْ مـنـكِ فـى كلِّ نـظـرةٍ..

وفـيـه غـيـومٌ واقـفـاتٌ، كـأنهـا

قـوافـلُ أحـزانٍ بجـنبىَّ حلتِ

وأدغـالُ ريبٍ مـات همسُ ظلامِهـا

وطنّتْ بهـا أجـراسُ نفسٍ شـقـيـةِ

مشيتُ على أشواكها وصخورها

كأني أمشي فوق أشلاء مهجتي

وجئتكِ لا أبغي سوى الفنّ والهوى

وكانا.. ولكنْ من خريفٍ وظلمةٍ

فما روضكِ المذعورُ إلا هياكلٌ

أقيمتْ بها للشكّ أكبرُ خيمةٍ

وخيمَ فيها وحدهُ، وببابهِ

منَ الزنج عملاقٌ شديدُ التهافتِ

على وجههِ من سيرةِ الموتِ دهشةٌ

وإنْ كانَ حيًّا، فهوَ حيٌّ كميّتِ

وعينٌ ترى ما يبصرُ الوهمُ خلفها

ولو كان شيئًا لم يكنْ في الحقيقةِ

فتلمحُ أشباحًا، وتلقى عوالمًا

كما خيلتْ جاءت بأصدقِ صورةٍ

فقدْ تبصرُ النهرَ الجميلَ مزاحفًا

لحياتِ قيظٍ في الصحارى شريدةٍ

وقدْ تبصرُ البستانَ أوكارَ غيبةٍ

وأطيارهُ مشاءةً بالنميمةِ

وقد تبصر الليلَ البهيمَ ملفعًا

وبخيلاً في بردهِ دنيا فضيحةٍ

وقد تبصر الأيامَ وهى سواكنٌ
مناجلَ حصّادٍ قوىّ الشكيمةِ
وقد تبصر النعش المولّى تردداً
ورجعى إلى دنيا الحياةِ الخفيةِ
وقد تبصر الحقَّ المنورَ باطلاً
تدثرَ فى أبرادِ رأىٍ وحكمةٍ
وقد تبصر الموجودَ وهوَ مجسدٌ
رؤى عدمٍ فانٍ برؤيا ضريرةٍ
وتسمعُ عن لحنٍ يسيلُ لشجوها
سَماعَ ترابِ القبرِ سيرَ جنازةٍ
وإن قيلَ حبٌّ حولها جحظتْ لهُ
كما تجحظُ النفسُ البَراءُ لتهمةٍ
وإن سئلتْ كانتْ سؤالاً لغيرها
وإن لم تكنْ فى صوتها أىُّ نبأةٍ
معذبةٌ حولاءُ، تذبحُ سرها
وتبكيه، وهو السرُّ فى كلِّ دمعةٍ
هى الشرفةُ الكبرى يطلُّ ويختفى
بها الشكُّ مذعوراً لدى كلِّ لفتةٍ
فيا روض ليلى أنتَ هذا الذى أرى
وأسمعُ، هذا ما جنتْ منكَ لذتى
سقيتكَ ايامى، وها أنتَ دائرٌ
عليها بإخفاقٍ ويأسٍ وخيبةٍ

عـــــلام ومنى كلُّ عطرٍ تذيعـــــهُ
وكل تســـابيحٍ وطهـــرٍ وعـــصـــمـــة:
فـــجـــأتَ رحـــيـــقى بالظنونِ تشبُّهـــا
ســـعـــيـــرًا على ذكـــرى ليـــالى عـــبـــادتى!
جـــعـــلتكَ توراتى وديْـــرَ ســـريرتى
وأنتَ هتكتَ الســـرَّ عن كلِّ ســـجـــدةٍ
بكاءً على ليلى مـــعى، وعلى الهـــوى
وقـــد فـــرَّ منهـــا بين يومٍ وليلةٍ
مـــضى جـــازرٌ للشكِ يذبحُ قلبـــهـــا
وضلتْ فلمْ تعـــرفْ فـــداءَ الذبيـــحـــةِ
حلفتُ لهـــا بالحبِّ، بالفنِّ، بالهـــوى
بماضى خطانا فى ضـــفـــافِ الجـــزيرةِ
بما حـــمـــلتنا الريحُ تحتَ ظلالهـــا
منَ الســـحـــرِ لم يهـــدأ بنا أى لحظةٍ!
بما كنتُ أســـقـــيـــهـــا وأشـــربُ قـــبلهـــا
من الدمعِ والشـــعـــرِ الجـــريحِ المفـــتَّتِ!
بما أنا فـــيـــه منْ شـــقـــاءٍ وغـــربةٍ
ومـــا هى فـــيـــه من عـــذابٍ وحـــيـــرةٍ!
بمـــا تـــنـــقـــل الأيـــامُ عـــنـــا مـــنَ الأســـى
وشـــجـــوِ الليـــالى والعـــهـــودِ العـــزيزةِ!
بفـــجـــرٍ له منى ابتـــهـــالاتُ عـــابدٍ
وليلٍ له منهـــا اضطرامُ السكينةِ!

بعينين منها كانتا فى جوانحى

نداماني هبا من سماء بعيدة

تضيئان أحلامى بما أنا خاطفٌ

من النشوة العذراء من كل نظرة

حلفتُ بها إلاَّ لتسقى يقينها

بما أنا فيه من صلاة وفتنة

فأصغتْ لمفتاح الهوى فى ضميرها

وما كان غيرَ الشكِّ فى كلِّ لفتة

وراحتْ بكفيها تُحيل غرامها

رمادًا لهُ فى الروح أخلدُ جذوة

ولكنها أنثى وأعيا كيانها

وصولٌ إلى تلك السفوح العتية

فضلتْ سبيلى، حين لاذتْ بأرضها

وطارتْ.. إلى عوْدٍ قريبٍ وتوبة

فإنى رغم النار واللهب الذى

سقتنى به.. لم ألقَ منها نهايتى!!

٢٣ ديسمبر ١٩٤٠

○

○ الجزيرة ○

«وأومأ الدوش بيده إلى إشراقة الشمس، فهمنا مع الجزيرة نشرب من هذه الصلاة...»

سبقتِ إلى النيل خطوَ الصباحْ
فتيمته بالصبا والفتونْ
وخمرَ إلهيةً فى يديكِ
وكأسٌ من الحبِّ ملأى جنونْ
وثغرك تغريدةٌ ما وعىَ
ترانيمها غيرُ قلبى الحزينْ
عشقتُ صداها فغنيتها
ولقنتها لشفاهِ السنينْ
وكما كنت أدرى الهوى والحياةْ
ولا السحرَ فى أغنياتِ الشفاهْ
ولا كنتُ أعلمُ سرَّ الإلهْ
سوى بعد ما لحت لى فتنةْ

وأقبلتِ لى مرّةً تبتسمينْ!

وعيناكِ علمتانى السجودْ

وكيف أخرُّ مع العابدينْ

لهمْ دينهم فى زحامِ الصلاةِ

ودينى الضياءُ الذى تنشرينْ

عبدتُ يكِ الله... ما فى دمى

ولا فى فمى غيرُ هذا الرنينْ

فيا ولهًا ناعمًا فى الجفونْ

ويا سجدتانِ بدير الجبينْ

ويا قبلتانِ بخدِّ الصباحْ

ويا بسمتانِ بثغرِ الأقاحْ

طفقتُ بين جنبىَّ نار الجراحْ

فردى لبلوايَ سحرَ المنى

وبثّى حديثَ الهوى يا عيونْ!

وإيقاعُ خطوكِ فوق الضفافِ

صباباتُ نايِ شجاهُ الحنينْ

سمعتُ لغاهنَّ تحت الظلالِ

أناجيلَ تتلى على الراهبينْ

وانغامَ رقصٍ بعيدِ المدى

حلمتُ به فى سماءِ الظنونْ

محا شجنَ الطيرِ إنشادهُ

وتيمَ فى عُشِّهنَّ السكونْ

فـــهللنَ بين خـــمـــيلٍ وأيكِ

ورفـــرفنَ مـــثلى حنانًا إليكِ

وكـــدنَ يقـــبلنَ طهـــرًا يديكِ

ويســـجـــدنَ حـــولكِ فـــوق الربى

وتخـــشعُ للحبِّ هامُ الغـــصـــونْ!

* * *

وقلتِ: هنا النهـــرُ! قلتُ: اســـمـــتى

هنـا اللـهُ يـرعـى هـوانـا الأمـــيـــنْ

هـنـا قـــدرٌ فـى الضـــحـــىَ نائمٌ

أساريـــرهُ طلســـمـــتـــهـــا القـــرونْ

يمـــيـــمـــونـهُ «النيلُ»! وهـو الذى

ينيلُ ويشـــفى صـــدىَ الظامـــئـــينْ

ســـقى الدهرَ من جـــامـــهِ فـــارتوىَ

وروّى بخـــمـــرته الملهـــمـــينْ

فـــغنى بأســـراره الشـــاعـــر

وكـــبـــر فى شطه الكافـــر

وخـــرّ له الســـحـــرُ. والســـاحـــرُ

ولما تهـــادتْ عليـــه الصـــبـــا

تصـابى فـحـيـا خطا العـاشـقـينْ!

* * *

أتيناهُ والصبحُ طفلٌ غريرْ

تهدهدهُ سكرةُ الحالمينْ

طهورُ المسارِبِ ما لوثتْ

خطا شمسه قدمُ الغابرينْ

سوىَ بائسينَ إلى قوتهمْ

تنادوا .. سلامٌ على البائسينْ!

أفاقوا مع الفجرِ فوق الثرى

حيارى على أرضهمْ متعبينْ

وصيادِ رزقٍ على الشاطئينْ

من اليأسِ قلَّبَ نارَ اليدينْ

وفى وجهه من كلالٍ وأين

بقايا من الليلِ يمشى بها

إلى كوخه فى شعابِ الأنينْ!

ونجوىَ يمامية فى العشاشِ

تحجُبُ إلاَّ عن المغرمينْ

فهمنا لغاها وأسرارها

فهمنا بها فى الضحىَ حائرينْ

وفى ظلنا للهوى رعشةٌ

وقفت على طيفها تسألينْ

وصدرك يهتزُّ تحتَ المنا

كـــــأنشـــــودةٍ فى أكفِّ الحنينْ

شـــجـــاها التـــغنىُّ فـــهـــزتْ لنا

تحـــــايا مـن الـلـه طـافـتْ بـنـا

ونجـــــــوىَ مـن الـلـه رفّتْ هـنـا

وقـــالتْ: ســـلامُ الهـــوى والعـــفـــافِ

على قُبْـلـةٍ فى فم الخـــائفـــينْ...

○

○ الانتظار ○

«وانتظرت المغيبا وهو غريب»
«أهله أورثوه ثكلاً.. ومروا..»
«.. ومازال يترقب! حتى قال له عائد من طريقها: .. لقد ضلتْ سبيلها إليك!!»

انتظرني هنا مع الليل.. إني ... أنا في صدرك المحطم سرٌّ
هكذا قالت الشقيةُ والليلُ ... على صدرها أنينٌ وشعرُ
واهتزازٌ كأنه قبلُ العشاقِ ... لم يحمها حجابٌ وستْرُ
ولها نظرةٌ كأنَّ بقايا ... من وداعٍ على الجفونِ تمرُّ
نعسةٌ، وانتعاشةٌ.. وهنا الشيء ... الذي قيلَ عنهُ للناس: سحرًا
وابتهالٌ كأنهُ غربةُ الطيرِ ... لها في سمائم البيدِ سيرُ
ولها رعشةٌ كما انتفضتْ ... كأسٌ بكفي فكلها لي سكرُ
ولها حيرةٌ تعلمتُ منها ... كيف تهويمةُ النبيين تعرو؟
ولها حين أقبلتْ ثمَّ غابتْ ... ندمُ الوحي! حين يدنو يفرُّ
انتظرني هنا.. وذابتْ كحلمٍ ... صدهُ عن خطاهُ للروح فجرُ
وأنا جائعٌ أقلبُ كفي... ... كما قلَّبَ المقاديرَ دهرًا

انتظرني هنا.. ومر زمانٌ ... وأنا في ترقبي مستمرُّ..
انتظرتُ الصباحَ، حتى أتاني ... وبه كالظلامِ سهدٌ وفكرُ
وانتظرتُ الضحىَ، فأقبل يرتا ... عُ على ساعديه عشبٌ ونهرُ
وانتظرتُ الأصيلَ، حتى دنا ... مني وجنباهُ للصبابات وكرُ
وانتظرتُ المغيبَ، وهوَ غريبٌ ... أهله أورثوهُ ثكلاً ومروا
خلفوهُ.. فلا النهارُ بمأواهُ ولا ... الليلُ.. آه ضاعَ منه المقرُّ!
كل يوم جنائز النور تسعى ... وهوَ من خلفها وجومٌ وصبرُ
لا حد يدفنُ الحياةَ بكفين ... هما ظلمةٌ ترامتْ، وفجر
تشهقُ الريحُ حوله فهيَ في ... الأفقِ بكاءٌ منْ عالمَ الغيب مرُّ
وهو نوحُ الرمادِ، قبضُ حواشيهِ ... سكونٌ، ومسُّ جنبيه جمرُ
طال مثلي انتظارهُ فكلانا ... في جحيمِ الهدوءِ القاهُ امرُ
ولولي يا رياحُ! أنتِ خضمٌّ ... ما لهُ أينما توجهتِ برُّ!
أنتِ مثلي تلفتٌ وانتظارٌ ... فوقَ أوتاره الخفية نيرُ
جمعتني بكِ الليالي كمل يجمعُ ... سحرَ الهوى وبلواهُ صدرُ
أنتِ قيثارةٌ، وقلبي عزيفٌ ... وكلانا رماةُ في القيدِ أسرُ
كبلتكِ الآفاقُ، تجرينَ فيها ... لا مزارٌ يأويكِ! لا مستقرُّ
تشتكينَ الإسارَ والجوُّ ساءٍ ... ساهمٌ عنْ أساكِ، والكونُ وقرُ
أعولي يا رياحُ.. قيدكِ خلدٌ ... وبلاياكِ ليس منها مفرُّ!
وأنا في القيودِ مثلكِ حيرانُ ... أخيرٌ سلاسلي أمْ شرُّ؟!
صلبتني على مطافكِ أرزاءٌ ... رمائي بها غرامٌ وشعرُ

ومتاهاتُ شاعرٍ ضل.. ما يدرى أزهدٌ حياتهُ أمْ كفرُ؟!
حيروهُ فملءُ جنبيه لوْ يدرون شيءٌ عذابهُ مستمرُّ..
جاء يفضى به، ولوْ كنت تصغين لأدماكِ منه شوكٌ وصخرُ
طوقتْ عمرهُ غيومٌ هىَ الفنُّ الذى قيلَ عنه: خلدٌ، وسحرُ
لمْ يجد صاحبًا على الدربِ فانسابَ وأيامه ضلالٌ وخسرُ
وحدهُ فى الطريق.. لا نورَ إلاَّ منْ بقايا ما كانَ أهرقَ فجرُ
وحدهُ! والرفيقُ نأىٌ، ولوْ ساقَ خطا راهب فأنتِ الديرُ
ها هنا خيمتْ جراحى ووسوستْ رياحى.. كأنْ حداءٌ وقفرُ
ومددتُ الجناحَ ارتقبُ النورَ واشتياقهُ لعلى أفرُّ
ولعلى.. ومرَّ حولى زمانٌ والدجىَ والرياحُ نوحٌ وقبرُ!
وأنا والظلامُ منتظرٌ مثلى عبدٌ يسليهِ فى الغياهبِ حرُّ
قمةٌ منْ وساوسٍ وارتعاشٍ أنا فيها رغمَ المقاديرِ نسرُ
انتظرنى هنا.. وطال انتظارى وهىَ فى أعينى التفاتٌ وذعرُ
وسؤالٌ لكلِّ شىءٍ حوالىْ وإيماءةٌ لكلِّ طيفٍ يمرُّ
وانتباهٌ، وغفلةٌ، وربيعٌ وخريفٌ، وشيبٌ زهرٍ، وعطرُ
وجناحٌ يهفو، وآخرُ يهتاجُ ومنْ بينْ ما يرفانِ طيرُ
وأنا سببٌ توهّجَ منهُ لخُطاها أيلٌ رطيبٌ، وزهرُ
وهىَ لا أقبلتْ.. ولا عادَ منها لشقائى بعودة الكأسِ خمرُ!!

○ الخريف ○

«حين تسقط ورقةٌ مبتةٌ من غصنٍ يتلفت أملٌ إلى مصيره في التراب»

أوشكتُ أقطع أوتاري ... وأطيحُ بنشوةِ مزماري
وأعيشُ كنسرٍ جبارٍ ... يشجى بعويلِ الأعصارِ
ويصمتِ القممِ الهدارِ

فإذا ما الليلُ رأى وجدي
أفضيتُ إليه بما عندي
بالأمس نزلتُ ببستانٍ
الزهرُ به يبدو حولي
كانين فوق الأغصانِ
ويتمتمُ، لكنْ بأغانٍ..

.. خلقتْ للطيرِ، وللظلِّ
ولحاملِ قيثارٍ مثلي
يستوعبُ سرَّ الأكوانِ

* * *

والعطرُ هنا لكنّ مصلوبٌ ... تبكيهِ صدورٌ وقلوب

وعلى كـفـيـهِ لمنْ يدرى شـعـرٌ بالأدمع مكتـوبُ
غناهُ صـبـاحٌ وغـروبُ

وشداهُ . بلا نغم . شـعـرى
فـغـداً كـمـتـابٍ فى صدرى ملمـسـتـهُ خطايا وذنوبُ
والطيـرُ تماثيلُ طيـورٍ والدوحُ كـركبِ مـذعـورِ
والجـدولُ رؤيا تـغـريدٍ فى حُلْمِ الناىِ المهـجـورِ
والظلُّ صـلاةٌ لشـعـورى

والصـمتُ ربابٌ لنشـيـدى
وأنا كـالتـائه فى بيـدٍ حـيـرى تتلفتُ للنور

* * *

والريحُ كـسـفـاحِ عـاتٍ لا يسـمـعُ شكوىَ الربواتِ
كمْ غـصـنٍ مـدلهُ يدهُ فـغـدا مـذبوحَ الورقـاتِ
شـاركتُ الروضَ براحـاتى

وضـرعتُ لسـيفِ جـردهُ
فـإذا بىَ وهـمٌ بددهُ شىءٌ جنىُّ الحـركـاتِ!
بالأمسِ تخـايلَ فـتـانا مـخـضـرُّ النشـوةِ هيمـانا
نلقى الأحـزانَ بأيكتـهِ ونبثُّ إليـهِ بلايانا
ونلوذُ به مـنْ دنيـانا

فـيذيبُ الحـزنَ بفـرحتـهِ
ونهـيمُ هنـاكَ بربوتهِ طيـرًا، ونغـردُ عـيـدانا

واليـومَ.. عليـهِ أسـمـالُ صـفـرٌ، تخشـاها الآجـالُ
ووجـــومٌ ردد آهتـــهُ فـحٌ للجـــوْ وإعـــوالُ
قـــد طارتْ عنهُ الآمـــالُ

وتخطفَ منهُ بشـاشـتـهُ
ورمـاهُ، وفتَّ حـشـاشـتـهُ صـيـادُ الزمنِ الخـتَّالُ
لا لحنَ لديه، ولا نجـــوىَ لا سـحـرَ لديهِ ولا سلوىَ
قـد همدتْ فيـه مـزامـرهُ لا تعـزفُ حـبـا أو شكوىَ
لا تعـرفُ شـجـوًا أو شـدوًا

وجـفـاهُ وأمـعنَ طائرهُ
وأتـاهُ يعـزى زائـرهُ فطواهُ عـذابٌ لا يطوىَ

* * *

مـا بالكَ يا روضُ حـزينا عـريانَ الربوةِ مـسكينا؟!
هجـرتكَ أغـانٍ وظلالُ بهـواكَ ظللنَ يغنينا
ويطفنَ لديكَ مـصلينا

حـيـرنى للغـيب سـؤالُ
ومللتُ، ولم يبـدُ خـيـالُ عنْ سـرِّ عـذابكَ يُلهـينا
وهنـاكَ رأيتُ الأوراقـا فـرأيتُ لقـاءً وفـراقـا
وسـمـعـتُ أنينَ مكفنةٍ للقـبـرِ تلمسُ آفـاقـا
تركتْ فى الأغـصنِ أشـواقـا

وهوتْ فى التربِ كمعصيةٍ

هربتْ منْ نفسٍ مـشـخنةٍ بجـراحٍ، تطلبُ ترياقـا

* * *

ورأيتُ خـمـيـلاً كـذابا يهـتـزُّ، فـيـرقصُ أحطابا
كم حـامتْ فـيـه فـراشـاتُ صـيـرنَ ذراهُ أكـوابا
وعـصـرنَ شـذاهُ أعنابا

واليـومَ تحـومُ أهـاتُ
وتنوحُ فـيـه حـمـامـاتُ يندبن صـبـاهُ أسـرابا
اربيعٌ أنتَ سـمـاويٌّ؟ بغـصـونكَ زهرٌ مـخـفـيُّ
وبأرضكَ نهـرٌ دفـاقُ وبأيـكـكَ عـطـرٌ مـنـسـيُّ
وبصـمـتكَ نايٌ قـدسـيُّ..

.. لوْ ذاقَ صـداهُ العـشـاقُ
لسـقـوكَ بدمـعـي، وأفـاقـوا فـغـناؤكَ شـجـوٌ أزليُّ

* * *

أمْ أنتَ خـريفٌ، للدهـرِ منْ ليلكَ أحـلامٌ تسـرى
فـغـصـونكَ أشـبـاحُ إناسٍ والجـوُّ كـتـابوتٍ سـحـرى
والأرضُ كـقـناصِ الطيـرِ

تغـتـالُ بصـمـتٍ وسـواسِ
والريحُ تدقُّ كـأجـراسِ يصـعـقـنَ ضـلالاتِ العـمـرِ
وبأرضكَ حـطـابٌ فـانٍ يهـوى تعـذيبَ الأغـصـانِ
جـوعـانٌ وتعـشـقُ راحـتـه أن تشـبـعَ جـوعَ النيـران

غشّاهُ ضبابُ النسيانِ

فمشى وكأنَّ حشاشته
وصراخَ الفأسِ، وآهتهُ
ديْرٌ لعذابِ الأنسانِ

* * *

أطلقتُ هناك تسابيحى
وسجدتُ بروحى، كمسيحِ
أخذتهُ غيوبُ نبوّته
فأهاجَ بها كلَّ ضريحِ
سطعتْ بالنورِ مصابيحى

فإذا بالسرِّ ويقظتهِ
والقلبِ وطولِ تلفتهِ
خلجاتٌ فى قصب الريحِ!

○ مقابر السحر ○

«ولما طال به المسير.. أمنتْ دموعه
وكفرَ جفنهُ»

مالى أُحسُّ كأنَّ عمرىَ فى يدِ الأحزان يُطوى؟!
نفسى تناهبها الشقاءُ ولم تجدْ فى الجسمِ مأوى
قلبى أذلتهُ الجراحُ فما يطيقُ بهنَّ شكوىَ
حبى استحالَ روايةً للدمعِ يعصرها فتُروى
وصبا غرامى صار أبعدَ من مشيبِ الغيبِ شأوا
أغدو وأمسى... والأسى نار أُذابُ بها وأكوى!
رباه! ما أنا؟... هل وجدتُ على زمانِ الناسِ سهوا!
سويتنى روحًا تمردَ ، لايطيقُ الأرضَ مثوى
وأنا الترابُ! فكيف صرتُ هوىً، وتعذيبًا وشجوا!
شرفاتُ غيبكَ لاتتحنَ لغيرِ من يبكى دنوا
وأنا إليكَ ذرفت أيامى فزاد دمى عتوا
ورأيت سحركَ فى الوجود أضلَّ أحساسى وأغوى!

النهرُ جبارٌ عصاك فلاحَ محمومًا ثلوى
والعطر زندیق یذیعُ عذابهُ... ویقولُ: سلوى!
والطیرُ مجروحُ الغناءِ ویُلبسُ الاهاتِ صفوا
والریحُ جنٌّ اثمّ وخزتهُ زلتهُ فدوّى..
.. وطوى الفضاءَ مزمجرًا متهالكًا یستلُّ عفوا!
والشمسُ مسلولٌ تلفّعَ بالغیومِ ودسّ بلوى..
.. قلقتْ على شفقِ المغیبِ كأنها فى النارِ تُشوى!
واللیلُ اقبل یملأُ القیعانَ أسرارًا ونجوى
والصمتُ یهرفُ كالعجوزِ تلقنُ الأطفالَ لغوا
وأنا الغریبُ شربتُ أحزانى فقیلَ: شربتَ لهوا
وبكیتُ حتى خلتُ أجفانى معذبتى ونشوى
ماذا رجائى فى الحیاةِ إذا انتهى ماكنتُ أهوى
ووقفتُ أحفرُ للجراحِ طریقها، فتعود شدوا!

○ ليلٌ وَريحٌ وحُب ○

أنينُ الليل يشجينى!
ونوحُ الريح يبكينى!
هناكَ صدى يناديني...
وروحٌ رفَّ يدعونى.. أأنتِ هنا؟ أجيبينى!

* * *

جمالكِ ذلكَ الفاتكْ
ربيعٌ هلَّ من ذاتكْ
خذينى بين راحاتكْ
وطيرى فى سماواتكْ وأفنينى، وأحيينى

* * *

وسحرك يسرقُ الآجالْ
ولوْ يسكنُ طيفَ خيالْ
شربتُ بكأسه القتالْ
شقاءَ العمرِ والأهوالْ وأوهامَ المجانينِ

* * *

عبدتك فتنةً كبرىٰ
عشقتك كرمةً سكرىٰ
رأيتك هالةً حيرىٰ
سمعتك نغمةً حرّىٰ تهيجُ دمى وتكوينى

* * *

سعير دمى بكفيكِ
تضرّعَ والهاً يبكى
وجاء لنورِ عينيكِ
يذيبُ مرارةَ الشكّ أذيبيها ... أذيبينى

* * *

أنا الأشواقُ فى جسدكْ
أنا النيرانُ فى كبدكْ
أنا الماضى حريقُ يدكْ
أنا الآتى رحيقُ غدكْ وجودكِ سرُّ تكوينى

* * *

دعى أيامنا تجرى
بما تهوى منَ الأمرِ
فإنَّ الطيرَ لا يدرى
خُطا الصيادِ للوكرِ.. فهاتى الحبَّ واسقينى

* * *

ظللتُ أطوفُ بالألحـــانْ
على أرضٍ منَ النســيـانْ
أغنيـــهـــا .. ولا آذانْ
ولا عشٌ، ولا أغـــصـــانْ ولا طيـــرٌ يسلينى!

• • •

وإذْ بخـمـيلةٍ خـضـراءْ
تراعشُ فـوقـهـا الأضـواءْ
كـأنْ سُقيتْ من الصـهـباء
ومنْ غـزلٍ وسـحـرٍ غناءْ وإلهـامٍ، وتلقـينِ

• • •

وفـيـهـا أنت يا ليـلايْ
سـلـوٌ يـانـعٌ لِبُكَاى
وفـجـرٌ رائعٌ لدجـاىْ
وخلدٌ سـامعٌ لغنـاىْ يعللنى، ويوحـيـنى

عـشـقـتكِ والهـوى غـلابْ
نشـيـدًا فى دمى ينسـابْ
فـصـوتكِ كـانَ همس ربابْ
وكـانَ حـفـيفَ خـمـرٍ ذابْ علىَ كـبـدى ليـشـجـينى

• • •

دعـــينى طيـــرَ جناتكْ
أســبَحُ فى خـمـيـلاتكْ
وأســبحُ فى صـيـاباتكْ
هـوىً يجـــرى بآهـاتكْ ويغنى فى الرياحـــين..

* * *

على شـفـتـيكِ أنهـارُ
مـحـرمـةٌ، وأثمـارُ
وفى عـيـنيكِ أسـرارُ
وإبريـــقٌ، وخـمـّـارُ فـمـالكَ لا تروينى؟!

* * *

لمنْ إلاّ لقـيـثـاركْ
يوسـوسُ مـوجُ أنهـارك
أنـا الـظـامـى لأنـوارك
أنـا البـــاكى لأزهـارك فليتَ شـــذاكِ يطوينى!

* * *

خطرت على ضـفـاف النيلْ
كـرؤيا تطلبُ التـأويلْ
خطاك بمسـمـعى ترتيلْ
وصـــوتكِ فى دمى تنزيلْ بلاَ شـــرعٍ، ولا دينِ

* * *

وكـــان الأفقُ كـــالمحـــرابْ
وركبُ الـريح كـــــالأوابْ
يطوفُ مـــدندنَ الأســـرابْ
كـــصـــوفيٍّ يدقُّ البـــابْ علىَ ســـرِّ النبـــيـــينِ

* * *

وكـــــانتْ غنـوةُ المـلاحْ
صـــلاةَ جـــمـــةَ الأتراحْ
كـــأنَّ لهـــا صـــدىً وجناحْ
تـــرفُّ بـــه عـــلـــى الأرواحْ وتهـــتفُ للمـــســـاكـــينِ

* * *

وكـــانَ الموقـــدُ الحـــيـــرانْ
يؤجُّ لبـــؤســـهُ النيـــرانْ
ولاذَ شـــراعـــهُ النعـــســـانْ
بســـاريةٍ من الأكـــفـــانْ تلفُّعُ كـــالشـــيـــاطينِ

* * *

وكنتِ كـــزنبقِ الأســـحـــارْ
شـــذاهُ يحـــيـــرُ الأســـرارْ
إذا ناشـــدتكِ الأشـــعـــارْ
ضـــلَلْتُ، وضـــلـــتِ الأوتـــارْ بأيِّ صـــدىً تناجـــيـــنى؟!

* * *

وكنتِ كـــآيةٍ عُليـــا
شُغلتُ بهـــا عنِ الدنيـــا
تطلُّ بنورها وحـــيـــا
وتنشـــرُ ســـحـــرها رؤيا عن الأهوالِ تلهـــيـــنى

* * *

وكنتِ صـــلاةَ أحـــزانى
وكنتِ مـتـابَ عـصـيـانى
وكنتِ ربيعَ أكـــوانى
إذا مـــا الدهرُ عـــادانى يعـــاندهُ ويســـقـــينى

* * *

وكنتِ الشـــجـــوَ والأحـــلامْ
وكنتِ الدمعَ والأســـقـــامْ
وكنتِ مـــتـــاهةَ الأوهامْ
وكنـــتِ مَضلّـــةَ الأيـــامْ تحـــيـــرنى وتهـــدينى

* * *

وكنتِ الخـــمـــرَ والأقـــداحْ
وكنتِ الليلَ والإصـــبـــاحْ
وكنت الصـمتَ والإفـصـاحْ
وكنتِ علىَ يدىَّ جـــراحْ أقلّبـــهـــا فـــتُدمـــينى

* * *

وكنتِ الموجَ والشطآنْ
وكنتِ الجرحَ والمسلوانْ
وكنتِ النايَ والألحانْ
إذا همدتْ معى العيدانْ ولحتِ لها تغنينى

• • •

وكنت شجونَ أيامى
وكنتِ جنونَ أحلامى
وكنتِ غديرَ إلهامى
وكنت هديرَ أنغامى الوذُ به فيبلينى

• • •

وكنتِ غياهبَ الآفاقْ
وكنتِ توهجَ الأعماقْ
وكنتِ تمردَ الأشواقْ
وكنت تحيرَ الأحداقْ أدورُ بها فتغوينى

• • •

وكنتِ ضحى وإشراقا
وكنت هوىً وأشواقا
وكنتِ سنًا وإبراقا
وكنت منىً وآفاقا لوادى الغيبِ ترمينى

• • •

وكنتِ.. وكنتُ.. ظلّين
نرفرفُ في خميلين
نعيشُ بقلبِ طفلين
على الدنيا غريدين كأطيارِ البساتين

ودارتْ بالهوى الأيامْ...
فأين الحبُّ والأحلامْ؟
وأينَ الكوبُ والأنغامْ؟
ألا يا ربةَ الإلهامْ إلى الماضي أعيديني

○ النِّيـــل ○

مسافرٌ زادهُ الخيالُ ... والسحرُ، والعطرُ، والظلالُ
ظمآنُ والكأسُ فى يديه ... والحبُّ، والفنُّ، والجمالُ
شابتْ على أرضهِ الليالى ... وضيعتْ عمرها الجبالُ

ولمْ يزلْ يطلبُ الديارا
ويسألُ الليلَ والنهارا

والناسُ منْ حوله سكارى ... هامُوا على أفقهِ الرحيبِ
آه على سركَ الرهيبِ ... وموجكَ التائه الغريبِ

يا نيلُ... يا ساحرَ الغيوبِ!

* * *

متوجٌ أنتَ فى الروابى ... بلا عروشٍ، ولا قبابِ
كم راحتِ الشمسُ فى ضحاها ... تعبٌ من نورك المذابِ
وأنجمُ الليلِ كم طواها ... هواكَ فى خيمةِ العبابِ

وكم هوىً إليكَ سارا
بموكبِ أيقظ الصحارىَ

رددتْ ركبانه حيارىَ ... وأنتَ فى مهدكَ الرطيبِ
آه على حلمكَ العجيبِ ... والموجُ نعسانٌ فى المغيبِ

يا نيلُ.. يا ساحرَ الغيوبِ!

* * *

سمعتُ فى شطكَ الجميلِ ... ما قالت الريحُ للنخيلِ
يسبحُ الطيرُ امْ يغنى ... ويشرحُ الحبُّ للخميلِ
واغصنٌ تلكَ امْ صبايا ... شَرِبْنَ من خمرةِ الأصيلِ؟

وزورقٌ بالحنينِ ثارا
امْ هذه فرحةُ العذارىَ؟

تجرى، وتجرى هواكَ نارا ... حملتُ من سحرها نصيبى!
وطُفْتُ حيرانَ باللهيبِ ... فلم تدعنى بلاَ حبيبِ..

يا نيلُ يا ساحرَ الغيوبِ!

* * *

يا واهبَ الخلدِ للزمانِ ... يا ساقىَ الشعرِ والأغانى
هاتِ اسقنى، واسقنى، ودعنى ... أهيمُ كالطيرِ فى الجنانِ
يا ليتنى موجةٌ.. فاحكِى ... إلى لياليكَ ما شجانى

واغتدى للرياحِ جارا
واحملُ النورَ للحيارى

فإنْ كوانى الهوى، وطارا ... كانتْ رياحُ الدُجى طيبى..

* * *

يا نيلُ.. يا سـاحـرَ الغـيُوبِ!!

○ حصاد القمر ○

«.. وفتحتْ حانةُ القمر ابوابها للسنابل والأكواخ
والنخيل..
فراح يشرب سرها من انين المناجل في يد الفلاح
الحزين»

سيانِ في جفنه الأغفاءُ والسهرُ
نامتْ سنابلهُ واستيقظ القمرُ!
نعسانُ يحلمُ والأضواءُ ساهدةٌ
قلبُ النسيم لها ولهان ينفطرُ
مال السنا جانيًا يلقى بمسمعه
همسًا منَ الوحيِ لا يدرى له خبرُ
واطرقتْ نخلةٌ قامتْ بتلعته
كأنها زاهدٌ في الله يفتكرُ
إنْ هفَّ نسمٌ بها، خيلتْ ذوائبها
أناملاً مرعشاتٍ هزها الكبرُ

كـــانما ظلهـــا فى الحـــقل مـــضطهـــدٌ

صـــمتُ السكون إليـــه جـــاء يعـــتـــذرُ

الدوحُ نشـــوانُ! فـــاخـــشع إنْ مـــررتَ به

فـضـيـفـةُ الـبـاطـشـانِ: الليلُ، والقـدرُ!

كـــأنَّ اغـــصـــانهُ اشـــبـــاحُ قـــافلةٍ

غـابَ الرفـيـقـان عنهـا: الركبُ، والسـفـرُ

مـــبـــهـــورةً شـــخـــصتْ فى الجـــوِّ ذاهلةً

كـــأنهـــا لحـــبـــيـــب غـــابَ تنتظرُ!

أوْ انهـــا نســـيتْ عـــهـــدًا، وانعـــشـــهـــا

شـجـوُ الرياح فـهـاجتْ قلبـهـا الذُكـرُ

او انهـــا والأسى المكبـــوتُ فى فـــمـــهـــا

بناتُ وعـــدٍ بهـــا عـــشـــاقـــهـــا غـــدروا

عـجـمـاءُ تنبسُ كـالـتـمـتـام عـاتبـةً

وملءُ أوفـاضـهـا التـهـويمُ والخـدرُ

يـا ســـاكب النورِ لا يدرى منابعـــهُ

لأنتَ قلبٌ يشعُّ الحبَّ، لا قـــمـــرًا

هيـمـانُ تحـملُ وجـدَ الليلِ أضلعـهُ

والليلُ تقـتـله الأشـجـانُ والفكرُ

كـــأنه زورقٌ فى الخلدِ رحلتـــهُ

تيـارهُ منْ ضـفـافِ الحـورِ منحـدرُ

يا طائرًا فى ربىَ الأفلاكِ مختفيًا

يمشى على خطوهِ الأجفالُ والحذرُ

أرخِ اللثامِ، فمهما سرتَ محتجبًا

نمَّتْ على نورك الأسدالُ والسُّترُ

علامَ ضنكَ بالأنوار فى زمنَ

إليكَ يظمأُ فيه الروحُ والبصرُ؟

الأرضُ مقتولةُ الأسرارِ ساخرةً

كأنها شيخةً بالناس تتجرُ

تقبلتْ كلَّ مولودٍ بقهقهةٍ

وقهقهةَ اللحدُ لما جاءَ ينذثر

يا طائفًا لم ينمْ سرٌّ على كبدٍ

إلا وحفكَ منْ أحلامه اثرُ

تمشى الهوينا، كما لو كنتَ مقتفيًا

آثارَ منْ دنسّوا مغناكَ واستترُوا

ليلاتكَ البيضُ والأيامُ تحسدها

عرائسٌ عنْ سباها انحلتِ الأزرُ

سمعتُ سحرك فى الأضواءِ أغنيةً

حيرىَ تأوهُ عنها الريحُ والشجرُ

وعيتها ونقلتَ السرَّ عنْ فمها

لمنْ أبوحُ به والنامسُ قد كفروا؟!

أمنت بالله! كلُّ الكونِ في خلدي
هادٍ إليه الحصى، والذرُّ، والحجرُ
ذرتْ عيونكَ دمعًا ليس يعرفهُ
إلا غريبٌ بصدري حائرٌ ضجرُ
قلبٌ، كقلبكَ مجروحٌ... وفي دمه
هالاتُ نورٍ إليها ينصتُ البشرُ
إنَّ العذابَ الذي أضناكَ في كبدي
من ناره جذوةٌ تغلي وتستعرُ
سري كلانا ونبعُ النورِ في يده
أنتَ السنا، وأنا الإنشادُ والوترُ
وأشربتنا الليالي السودُ أدمعنا
وأنتَ سالٍ، وتقسى غالها الشررُ!
كأنَّ وجهكَ في الشطآن حينَ غدا
إليكَ يومئُ من أدواحها نظرُ،
مبشرٌ بنبي... ذاعَ مؤتلقًا
على العوالم منْ أضوائه الخبرُ!
الله أكبرُ! يا ابن الليلِ، يا كبدًا
لم يُضنِ أسرارها التطوافُ والسهرُ!
بكى الحيارى على الدنيا مواجعهمْ
وصرّعتهم بلايا الدهرِ والغيرُ

وأنتَ حيرانُ منذُ المهد.. لا وطنٌ

ولا رفيقٌ، ولا دربٌ، ولا سفرُ

لكنَّ طرفكَ نشوانُ السنا، ذهبتْ

منابع السحر من بلواهُ تنهمرُ!

* * *

قفْ مرةً فى سماءِ النيلِ، واصغَ إلى

محيرينَ سروْا فى الحقل وانتشروا

قومٌ همُ الدمعُ والآهاتُ تحملها

أقفاصُ عظمٍ لهم من خطوها نذرُ!

كادتْ مناجلهمْ والله مُشربها

بأسَ الحديد منَ البأساءِ تنصهرُ!

مشوا بها فى مغانى النورِ تحسبهمُ

جنائزًا، زمرٌ أنَّتْ لها زمرُ!

جاسوا الحقولَ مساكينًا، جلابيبهمْ

توراةُ بؤسٍ عليها تُقرأُ العبرُ

يجنونَ أيامهم ضنكًا ومسغبةً

مما أفاءَ لهم واديهم النضرُ

ساءلتُ سنبلهم: ما سرُّ شقوتهمْ

ومن غبارِ يديهم مرْجكَ العطرُ؟

فمالَ واسترجعتْ عيدانهُ نغمًا

يلغو منَ الموتْ فى أصدائه سمرُ!

وإذْ بهـــا فى تراب الحـــقلِ نائمـــةُ

تحكى توابيت لم توجـــدْ لهـــا حـــفـــرُ

بكى الحـــصـــيـــدُ على أحـــزان غـــارســـه

منى ســـيُحْصـــدُ هذا الدمعُ يا قـــمـــرُ؟!

○ عَرافَة الزهَر ○

سمعتُ منْ سنبلةِ القمح ... انشودةً تبكى على السفحِ
لا دمعها دمعى! ولا نوحى ... مما أذابتْ فيه حزنَ الحقولْ
وأترعتهُ منْ شجونِ الأصيلْ

فغاب فى أوتارها وانطوىَ
حفيفَ أحلامٍ بوادى الهوىَ

استلَّ نارَ الشوقِ منْ جرحى ... وبعثرَ الآهاتِ فوقَ السهولْ!

• • •

فقلتُ: يا مخضوبةَ الرأسِ ... بذائبٍ من وجنةِ الشمسِ
يا خمرةً مخبولةَ الكأسِ ... دارتْ علىَ الدنيا بعذب الرحيقْ
وخلفتْ عاصرها فى الطريقْ

علام تبكينْ؟ اللبائسِ
غارسك المستضعفِ التاعسِ؟

أمْ قد نقلتِ الشجوَ عن نفسى ... وشجوها كالبحرِ طامٍ عميقْ!

• • •

قالتْ ولم تسمعْ صدىَ شعرى: إنى هنا عــرافــةُ الزهرِ
ابحثُ فى الكثبــانِ عن سرٍّ أشقتْ به الفلاحَ كفُّ الغيوبْ
وها أنا يطوى حياتى المشيبْ

ولم أزلْ ابحثُ عن حكمــتــهْ!
عــلام بارى الخلْدِ فى جنتــهْ

يأتى لها عريانَ فى الفجرِ ويرتدى الأكفانَ عند المغيبْ!

○ العطرُ الأسيـرُ ○

يا ربيعَ الكونِ مـا ذنبى إذا قلبى جـفـاكـا؟
الهـوى لم يسـقنى إلا خـريفًا من رُباكـا
فـانـا أوراقُ دوحٍ ذا بلاتٌ فى ثراكـا
وانا آهاتُ طيـرٍ مستضامٍ فى ذراكا
وانا عطرٌ اسـيـرٌ يسـال الله الفكاكـا
أطلقينى أنتِ، إنـى كدتُ أستافُ الهلاكا!

* * *

أطلقينى واسبحى مـا شئتِ فى الدنيا بفُلْكى
لا تخـافى الغـيبَ، إن الغـيبَ سـرٌّ شعَّ منكِ
فـإذا جـاءتكِ أيامى هوجـاءَ التـشكى
أحـرقى فى لهب النشـوة أيمـانى وشكى
وانسـخـينى قُبلةً تبـحثُ فى جـبـينكِ عنكِ
جـذوةٌ أنتِ وقلـبى حطبٌ للنارِ يبكـى...

* * *

ما لعينيك وضوء الفجرِ ناحا فى خيالى!
أأنا بحرٌ منَ الأحزانِ تشوانُ الضلالِ
كلُّ منْ شارفَ موجى ذابَ كالوهمِ حيالى!
أمْ أنا كالحبِ المشدوهِ فى كأسِ الليالى
زالَ كونى وتلاشى كلُّ شىءٍ فى ظلالى
غيرَ طيفٍ منكَ محزونِ الهوى باكى الجمال!!

○ صَلاة العُشبُ ○

رمى بنا المقدور ... فى عالم مهجور
إلا من العشب ... وأنتِ... والحب!
والليلُ فى الشطآنْ ... كراهبٍ نعسانْ
غنتْ عليهِ الجانْ ... تميمةُ النسيانْ
فذابت الأكوانْ ... والناسُ، والأزمانْ
فى خاطرٍ نشوانْ ... لمْ يسرِ فى وجدانْ
ولا سقى إنسان ... مما سقى قلبى
من خمرةِ العشبِ ... وأنتِ... والحبْ!

• • •

جاءتْ بكِ الأقدارْ ... مذعورةَ الأسرارْ!
ليليةَ الأستارْ ... خمريةَ الأنوارْ...
شُقّى حجابَ النارْ ... لخافقٍ جبارْ
منْ سحركِ القهارْ ... أبكى رؤى الأسحارْ
بالسهدِ والأفكارْ ... وذابَ كالغيبِ
فى خاطرِ العشبِ ... وأنتِ... والحبْ!

○ البعث ○

«وأحببتك بكل ما حملته حياتى كلها من الأنفاس
والدموع والأحزان..
فكنت ذلك الإيمان الذى آمنتُ بمرفقه بعد أن
طالت ضلتى فى بحر من الكفران.»

على يديكِ زمانى ... طيرَّ شقيُّ الأغانى
بكى إليك حنانى ... مروعًا مستطارا

الليلُ منه استجارا
والفجرُ ضجَّ وثارًا
والعمرُ كالطيفِ صارا

بقيةٌ من أمانٍ ... على قلوبِ الحيارى!

* * *

أشعلتِ نارَ الحنين ... على رمادِ السنين!
على لظاها دعينى ... أُصارعُ الأقدارا

يا منْ لجرحٍ توارى
وعادَ للروح نارا
هاجتْ زماني فصارا

بقيةٌ من جنونٍ على شفاهِ السُكارىَ

* * *

ماذا وراءَ الستارِ؟ يا غيبُ أوقفْ مداري!
ليلى اضلَّ نهاري فلم يعدْ لي نهارا

بل عادَ جُرحًا مثارا
أدمى الليالي ودارا
على كياني.. فصارا

بقيةٌ من دخانٍ على غروبِ الصحارىَ

* * *

هاتي لي البعثَ هاتي الموتُ ملَّ رفاتي!
فإن أردتِ حياتي قومي اسكبي الأنوارَ

وارعشي الأوتارا
احسنُّ عطركِ طارا
إلى خريفي... فصارا

بقيةٌ من شكاةٍ على ربيعِ العذارىَ

* * *

يا كـــوكـــبًا هزَّ دهرى يا فـجـرَ خلدٍ لشـعـرى
خـمـرى لديكِ وسـحـرى فـايقظى الأسـحـارا

وناغـــمـى الأطيـــارا

والهـــمـى الأشـــعـــارا

باركتِ عـمـرى، فـصـارا

بقـيـــةٌ.. لستُ أدرى! هيـا نزيحُ السـتـارا..

٢٥ إبريل ١٩١١

○ عندما حيّرها الصمتُ ○

(وهكذا وقفت وحيدةً مستوحشة فى الحياة حائرة بين الكفر والإيمان.. وجئت أنت.. وكأنى ما خلقت إلا لأنقاذك..)

قـــالتْ: أراكَ كـــأنما اذ ... هجرتْ حياتُكَ من شهابْ
وتدفـــقتْ بكَ مـــوجـــةٌ ... سـوداءُ منْ حلم الضبـــاب
فكأنّ عـــمـــرَكَ فى يدِ الأ ... قـــدارِ إعـــصـــارٌ مـــذابْ
وكـــأنّ روحكَ كـــوكبٌ ... متـــمـــرد فـوق السحـــابْ
لا النجمُ يعـــرفـــهُ، ولا ... يدرى منابعـــهُ التـــرابْ...
أفـصحْ عن السـرّ الدفـينْ ... يا أيهـــا القلقُ الحـــزينْ!

* * *

إنى أراكَ كـــمـــا بدا ... نشـــوانَ يحـــضنهُ الإلهْ
سكبـــتكَ راحـــاتُ الغـــيُو ... بِ رحـيقَ خـمـرٍ فى صـلاهْ
وكـــشـــاعـــرٍ ذُبحتْ على ... قـــيـــثـــاره الدامى رؤاهْ
نفـضـــتكَ أجنحـــةُ السكو ... ن ظلالَ مـــوتٍ فى حـــيـــاهْ

أشعلتَ فى قلبى الهوى ... وتركتنى فى النارِ! آهْ..
لو كنتَ تفصحُ أو تبينْ ... أهوىً أذابكَ أمْ جنونْ؟!

* * *

قلتُ: اصغى بهواكِ حوّ ... لىَ يا شقيةً واعصفى بى!
أنا عاشقٌ قد ذقتُ به ... بلواهُ فى عدمٍ رهيبِ
أناقصةٌ بكماءُ تزْ ... وى سحرها شفةُ الغيوبِ
أنا جدولٌ تجرى به ... الأحزانُ فى وادٍ غريبِ
ملتْ جراحُ الحبِّ ... صمتىَ فارتميتُ على اللهيبِ
رحماكِ بى.. ودعى الحنينْ ... يلقى سؤالكِ للسنينْ

وغداً.. ترَيْنَ وتعرفينْ!

○ اللّيل نشوان ○

تعالىْ نسمعِ الليلَ ... على الشطِّ ينادينا
وفى كفيهِ خمرُ الحُـ ... ـبِّ تسقيه وتسقينا
فكم دارت ينا الأيـ ... ـامُ لم تسكرْ ليالينا
ومن طافت بنا الأحـ ... ـلام لم ترقصْ أغانينا
تعالى.. فالهوى حير ... انُ يبكى فى مغانينا
أضعنا العمر عشاقًا ... وضعنا فى أمانينا
فهيا يا غرامَ الرُّ ... وحِ ننسىَ كلَّ ماضينا
وهيا نسكبُ الأشواقَ ... نارًا فوق وادينا
هنا الدنيا تنادينا ... هنا الحبُّ يغنينا
تعالىْ.. فدموعُ اللَّـ ... ـيلِ ذابتْ فى مآقينا
وخلى الغيبَ يجرى كيـ ... ـفمَا يهوىَ ويأتينا
إذا أسعدنا الحبُّ ... فما فى الكون يشقينا؟
تعالىْ.. قبلما نغدوُ ... وريحُ الموت تطوينا

ولا سـحـرّ
ولا خـمـرّ
ولا كـأسٌ بايدينا

○ الطريق إلى الله ○

ظمئتُ إلى الله يومًا.. فلمْ
أجد خمرتى غير هذا الجسدْ

على ثغرهِ آيةً أفلتتْ
بأسرارها منْ نبىٍّ الأبدْ

على شَعرهِ عالمٌ فوقهُ
وعودُ الهوى مبهماتُ الأمدْ

على نحرهِ هالةٌ حدثتْ
برؤيا ملاكٍ عليها سجدْ

وفى جفنه نبأٌ تائهٌ
لغيرِ الهوىَ فى دمى لم يردْ

وفى هدبه بغتةٌ عذبةٌ
كأنى بها ساحرٌ مستبدْ

وفى قده.. جلَّ بارى الصبا
صلاةً مقيدةً فى جسدْ

سجا نهرهُ.. ليتنى زورقٌ
مدى العمرِ فى لجةٍ يرتمدْ

وقال: الهوى! قلتُ: هات الهوى
فذاتى بذاتكَ حلمٌ شردْ

أذبتى بنارِ تعبدتها
ولم يلهنى عنْ لظاها أحدْ

ظمئتُ لها والدجى ماردٌ
يفرقُ ما بين كأس ويدْ

فلمْ تسقنى غيرَ هذا السرابَ
وهذا العذابَ، وهذا الكمدْ!

فعدتُ بأيامى اللاهثاتِ
صدى آهة فى حنايا كبدْ

طريقٌ إليكَ انتهى واتحدْ...

○ اللّحن المقهور ○

ليتنى كنتُ صلاةً في كهوفِ الناسكينا
أتلاشى في طريق الله شوقًا وحنينا

* * *

ليتنى كنت غناءً تائهًا بين الصحارى
هزنى طيرٌ غريبٌ فوق ركبانٍ حيارىَ

* * *

ليتنى كنت شعاعًا في ليالى الحائرينا
أسكبُ السلوانَ للدمعِ وأغتالُ الأنينا

* * *

ليتنى كنت سكونًا خاشعًا بين الجبالِ
تتلاقى فيَّ آيا تُ وجودى بالزوالِ

* * *

ليتنى كنت غدًا لا تعلمُ الأقدارُ سرهْ
أوْ نشيدًا ضنَّ شادى الغيبَ أن يعزفَ نبرهْ

* * *

ليـــــتنى كنتُ على ... لجِّ البحارِ الخضرِ زورق
كيفما شاءت بيَ الريحُ ... على الأمواجِ تخفقْ

* * *

ليتنى كنت حفيف الغابِ ... فى آذانِ بيدِ
يسمعُ الليلُ صبابا ... تى ويصغى لنشيدى

* * *

ليتنى كنت صفيرَ الـ ... ـحبِّ من نايِ الرعاةِ
تشربُ الكثبانُ والقطـ ... ـعانُ خمرًا من لهاتى

* * *

ليتنى كنت عصًا فى ... كفِّ أعمى لا يراها
هى تهديهِ ولكنْ ... من إلى النورِ هداها!

* * *

ليتنى كنت غرامًا ... بين جنبى عاشقين
سمعا إنشادَ نيرا ... نى، فظلاَّ خاشعين

* * *

ليـــتنى كنتُ رياحًا ... تهتفُ الآبادُ منها
أنا أهواها ... ولكنْ ... رغمَ أنفى لم أكنها!

○ الزَهْرَةُ اليتيمَةُ ○

لئنْ مـات حـولكِ نورُ الضحىَ ورانتْ عليكِ سـتـورُ الظلامْ
فـلا تحـزنى.. فـالهـوى فى دمى صـبـاحٌ يزلزلُ هذا القـتـامْ

وفـجـرٌ مـدى الدهرِ يبقى لكِ
تشـعـشعُ أنوارهُ حـولكِ
وتسـقـى أباريقـهُ ليلكِ
سناً خـمـرةٍ لم يذقـهـا الأنامْ

* * *

وإنْ مـاتَ حـولك سـاقى الندىَ وفحتْ لديكَ أفـاعى الهـجـيـرْ
فـلا تجـزعى.. إنَّ روحى بهـا لأهـاتِ رَوْضِكِ؛ نبعٌ غـزيـرْ

يفـجـرهُ عـانيًا سـحـركِ
ويسكرُ امـواجـهُ عطركِ
فـتـجـرى ويجـرى بهـا نورُكِ
إلى أن نلاقى الركـابَ الأخـيـرْ!

* * *

وإنْ ماتَ حولكِ ساجي الظلال ... وناحتْ بأرضكِ ثكلى الرياحْ
فلا تجزعي... فأنا نسمةٌ ... وظلٌّ عليكِ رطيبُ الجناحْ

وطيرٌ نما عودهُ في يديكِ
فإنْ أومأ الحزنُ يومًا إليكِ
عصفتُ بلحني وعشي وأبكي
لأغني وأشربَ عنكِ الجراحْ

* * *

وإنْ ماتَ حولكِ زهرُ الربىَ ... وكنتُ اليتيمةَ فوقَ الهضابْ
فلا تذرفي دمعةً... إنني ... خُلقتُ لأحملَ عنكِ العذابْ

كلانا غريبٌ يتيمُ الزمانْ
فهيا نجددُ زهرَ الجنانْ
ونقطفُ من قبلُ بعضى الأوانْ
ونقطفنا قبضةً من ترابْ

* * *

وإنْ ماتَ حولكِ منْ في الثرى ... وأصبحتِ مفردةً في الجيالْ
فلا تندبي فانيًا... إنني ... أرى فيكِ كونًا يذيبُ الزوالْ

ففيكِ الإلهُ الذي أعبدُ
وفيكِ الخيالُ الذي أنشدُ
وفيكِ الهوى والصبا والغدُ
دعيني أسبِّح بهذا الجمالْ

○نشيد الأغلال○

«وانشبتْ أظوافها فى زمانه بالحيرة والعذاب.
تسقى.. وتقول الرحيل!
«وتنزف الكأسَ.. وتجثو على حطامها، كثاكلة خانها المزار فعزف لها هذا النشيد.
فعادت خاشعة مسحورة بجراحها وأصفادها، تقول لنفسها:
«ألا عودى أيتها العاصية!
فما أنت بمستطيعة الفكاك، ومالك من مهرب..»
١٢ إبريل ١٩٤٣

سئمتُ عذابَ الحبِّ! فليمضِ عطرهُ
وسحرُ أغانيه إلى غيرِ رجعةِ!
سقانى بما لم يسقَ منه محيرٌ
على الأرض، يسقى الموتَ فى كلِّ خطوةِ
وقيَّدَ أيامى بنارٍ حملتها
مقيدةَ الأنفاسِ حولَ سريرتى

وألقى شبابى فى هشيم مفزع

يباغتهُ الإعصارُ من كلّ وجهةِ

فيا منّ أناديها، فيأتى جوابها

أناشيدَ أحزانٍ تفتتُ مهجتى

ويا من أوافيها وقلبى مرفرفٌ

فيرتد مخنوقَ الأسى كالذبيحةِ

ويا من أغنيها فينسابُ دمعها

كأنّ أغارِيدى معينُ البليةِ

ويا من يحبُّ القلبُ، دنياكِ طلقةٌ

فخلى بقايا الحب تُبلى بقبتى!

هبينى انطلاقَ الروحِ... إنّ صبابةً

منَ الأفقُ الأعلى تنادى حشاشتى

عبيدتكِ حتى لم أدعْ لمتيمٍ

على هذه الدنيا خيالاً لنشوةِ

سلى العشبَ: هل خمرُ الأصيلِ تدفقتْ

لغيرِ خطانا فوقه كلّ زورةِ؟

سلى الريحَ: كم مرتْ بنا وهى زامرٌ

يرنحُ بالأنفاس نايَ «الجزيرةِ»؟

لها زجلٌ دامى الرنينِ كأنما

تذيعُ شكاياتِ الزمانِ الخفيةِ

ادارتْ كؤوسًا اترعتها بحبنا
غرامًا، وطارت للضفافِ البعيدةِ
هبينا رياحًا يا رياحُ، وسافري
سراعًا بنا نحو المغانى السعيدةِ
شقينا على الدنيا فلمْ نرَ فوقها
سوى خطواتٍ حائراتٍ التلفتِ
الا ليت هذا العمرَ كأسًا، وحبنا
رحيقًا، ونحسو الحبَّ حتى الثمالةِ!
هبينى انطلاقَ الروح... إنى مصفدٌ
بجرعُ من وهمِ الهوى وهمَ خمرةِ
أدورُ بعينى تائهٍ فأرى الصبا
ظلامًا شقيًا فى ليالٍ شقيةِ
واسكرُ... لا من أىِّ خمرٍ! وإنما
غرامكِ والأشعارُ أذهلن يقظتى!
أراكِ فيهتاجُ الأسى فى سريرتى
كما هاجت الذكرىَ بنفسٍ حزينةِ
بعينيكِ معنىً لستُ بالغَ سرهِ
ولوْ قادَ نورُ الغيبِ أسرارَ نظرتى
رحيقٌ بكأسٍ؟ أم سكونٌ بواحةٍ؟
ورؤيا بفجرٍ؟ أم صلاةٌ بكعبةِ؟

وفى وجهكِ النشوانِ عطرُ صبابةٍ

يذكر أحلامى بطهرِ النبوةِ

وصوتُكِ أم ذكرى حنينٍ مرجعٍ

يدندنُ فى قلبٍ غريبٍ مشتتِ؟

أحسُّ به فى كل فجٍّ بخاطرى

صدى قبلةٍ حيرى إلىَّ تهادتِ

رفيقٌ بأيكٍ؟ أم نشيدٌ على فمٍ

إلى اليوم لم يخفقْ صداهُ بنبرةِ؟

سرقتِ حياةَ الموجِ، طوزًا وديمةً

كحلمٍ حزينٍ، أو تبسمِ طفلةٍ

وطوزًا هديرُ البحرِ منك ارتعاشةُ

كأنكِ بحرٌ من شبابٍ وفتنةِ!

وصدرك لو يدرى الهوى وهوَ قاتلى

أمانٌ لروحى من رياحِ المنيةِ

نشيدٌ به لحنانِ من قلبِ مزهرٍ

يد الله كانتْ فيه أقدمَ ريشةِ

وطيرانِ فى أيكٍ زوى الخلدُ عطرهُ

فحرّمَ لا يسرى به طيفُ نسمةِ

وحلمانِ، لكنْ من لهيبٍ ونشوةٍ

غريقان فى الرؤيا بأعمقِ غفوةِ!

وذاتُكِ فجرٌ فى ليالىَّ هائمٌ

يُباركُ بالأنوار محرابَ عزلتى

تنزهَ عن قيد الزمانِ، فعمرهُ

خلودٌ مضىَّ فى الضحى والعشيةِ

وثغرك يا وحى الأناشيد رحمتى

إذا ظمأُ الإلهامِ أشغلَ غُلتى

غنائى، وخمرى، وانتعاشى، وسكرتى

وسحرى، وشعرى، وابتهالى، وسجدتى

تمنَّعْ حتى كادَ لوّ خطرتْ به

بقائك يرميها بإثمِ الخيانةِ

كأنى به نبعٌ منَ النورِ والهوى

تخيرَ للحرمانِ أمنعَ ذروةِ

هبينى شعاعًا فى الضحى رفَّ حوله

وصلى ولاقى الله فى خيرِ بقعةِ...

سلامًا نجىَّ الروحِ يا طيف روحها

إذا هى أشقاها هوانا فملتِ

تظلُّ تصافينى إذا صدَّ نورها

وتحنو إذا ازورتْ دلالاً وتاهتِ

أريدُ لأنساها: فألقاكَ فى دمى

نبيًا من الذكرى عتىَّ الرسالةِ

تشـــعـــشعُ بالأحـــلام روحى وفى الكرى

تفـجـر مـوسـيـقَا الحنانِ الشـجـيـة

سـلامًا حـبـيـب الروح يا طيفَ روحـهـا

أغث شـجنى، وارحمْ شـبـابى وعلّـتى

أعنى على نسـيـانهـا، وامضِ طائرًا

يعـيشُ على ذكـرى الهـوى فى الخـمـيلة

تركتُ لكَ الماضى ربيـعًا مـقـدسًا

فـأيانَ تطرقَ فـيـه تسـمعْ تميـمـتى

فـفـيـه جـلالٌ مـثلمـا فـيكَ خـالدٌ

وفـيـه كـمـا فـيـهـا عـوالمُ هيبـةِ

وفـيـه رُبىً خـضـرُ الظلالِ عـوارفٌ

بسـرٌ هـوانا فى شـذى كلِّ زهـرةِ

فطفنا مـثلمـا طفنا زمـانًا بسـاحـهِ

وذقْ فـيـه طعمَ السـحـرِ من كلِّ ذرةِ

وناجِ طيـورًا لم يزلن بأفـقـهِ

يـرتلـن تـوراةَ الهـوى كلَّ ليـلـةِ

وحـومْ على غـدرانه تلقَ عندها

أمـاسـيًّنا سكرى على كلِّ ضـفـةِ

وعلمنى السلوان إن كنتَ سـالـيًا

فـإنى عنـه فـى عَمـاءٍ وضَلـةِ

ظللتُ على نارى أراودُ طيفه

فيخفى ويرمينى بنارٍ جديدةِ

فيا ربة الأحلامِ فكّى وثاقها

ولا تحسبيها غيرَ رؤيا جميلةٍ!

تريدين أسرى فى الهوى، وأنا الذى

تحطمُ أغلالَ الزمانِ سكينتى

الا أطلقينى للسماءِ، وحلقى

إذا شئتِ فى دنيا خيالى الرهيبةِ

غدوتُ رمادًا أنتِ سرُّ انطفائهِ

وأنتِ به سرٌّ يخلدُ جذوتى...

الا منْ لطيرٍ فى روابيكِ هائمٍ

ويشتاقُ للحرمان فى كلِّ لحظةٍ!

هبيهِ لصحراءِ الأسىٰ، فلربما

يضىءُ من الأحزانِ نورُ الحقيقةِ!

○

○ بُكاء الرَمَاد ○

وما أنا إلاّ شعاعٌ غريب ... تألقَ بين جفون الضبابْ
له نفثةٌ من وراء السديم ... تثيرُ على الأرضِ حزنَ التُرابْ
له نشوةٌ فى الأسىَ والعذاب ... أما أىُّ جمرٍ بهذا العذابْ!
توهج حتى بكاهُ الرمادُ ... وأغفى فجُنَّ عليه السحابْ
يلومون فيه اشتعال الضياءِ ... وهل يملكُ النار قلب الشهابْ
تطلعَ إشراقُه للسماءِ ... فأوشك أن يستشفَّ الحجابْ
وخانتهُ إيماءةٌ للثرى ... فلم يلق إلاّ الدُّجى والخرابْ
فظلَّ على ناره والهًا ... يدمدمُ كالموج بين العباب
حزين وتضحكُ آهاته ... شقىٌّ ويلهيه سحرُ الشبابْ
يعيش على الوهمِ فى عالمٍ ... يجمد للطين وهمَ السرابْ!
أليلاىَ ماتَ بقلبى الرجاءُ ... وابلت حياتى الأمانى الكذابْ
وتهتُ فلم أدرِ أنى التفتُ ... إلى أى افقٍ أسوقُ العتابْ!

○

○ التـــرابُ الحَائـــر ○

(نـار ونفـس)

«عندما تصل النفس للأعماق.. يكون
قد لمس جناحها حديد الأقفاص!»

ظمـــئت ناري! وللنار كـــمـــا للناس خـــمـــرٌ ورحـــيقُ
ولهـــا حـــانٌ، وخـــمـــارٌ، وأقـــداحٌ، وإبريقٌ عـــتـــيقُ
وندامـــاها أسى العـــشـــاقِ، والأحـــزانُ، والسـرُّ العـــميقُ..
وبكتْ نفـــسي! وللنفسِ دمـــوعٌ حـــين تبكي وشـــهـــيقُ
ولهـــا كـــالحطب المشـــبـــوبِ أزٌّ في حـــشـــاها وحـــريقُ
ولهـــا كـــالأفقِ الغـــضـــبـــانِ إعـــصـــارٌ ورعـــدٌ وبروقُ..

* * *

فـــســـألتُ النارَ: من أظمـــا يا نارُ على قلبي لظاكِ؟
كيف أسقيك؟ وأي الخـمـرِ ترجو من زمـاني شـفـتـاكِ!
مـــا بكأسي غـــيـــرُ نارٍ كـــالتي يحـــملُ بلواها حـــشـــاكِ

وسألتُ النفسَ: من علمَ دمع العين يجرى فى حماكِ؟
كيف أسقيك من السلوان والسلوانُ معنىٌ من أساكِ؟
ما بكاسى غير دمع أترعتهُ من دمى يومًا يداكِ!

* * *

قالت النارُ: فضحتَ السرَّ فاصمت لا تحدثْ عن لهيبى
إن تكنْ نارك من نارى فلا تسألْ عن السر الرهيبِ
واركبِ الريحَ، وخل الجنَّ يُسرِ جْن لها طيرَ الغيوبِ
فإذا شارفتَ عذراءَ تناديكَ على شطِّ الغروبِ
فاسقنى من جدولٍ فى ثغرها يضرمُ بالشوقِ المذيبِ
وانسنى فى جذوةِ الأنفاسِ لا تزعج لظى خمرى وكوبى..

* * *

وهفا بالنفس ما يهفو بغصنٍ فى يدِ الإعصارِ يعولْ
ثم قالت: كيف عن دمعى ومنكَ الدمعُ يا حيران تسألْ؟
إن أكنْ فيك سكنتُ الجسمَ والجسمُ ترابٌ يتنقلْ:
فأنا طيرٌ بعرش الله لى عشٌّ، وبستانٌ، وجدولْ
إنما أبكى لهذا القفصِ الداجى الكئيبِ المتململْ
لم يجد أى عزاءٍ فى وجودى.. كيف يغدوُ حين أرحلْ؟!

○ خمّـر الـزّوال ○

«ناداها وهي جامحة.. فسقط منها سر الطريق..!»

لا تتـركـيني في ضـلال بين الحـقـيـقـة والخـيـال
إني شـربت على يديكِ مع الهـوى خـمـرَ الزوالْ

* * *

أصـبـحت.. لا نغم يفـجّر لي الصلوّ ولا ربابْ!
قلبي حشاشـةُ طائـرٍ في الصيف أحرقه اليبابْ
عـمـري بقية مـوجةٍ حيرى تخطفها العبابْ
في زاخـرٍ لم يدرِ سـابحـةٌ أبحـر أم سـرابْ!
رحـمـاكِ.. لم أصبحْ سوى شبح يسـيرُ على ترابْ..
لا تتـركـيني زلةً في الأرض تائهـةَ المتـابْ
إني شـربتُ على يديكِ مع الهـوى خـمـرَ العـذاب

* * *

أصبحتُ أشواقًا معذّبةً تضيءُ من الحنانْ
وأسيرُ يدور فلا تقرُّ له على كبدٍ يدانْ
وصدىً تجمّدَ في الأثيرِ فكادَ يُلمسُ بالبنانْ
ورفاتَ أغنيةٍ لحبكِ لم تزلْ تشجي الزمانْ
رُحماكِ ما بيدي إلا من غرامكِ دمعتانْ...

لا تتركيني فيهما لهبًا يذوبهُ الجنانْ
إني شربتُ على يديك مع الهوى خمرَ الهوانْ

* * *

أصبحت.. لم أصبحْ! ولم يشرقْ على خلدي صباحْ
أنا ظلمةٌ سكرى بأقداحٍ تطوف بها الرياحْ
في قفرةٍ نسيت فلم يخفق لطائرها جناحْ
وبكى بها الصمت الغريب وناح من فمه النواحْ
رحماكِ! نورك فوقها قدرٌ لغيري لا يتاحْ
لا تتركيني ذاهبًا كخريفِ لحنٍ في صداحْ
إني شربت على يديك مع الهوى خمرَ الجراحْ

* * *

الليل يا ليلاي لم يتركْ على كبدي أنينْ
إلاّ وسارَ به غناء في صحاريَ العاشقينْ
وسرى بلوعته شراعًا لا يسيرُ به سفينْ
يجري على موج الحياة علالةً للبائسينْ
أرأيتِ حيرانًا يلوذ به عذابُ الحائرينْ؟!

لا تتركيني يا شقيةُ غنوةَ الزمن الحزينْ

إني شربتُ على يديك مع الهوى خمرَ السنين

* * *

بكت «الجزيرةُ» حين قلت لها: وداعًا لن أعودْ!

وتأوّه العشبُ الحبيبُ وولولتْ فيه العهودْ

والريح زوّعها الرحيلُ.. كأنها فزعٌ شرودْ

والموج إعصارٌ تمزّقَ، أو تيار النهودْ

أرأيتِ كيفَ غدا الهوى عدمًا توهّمهُ وجودْ؟

لا تتركيني بعده حسراتِ لحنٍ فوق عودْ

إني شربتُ على يديكِ مع الهوى خمر الخلودْ

* * *

مرّت ليالينا كما الأوهامُ... عودي يا ليالي!

إني كتبتكِ في الزمان سطورَ غيبٍ في خيالِ

إني سمعتك في الحياةِ أنين ليلٍ في رمالِ

إني رأيتكِ أدمعًا سوداءَ جاثمةً حيالي

أرأيت كيف طوت صباي فماتَ أحزانُ الجمالِ؟!

لا تتركيني كالرُّدى أردُ الفناءَ ولا أبالي

إني شربتُ على يديكِ مع الهوى خمرَ الضلالِ

* * *

أذكرت حين جئتُ لديكِ صبابةُ الليلِ الجميلْ؟

ووضعت رأسك فوق صدر لا يفارقهُ الغليلْ

فشجنك فى القفص المحطم ذبحة الطيرِ القتيلْ
وسمعتِ منه مع الظلام تفجعَ الماضى الطويلْ
ورأيتِ فيه خُطا غرامكِ فى ضباب المستحيلْ
لا تتركينى عاصفًا فى الليلِ يزهقه العويلْ
إنى شريتُ على يديكِ مع الهوى لهب الرحيلْ

* * *

أواهُ إنْ ولّى هواكِ وجاء يصرخ لى هوايْ!
ودعوتُ نورك للغرام فردَّ جرحٌ منْ صدايْ!
ومددتُ كفّىَ للسلام فصافحتكِ على حشايْ!
وذهبتُ ملهوفًا إليك فلم أجدْ إلاّ خطايْ
وبقيةً مما وعى طيرُ «الجزيرةِ» من بكايْ!
لا تتركينى عازفًا أردُ الضفافَ بغير نايْ..
إنى شريت على يديك مع الهوى بلوى صبايْ!

* * *

ماذا أقولُ إذا الهوى أومأ إلىَّ ولم يُنادِ؟!
وإذا الرحيقُ دعا فكيف يجيب خمرتهُ فؤادى؟!
وإذا تألقتِ الرؤى ومضت توهّج فى وسادى
ورنا لى الماضى بطيف منك مرتعش الحدادِ..
فبأى كأس من دمى أسقيه أحزانَ المعادِ؟!

لا تتـــركـــينى ضلةً فى الأرض ثاكلة الرشـــادِ
إنى شـــربتُ على يديك مع الهـــوى ندم الرمـــادِ

* * *

لا تســـاليني بعـــد يومك كـــيف أيامى تســـيـــرْ!
إنى حُداءٌ ســـاخـــر بقـــواطلِ الزمنِ الكبـــيـــرْ
لكن ســـأصـــبحُ أهةً ولهى مـــضـــيـــعـــة المصـــيـــرْ
فى صـــدر مـــصلوبٍ شـــقى الموتِ مظلومِ الضـــمـــيـــرْ
فـــإذا ســـمـــعت صـــبـــابةً غنىَّ بهـــا وترى الأخـــيـــرْ
لا تتـــركـــينى بعـــدها أهوى الســـمـــاءَ ولا أطيـــرْ
إنى شـــربتُ على يديكِ مع الهـــوى جـــرَعَ الهـــجـــيـــرْ

* * *

وإذا تســـائلكِ المغـــانى... أين شـــاعرها الحـــبـــيبْ؟
قـــولى لهـــا: بل أين فـــيكِ خـــيـــالةُ الغـــردُ الرطيبْ؟
إنـــا وهبـــنا روحـــه قـــبـــسًا لعـــالمِه الرهيبْ
فـــغـــدا شـــعـــاعًا هائمًا يهـــتـــز فى فلكٍ غـــريبْ
يـــا فتنة الماضـــى حـــنا نك وارحمى نغمى الكئيبْ
لا تـــتـــركـــينى مـــوجـــة تفنى وشـــاطئـــهـــا قـــريبْ
إنى شربت على يديكِ مع الهوى وله المغيبْ!!

* * *

من أى نور بعد نورك يستقى زمنى سناه؟
وبأىّ عطرٍ بعد عطرك يحتسى قلبى شذاه؟
وبأى خمرٍ بعد خمرك خافقى ينسى أساه؟
وبأى سحرٍ بُعد سحرك أشتهى مالاً أراه؟
وبأى وحىٍ بعد وحى هواك يُلهمنى الإلهْ؟!
لا تتركينى دمعةً تجرى بأجفانِ الحياهْ
إنى شربت على يديك مع الهوى... واحسرتاهْ!

* * *

لا تتركينى فى ضلالْ بين الحقيقة والخيالْ
فلربما أفنى، ولا يفنى معى طيفُ الجمالْ..
ولربما أنسى، ونارُك فى رمادى لا تزالْ!
إنى هلاكٌ لا يريدُ البعثَ من فرط الملالْ..
شرب الهوى من راحتيك.. فراح يشربه الزوالْ!!

○ العِطرُ الكاذبُ ○

«رآها ترش العطر على ضريح ماضيها
فقال لها: صوتي زجاجك فالعبير
لايدفن الخطايا!!»

عادتْ.. ولكنْ لأيكٍ ... بينَ الخمائلِ غرٌّ..
قصَّت عليه صباها ... وأغفلتْ نار سرى!
ولم تقل: كنتُ يومًا ... صبابةً فوقَ ثغرِ
ولم تقل: كنتُ يومًا ... تنهدًا فوق صدرِ
ولاروتْ لرُباهُ ... ما كان بالأمسِ يجرى
وكيف كانتْ رحيقًا ... تحت الجوانحِ يسرى
وجدولاً من غرامٍ ... يسقى لياليه نهرى
وكيف دسَّتْ هواها ... وغلَّفته بطهرِ!
وذاقت الوصلَ منه ... سنين دمعٍ وجمرِ
نوحٌ وسُكرٌ وكانا ... على مزاميرِ شعرى
تبكى وتسقى أساها ... بنشوتى، وبسحرى

وتعصرُ الشُّهدَ خمرًا ... تعبها كلُّ فجرِ

وكيف كانت حنينًا ... وهبته نار عمرى

وكيف لاذت بجنبى ... كأنها بعضُ صدرى

وكيف جُنَّتْ غرامًا ... وولولتْ حول وكرى

تخطفتنى وطارتْ ... إلى غيابةِ دير

شربت فيها صباها ... حتى تلاشت بشفرى

ولم أدعْ فيه شيئًا ... من الرحيق لغيرى..

عادت هشيما رمتهُ ... هناك قمةُ نسرِ

تزينتْ واستحالتْ ... كزهرةٍ فوقَ قبرْ

العطر فيها خطايا ... ذواتُ أفنانِ غدرِ..

عادت وحطتْ بأيك.. ... ويلاهُ! لو كان يدرى

باعت إليه بقايا ... يعافها كلُّ حُرّ!

○

○ الوهجُ الأخيرُ ○

وقالها الشك...
فصنعت سراً وناراً،
وراحت تجوب الأفاق..
علها تدفئ فناءها بغربة الأشباح!...

ولما رفعتُ الستْرَ عنها وجدتها
ولا حزنَ.. إلا أنها أدمعُ السرِ!

* * *

بكاء عميقُ الشجو يدريه من رأى
تناوح من تدعو اليفًا إلى وكرِ!

* * *

فقلتُ لها: من أنتِ؟ قالت: سجينةٌ
بحبكَ تشتاقُ الخلاصَ من الأسرِ!

* * *

فقلتُ: وفيما الدمعُ؟ قالت: شقيةٌ
يعذبها الحرمانُ في نشوة العمرِ!

فـقلت: ومن أين الخـلاصُ؟ فـأومـأتْ
بعـين تدسُّ الذلَّ فى نظرة الكبـرِ!

* * *

وقـالتْ: صـبـرنا والهـوى غـيـر راحمٍ
وأقسى عـذابِ العـاشـقـينَ من الصـبـرِ!

* * *

فـقلت: ومـاذا يشـربُ الليلُ؟ إننا
حـملنا له زادَ الأناشـيـدِ والشـعـرِ؟

* * *

فـقـالتْ: رحـيـقًا من هوانا وسُكرنا
فـقلت: لقـد طال الحنين إلى السُّكرِ؟

* * *

قـالت ذبحنا الليل نجـوى وحـرقـةً
فـقلتُ: وكـدنا نصطلى مـوقـد الفـجـرِ!

* * *

فـقـامت ونعش الليل سـجَّاه ثوبهـا
بليلٍ عليـهـا جـازع اللونِ والعطرِ!

* * *

وشـقَّتْ حـجـابًا كـان أعـتى من الردىَ
وأمنعَ من غـيـبِ المقـاديرِ لو تدرى

* * *

وحطت على صدري فقلت حمامة
خذا الروعُ مسراها إلي قبضة النسر

* * *

معذبةً ظمأى، وهذا شرابها
رحيقٌ هوى أشهى لديها من الخمرِ!

* * *

تئنُّ بجفنيها، وتبكي بصدرها
ويا مرَّ دمعِ الباكياتِ من الصدرِ!

* * *

وتنبضُ في أوصالها كلُّ ذرةٍ
بما يكتمُ الموجُا لمفصدُ في النهرِ!

* * *

وتغمضُ أجفانًا ليالي سهادها
هوالكُ جنٌّ في طريقٍ إلى قبرِ!

* * *

وتحلمُ بالخلد الذي هي صحوهُ
وفي دمها دنياهُ ريعانة الزهرِ!

* * *

ويزأرُ منْ أعصابها كلُّ ساكنٍ
يقيده جوعُ العفافِ إلى الستر!

* * *

توهجتُ أشـــواقًا لديهـــا، فـــاوغلتْ
وذابت فكانت جـــذوةُ الدهرِ فى جـــمـــرى

* * *

وكـــانتْ غناءً أســـمـــرَ اللحنِ ذابلاً
حـــملتُ به دينَ العـــذابِ من الســـمـــرِ!

* * *

ولما رمى فى الســـقـــامُ تمردتْ
وظلت ضـــبـــابَ الموتِ خـــيمَ فى صـــدرى

* * *

فـــراحت على الماضى تحطُّ غـــمـــامـــةً
ســـيقشعها . مهما تكنْ . عاصفُ الدهرِ!

* * *

وطافت بحب كـــتـــمـــتُ ســـرَّ ناره
وحطتْ خـــيـــاناتِ الزمـــان على غـــيـــرى!

١٧ ديسمبر ١٩٤٥

○ نـارُ الغـروب ○

عندمـا يسـبلُ المغـيبْ جـفنه الدامعَ الكئـيبْ
ألمح النورَ فى الكثـيب شـاعـرًا فى يد الضنى
خـانه لحنهُ الأخـيـرْ!

* * *

عندمـا ينفضُ المسـاءْ وحـشـة الليلِ فى الفضـاءْ
أرفعُ الوجـه للسـمـاءْ رب لو كـان لى جناحْ
كنتُ عن عـالمى أطيـرْ!

* * *

عندمـا ينطوى الشـراعْ مـخـفـيًا حـرقـةَ الوداعْ
ينصب الليلُ فى البـقـاعْ خـيـمـة الحبِّ داعـيًا
كل ذى لوعـةٍ يسـيـرْ!

* * *

أسـرع الطيـر فى الإيابْ وسـجتْ صـيـحـةُ العـبـابْ
ومـضى النهـرُ فى عـتـابْ يسـأل العـشبَ والحـصى:
أين يمـضى بىَ المسـيـرْ!

* * *

وأنـــا واقـــفٌ تـــريـــقْ نظرتى حـــســـرةَ الرقـــيقْ
أينمـــا شـــئتُ لى طريقْ وإذا رمـــتُ خـــطـــوة
راعنى أننى أســـيـــرْ!

* * *

ها هنا كـــان لى مـــزارْ فـــيـــه ليلى والانتظارْ
وجـــحـــيمٌ بلا أوارْ كلمـــا شبَّ فى دمى
قلتُ: يا لذةَ الســعـيـرْ!

* * *

تؤذنُ الشـمس بالرحـيلْ وأنا عـنده أمـــيـــلْ
فـإذا عـشُّهـا الجـمـيلْ يتلقى صـــبـــابتى
كـحـمـامٍ رأى غـديرْ!

* * *

ها هنا خـفـقـةٌ وبابْ ويد ترفعُ الحـجـابْ
وجـبـيـنٌ له عـذابْ لوَّحَ العـشقُ نارهُ
فـهـو شكوى بلا مـجـيـرْ!

* * *

أسـمـرٌ شـفـةُ العـتـابْ وكـوى سـحـره الغـيـابْ
فـهـو أشقى من السحـابْ فى غـروبٍ على الرياحْ
جـائمِ الصدر كـالهـجـيـرْ!

* * *

هـا هـنـا.. وارتمـى علـىّ صـدرها الجـازعُ الشـقى
جـسـدٌ كـان فى يدىْ زورقًـا جـامـح الخطا
للأعـاصـيـرِ والهـديرْ!

* * *

دان عـــرشُ الهـــوى لنا وجـــثـــا الأفقُ حـــولنا
ورعـــى الـــلـــهُ مـــلـــكـــنـــا فـــغـــدا النيل صـــولجًا
والدجى تحـــتنا ســـريرْ

* * *

لـم تَـزَلْ نـارُنـا هـنـاكْ تسـأل الليلَ: مـا دهاكْ؟
أين صـنـدران فى حـمـاك كلمـا خـانتنى اللظى
أوْقَدانى بلا سـعـيـرْ؟!

* * *

لم يزل عـشـهـا الحـزينْ يمـــزجُ الذلَّ بالحنينْ
فى يدِ الشكِّ واليـقـينْ حـائرًا، يشـبـه الأسى
فـيـه إطراقـة الضـريرْ!

* * *

يسـألُ الصـبحَ والمغـيبْ وينادى، ولا مـجـيبْ
كـيف عن مـوعـدى تغـيبْ وتولّـى حـمـامـتى
وزمـانُ الهـوى نضـيـرْ؟!

* * *

آه لـو كـان لى جناحْ! ويـأمـرى خطا الرياحْ!
آهِ.. لـكـنـنـى جـراحْ ضـيَّع الحـزنُ سـرَّها
فـغـدت تجـهلُ المصـيـرْ!

* * *

عندمـا يشـبـهُ الغـروبْ مـذنبًا كـاد انْ يتـوبْ
اجـعـلينى به ذنوبْ واذكـرينى كـتـوبةٍ..
علهـا توقظُ الضـمـيـرْ!!

○

○ المعبَد المرجُوم ○

«... وكيف أكفر بك إلا إذا كفرت بكل ما هو جميل
نقى فى ماضى وحاضرى ومستقبلى!!»

بنى لى الحبُّ ديرًا.. كنتُ إن هتفتْ
حولى المآذنُ للرحمن أقصدهُ

* * *

فضتْ مجامرها فيه مزنرةً
بالليل، طوقها بالحزن ساعدهُ

* * *

ألقى الحِدَادُ عليها من شعائرهِ
غلالةً، وسقاها السحرَ أسودهُ

* * *

سمراء يعرفها ضوء المغيب، فكم
تاوهتْ، فدعتْها للهوى يدهُ!

* * *

فـــرفـــرفتْ، وتلاشتْ فى تنهـــدها
فلفـــهـــا فى ســـعـــيـــر الحبِّ مـوْقـــدهُ

* * *

كـــــانتْ وكنتُ جَناحي طائرٍ، ذهبتْ
ريـــحُ الليَّالي عن الأوكـــارِ تبـــعـــدهُ

* * *

أضلهُ من يضلُّ الحظُّ، فـــارتبكتْ
غـــصـــونه، وعـــوى فى الدوحِ مـــرقـــدهُ!

* * *

تشـكـو إلىَّ، واشـكـو نـارهـا لـدجىً
أصم، يشكو عـــذاب الأســـرِ مـــعـــبـــدهُ

* * *

واهًا علينا، نعبُّ الســـحـــرَ من قـــدحٍ
ســـاقـــيـــهِ مـــا برحتْ نواحـــةً يدهُ!

* * *

تنهـــدٌ، ولظى خطو، وعـــاصـــيـــةٌ
كـــذابةُ الجـــسمُ تغـــريهِ وتبـــعـــدهُ!

* * *

تصـــد مناعـــةٌ.. ترتدُّ راغـــبـــةً،
تناقضت.. وهى تدرى مـا ستقـصـدهُ!

* * *

شقية تعشق النيران أغصانها
وتشتهي.. وبها شيء تعاندهُ

* * *

ظلتْ تجاذبني، أهفو فيبعدها
سحر، إذا عدتُ تدنيها سواعدهُ!

* * *

قديسةً! وبها أنثى معذبةً
ما ذنبها والهوى قد حان موعدهُ!

* * *

طيرُ الغريزةِ نواحٌ على دمها
وكل جارحةٍ لحنٌ يرددهُ

* * *

وحين مستْ لظى الأعماق نشوتها
وكاد يفلتُ منها ما تراوده،

* * *

تأهبَّتْ وغدتْ في الذعر لفتتها
طيرًا أذل جماحَ الأفق صائدهُ!

* * *

أخنى هواها على المصباح فانتحرتْ
نمَّامةٌ لا تداري ما تشاهدهُ!

* * *

وغالها الشك فى أستارها، فمضتْ
بكل ما أوصدتْ من قبل توصدهُ!

* * *

مسكينة ظنت الأسرارَ فى جدثٍ
من الجماد، سكونُ الليلِ لا حدهُ!

* * *

فاهرقت كلَّ ما فى نار كرمتها
ومات ما يرتجى من كأسها غدُ

* * *

ستٌّ من العمر لا تبلى دقائقها
فجمرها فى خيالى طابَ مرقدهُ!

* * *

مهما توارتْ بها الآفاقُ، فهى على
صدرى جبينٌ غفا ما زالت أسندهُ!

* * *

وسكرةٌ من لياليها مصفدةٌ
على دمى، هولها ما زالت أعبدهُ!

* * *

دار الزمانُ، ولاحَ الدَّيْرُ مرتميًا
على أساهُ كأعمى غاب قائدهُ!

* * *

مـفـضـن الصـمـت مـقـهـورًا علي كـمـدٍ
يكاد يكفـــر بالنســـيـــان عـــائدهُ

* * *

أغـضـتْ هوانًا لطولِ الهـجـرِ شُرفـتـه
وأجـهـشت حـــين ظنتنى أعـــاودهُ!

* * *

وأوشكتْ تتلقـــانى بفـــرحـــتـــهـــا
لـولا الـذى مـن أسـى المـاضـى تكـابـدهُ!

* * *

ويلى عليـــه تعُبُّ الحـــزنَ عـــزلَتـــهُ
وكـان للسـحـرِ والتـغـريد مـعـبـدهُ

* * *

بالك يُغـمـغمُ حـتى كـدتُ أحـسـبـهُ
يوحى كـمـا كـان... لكن جف مـوردهُ!

* * *

فـرت ولم تصُن الذكـرى لسـاحـتـه
مـسلوبةُ السـرِّ عـافـتـهـا مـراقـدهُ!

* * *

مـهـجـورةً هجـرته فـانطوى دنفًا
وللجـمـادِ بكاءٌ حـين تجـحـدهُ!

* * *

مـــازال فى أرضـــه من نار ســـجـــدتهـــا
شـــواظ عطرٍ تكاد العـــين تشـــهـــدهُ!

* * *

وكل زاوية فـــــيـــــه لهـــــا الـمّ
وقـــــصـــــة ذات تاريـــــخ تـــــرددهُ!

○ الرِّداءُ الأبيض ○

«إلى ساعة الفراق الأخير»

رأيتها في دهشةِ الأصيلِ تلوبُ تحت كفنٍ جميلِ
ماخوذةَ الخطوِ بلا سبيلِ كأنما تهياتْ للحدِ

* * *

مبهورةً تشخص كالرياءِ لغير آفاقٍ ولا سماءِ
إلا الذي في حيرة الأحشاءِ من لهبٍ مكبلٍ في القيدِ

* * *

تريد لو تخفي بقايا الكأسِ فتجتلي راهبةً في عُرسِ
لكن ومن يطيقُ كبحَ النفسِ خيال ماضٍ صوته كالرعدِ!

* * *

توشَّحتْ في غفلةِ الحياءِ بأبيض يفنى على الضياءِ
يا فتنة تمشي بلا رداءِ لوحها طولُ اشتعالِ الكيدِ!

* * *

ظننتُ وقد شعتْ هوى معارا أن البياضَ يدفنُ الأسرار!
فرصَّعتْ من قبره إزارا وأقبلتْ مهتوكةَ التحدى

* * *

كم من قبور فى الرمالِ بيضِ تململتْ من صخبِ الوميضِ
تمد كفَّ اللاهثِ المريضِ لعشبةٍ مرجومةٍ تستجدى!

* * *

ملطومة الشفاه والأظافرِ بأحمرٍ عن زيفه مُهاترِ
يسقى بماءٍ شبَّ فى السرائرِ وأثمرتْ نيرانه فى الخدْ

* * *

ضللْتِ فى إحياءِ هذا الثمرِ فقد قطفناه لضوء القمرِ
وللدُّجى الغافى ونبضِ الوتر وللصَّباح المبتلى بالوقدِ

* * *

فمزقى الأصباغَ والألوانا فإنها لا تُخفتُ النيرانا
أثمت إذ جعلتها أذانا لعابدٍ فى هيكل منهدْ!

* * *

مهما ضربتِ حولكِ القبابا وبدلتْ أهواؤك الأثوابا
فالحب نارٌ تهتك الحجابا ولا تبالى باغترابِ المهدِ

* * *

عشقت فيكِ الحزَنَ والسوادا وسمرةَ الخدين والحدادا
وجدولاً تحت الدجى تنادى: يا ساقى الحب أغثْ لى وجدى!

* * *

عشقت من أجلكِ ذلَّ القمرِ على سحابِ أسيوىٌ ضجرِ
مسمَّرِ الخطوِ، يتيم السفرِ فاتته ريحُ الليل دون وعدِ!

* * *

عشقتُ حتى ظلمةَ الليالى فأنتِ فيها جَدَثُ الخيالِ
كم لحتِ فيها زفرةً حيالى تشكو أساها بارتعاشِ النهدِ!

* * *

عشقت شيئًا أنتِ لم تدريهِ ولا أنا.. لكن هلكنا فيهِ
لحنٌ، وإنصاتٌ، ودنيا تيهِ على صحارىَ طرفكِ المرتدْ

* * *

عشقتُ دولاباً حزينَ الصوتِ يدور بالغناء حيث كنتِ
يحيى ربيعًا فى زمانِ صمتى كنا قتلناه بطول الصدْ

* * *

عشقتُ حتى شفَّنى وطارا سوادكِ المقدسَ الغدارا
ذبحته فى ساعةٍ توارىَ وماتَ فيها كلُّ ماضى العهدِ

* * *

وجئتنى فى أبيضٍ مموجِ كَرمَّةٍ بين عراكِ اللُّججِ
طفابكِ الموتُ لشطٍ بهجِ بيضتِ أكفانكِ فيهِ بعدى!

○

○ من خريفِ الربيع ○

«مساكين!..
حملوا عبابهم وراحوا يقيسون
سحر الطبيعة بأيديهم وأبصارهم»

ذهبتُ للروضِ فى صباحٍ مقيدِ اللحنِ والجناحِ
وفيه ما فىَّ منّ أغانٍ مَطْلولة الشدو بالجراح
أوتارُ أطياره سكارى يعزفنَ وجدَ الخميلِ نارا
سعيرها خمرةُ الحيارى!
حثَّتْ إليه الرؤى خُطاها وخلفها انسابتِ الدموعُ!

* * *

سيانِ فى قبضة الرِّياحِ شوك الجلاميدِ، والأقاحى
فكم رحيقٍ بلا دنانٍ! وكم دنانٍ بغير راحِ!
وكم ربيع لنا توارى تود لو كانت العذارى
لسحرهِ الغائبِ انتظاراً

ماتت لياليه فى صباها فهل لأحلامها رجوع؟!

* * *

وكم خريفٍ بلا زهورِ ولا أغانٍ، ولا طيورِ
يلوح مستيقظ الشعورِ
كأن فجرًا عليه سارًا مُتيَّم النورِ مستطارًا
فى نشوةٍ حلَّت العذارًا
ونغمةٍ رقرقتْ شجاها وما لها فى الرُّبى سميعُ!

* * *

رأيت عشًا على خميلٍ كمهجةٍ جمةِ الغليلِ
ريان بالنوحِ والعويلِ
هديلهُ فى الصباحِ طاراً فضج للدوحِ واستجاراً
ناحت بأشواقه جهارًا
حمامةٌ مزَّقتْ حشاها وخان أحلامها الربيعُ!

* * *

وأنَّ تحت الظلالِ جدولْ يجرى، ولكنه مكبلْ
كخاطرٍ فى دمى تنقلْ
إن قلتُ : أقبلْ! أرى نفارًا أو قلت: أبعدْ! دنا مزاراً
كطائرٍ فى الشباك ثاراً
وأنَّةٌ فى الحشا طواها سجنٌ أحابيلهُ الضلوعُ!

* * *

حـــــزينـة أنتِ يا ظـلالُ؟ أم فـيكِ نفسٌ بهـا مـلالُ؟
أذابنى الحبُّ والجـمـــالُ
وأنت مـثلى كـتـمتِ نارًا وتنفـضـينَ الأسىَ عِطارًا
لبـسـتِ مـن حـيـرتى دثـاراً
ولحتِ ثكلى تريدُ فـــاها يبكى به قلبـهـا الصـديعُ!

* * *

وأنت يـأيهـــا الحـــزينُ! يا شـاعـرًا شـفَّهُ الحنينُ
ألقى مـزامـيـركَ الأنينُ
فى ظلمـةٍ لم تجـدْ نهـاراً فـــدف إنشـــادهـا ودارا
كَغُربـيـةٍ ضـلَّتِ الـديـــارا
فطنَّبتْ فى الرُّبى أســـاها والرَّوضُ من حـولهـا خليعُ!

○ نبيٌّ جائع ○

الفلاح

• نبيٌّ في الضحى سارٍ يولول في الربى وحدهْ
ويحكي للتراب حكايةَ أسرارُها عندهْ..
• سألت عليه من ناحوا على خطواته الحيرى
فقالوا: من قديم الدهر لا ندرى له أمرا..
• شقيٌّ، جائعٌ عارٍ، ذليلُ الوجهِ، مصفرُّ
ويضربُ كفَّهُ في الأرض من ألمٍ، فتخضرُّ
• وبين يديه بلهاء الحديدِ، جثا لها له القدرُ
إذا لمستْ حجابَ الترب أينعَ تحتها الحجرُ
• أفق يا خالقَ الفردوس.. تلك جنايةُ الفاسِ
أعبدٌ أم نبي أنت منبوذٌ من الناسِ؟
• ألا دعْ سحرك الجوعانَ.. واضرب أينما ساروا

ولا يخـــدعك دمعُ القـــوم، إن الدمع خـــدّارُ!

* زمان الرق مات، وأنت حشرجةٌ على أجلة

ودينُ الذلّ إلحـــادٌ ســـئمنا الوحى من رسلة

○ نهر النَسيان ○

اسقياني منْ خمرة النسيان ... وانسياني فقد نسيت زماني!
ونسيت الشبابَ والسحرْ ... والأحلام والفنّ والرؤى والأغاني
ونسيت المنى وكانت شعاعًا ... باهتَ الظلّ حائرًا في جناني
ونسيتُ الأسى وكانَ رياحًا ... أزجتِ الجنُّ خطوها في كياني
ونسيتُ الأيامَ حتى تلاشتْ ... كهشيمٍ على ترابِ الزمانِ
ونسيتُ الأنغام رعاشةَ الشدوِ ... حيارىَ حزينةَ العيدانِ
ونسيتُ الدموعَ وهنَ أغانٍ ... أخرستها زوابعُ الأحزان
غرداتُ السكونِ مخنوقةُ اللحنِ ... تشاجتْ بسحرها أجفاني
ونسيتُ الجمالَ حتى كأني ... لم أضمخْ بنورِ ألحاني
ونسيتُ العبيرَ والزهرُ يذكيه ... بفجرِ الطبيعةِ النعسان
ونسيتُ الندى وقد كان خمرًا ... لبني الطيرِ لم ترقْ في دنانِ
ونسيتُ الأنسام تنقلُ في المرجِ ... صلاةَ الطيورِ للغدرانِ
ونسيتُ النجومَ وهنَ على الأفقِ ... نشيدٌ مبعثرُ الأوزانِ

ونسيتُ الربيعَ وهوَ نديمُ الشعرِ والطيرِ والهوى والأمانى
ونسيت الخريفَ وهوَ سبأٌ ماتَ . فسجّتهُ شيبةُ الأغصانِ
ونسيتُ الظلام وهو أسى الأرض . وتابوت شجوها الحيران
ونسيتُ الأكواخ وهى قلوبٌ داميات تلفعتْ بالدخانِ
ونسيت القصور وهى قبورٌ ضاحكاتُ البلى من البهتانِ
ونسيتُ النعيم والبؤسَ ماذا تركانى من شقوةٍ او أمانِ؟
ونسيتُ السلامَ والحربَ سيانِ شذا النورِ أو لظى البركانِ
ونسيت الهدوء والضجةَ الهوجاءَ سيانِ سكنتى أو بيانى
ونسيتُ الكلامَ ماذا جنى المصغى إليه سوى بغاءِ اللسانِ؟
ونسيت السكون وهوَ عزيفٌ أبدىُّ الصدى اشلُّ المثانى
ونسيت الحياةَ وهى رمادٌ نفختْ ذرَّه يدُ الشيطانِ
ونسيتُ الفناءَ وهوَ بجسمى هادم يرصدُ الفناء لبانى
ونسيتُ النسيانَ والذكرَ حتى صرتُ وهمًا فى خاطرِ النسيانِ!
وتجردت من زمانى وكونى لزمانٍ محجبٍ عن عيانى
وإذا بى فى قفرةٍ ألقتِ الصمتَ عليها صوامعُ الرهبانِ
خاصم الدهرُ ليلها فهى دهرٌ ما رأتهُ سريرةُ الأكوانِ
ولوى الجنُّ خطوهُ عن ثراها فهى حتفٌ لكلِّ إنسٍ وجانِ
لا ظلامٌ، ولا ضياءٌ، ولكنْ غيهبٌ حائر على الكثبانِ
لا سكونٌ، ولا ضجيجٌ، ولكن همهماتٌ يلفظنَ فى وجدانى
جبتُ فيها حيران أقذفُ نفسى فى خضمِّ مغيبِ الشُّطآنِ

وإذا أشيبٌ يغمغم كالمجنونِ ... بين السهولِ والقيعانِ

شعوذتهُ السماء فهو خيال ... يتزيّا بصورةِ الإنسانِ

آدميُّ الرواء أذهلهُ الوهمُ ... وغشتهُ هبلةُ الحيوان

نقش العنكبوتُ فوق محياهُ ... ظلالاً من صُفرةِ الأكفانِ

مقلتاهُ بئران دَلوهُما الظنُّ ... وغيّبانِ فى الدُّجىَ تائهانِ

ويداهُ لقامةِ الزمنِ ... الأعرج عكازتان مشدوختانِ

ضم إحداهما ولوحَ بالأخرى ... لوادِ مخدرٍ نعسانِ

فيه نهرٌ من الدموعِ، وجبٌّ ... مترعٌ بالأنينِ والأشجانِ

وقلوبٌ أقلُّها بين جنبيهِ ... سفينٌ يجرى بلا رُبانِ

والهاتٌ، مجرحاتٌ، حزانى ... مزقتها فواجعُ الأزمانِ

بينها ثاكلٌ، وآخرُ شجّتهُ ... يدٌ للأسى بغيرِ سنانِ

وشقى يسوقهُ نحسُ دنياهُ ... إلى مَرْفأٍ شقىّ المكانِ

ويتيمٌ، وبائس، وغريبٌ ... وشريدٌ مقطعُ الأرسانِ

ومناد دعا الأمانى فصدتهُ ... وعادتْ إليهِ بعد الأوانِ

وحبيبٌ رمتهُ فى لهبِ الأسقام ... والسهد صرعةُ الحرمان

وطعين بخنجرِ الظلمِ باكٍ ... دفنتْ نوحهُ يدُ الطغيانِ

أرعشتنى السفين واستلب الأشيبُ ... وعيى، رباهُ ماذا دهانى؟

فتهاويت كالهشيمِ على أشلاءِ ... روحى المفزعِ الأسيانِ!

ثمّ ناديتهُ فأمعنَ فى الصمتِ ... قليلاً وصاح بى: من دعانى؟

قلتُ: روح معذبٌ قال: من أين؟ ... فقلتُ: الأسى إليكَ رمانى

علنى أستقى الهدوء، وألقى ... بين كفيك راحة السلوان!

قال: أقبلْ فكم بدنياكَ صرعى ... شربوا من يدى رحيق الحنان

فتلاشتْ دموعهمْ، أرأيتَ ... الشكُّ تبليه ثورة الايمان!

واستطارتْ شجونهم أرأيتَ الطيفَ ... تطويه هبَّةُ الوسنان

قلتُ: من أنت؟ قال: رؤيا خيالٍ ... كل حى على الوجود رآنى!

أنا معنىً فى خاطرِ الغيبِ ذابتْ ... حول أسواره جميعُ المعانى

أنا كهفٌ مغلقٌ فى حشا الدهرِ ... يشعُّ الفناءُ من جدرانى

غلغلتْ فى ثراىَ دنيا الشقيينَ ... ولاذ الوجوم فى أركانى

وارتمتْ حولى الحظوظُ التعيساتُ ... ونامَ العذابُ فى أحضانى

مدفنٌ للخطوبِ قلبى.. ومنفىً ... أبدىٌّ لنكبة الحدثان!

أنا طبُّ الأيام أشفى جراحاتِ ... الزمانِ المرزأ اللهفان

أنا بحرُ الهدوء من ملَّ دنياه ... رمى عبأها على شطانى

منذُ ما دبت الخلائق حولى ... لقَّبتنى السماء «بالنسيان»

فنسيتُ الحياةَ والموتَ ما أد . ... رى أحىٌّ أنا هنا أم فان

مر بى «آدمٌ» قديمًا فأومأتُ ... إليه بطرفِ هذا البنان

فسقى قلبهُ من النهرِ كأسًا ... وتلاشى عن أعينى فى ثوانِ

وإذا بى أراه يهتكُ سرَّ الخلدِ ... فى غير هدأة أو توانِ

مال بالدوحةِ التى قدّس الله ... جناها فلم تنلها يدانِ

وجنى منْ ثمارها هذه الدنيا ... وأحداث هذهِ الأكوانِ

عبَّ خمرى فأذهلته عنِ الغيبِ ... وأقصته عن ظلال الجنانِ

ليته لم يذق رحيقى ولم يُهرعْ ... لنهـــــرى ولم يطاوعْ بنانى!
انا سرُّ الوجودِ من رامَ سرى ... نسى الحشرُ قلبهُ فى جَنانى..
قلت: يا حادىَ الخطايا لقبرٍ ... مـــردتْ ركنهُ يد الغـــفرانِ!
يا هواى الذى تهـــافتُّ بالروح ... عليـــه وبالحجـــا واللســـانِ
اينما سرتُ جرَّ طيفك احلامى ... ومنْ نهـرك المصـفّىَ سـقـانى
منذُ مـــا جـــئتُ للثـــرى وانا ... صبكَ فارحمْ عبادتى وافتنانى
مزقتنى أشواكُ دنياى واغتالتْ ... شـبـابى وأزعـجتْ ألحـانى
الهوى والنشيدُ . يرعاهما الله . ... بتيـهِ الخلودِ قـد ضـيّعـانى
تركانى أهيمُ كالعاصفِ المشدوهِ ... فى كل بقـــعـــةٍ ومكانِ
لاذ عـمـرى بشاطئيكَ فدعنى ... فى ثراكَ الغـريب أدفنْ زمـانى
فتمطى.. فـزلزلَ الأرض تحـتى ... وطوى الصمتَ فى الفلا إذ طوانى

○ عرفتُ السرّ! ○

ولما دهانى السـرُّ.. دارت، ونوَّحتْ
سواقٍ على قلبى، ينابيعها الغيبُ

* * *

وهبَّ الضريرُ المشتكى، وتلفتت
له نظرةٌ، يكبو الضياءُ، ولا تكبُو

* * *

ورفَّ جناحٌ كان فى القيد صارخًا
وحلقَ.. لا سترٌ هناك ولا حُجْبُ

* * *

ونورَ ليلٌ كان أعمى بلا عصًا
بهاوية نهشُ الأفاعى لها دربُ

* * *

وأومأتُ.. حتى كدتُ أعرفُ.. فارتمتْ
يمينى.. وإنى لا أزال هنا أحبُو..!

○

○ الفهـــرس ○

القصيدة	الصفحة
الديوان الأول	٥
الإهداء	٩
الكوخ	١١
كنز الذهب الأبيض	١٧
الفردوس المهجور	٢١
فى المحراب	٢٧
عروس النيل	٣٦
الفستان الأحمر	٣٩
القرية الهاجعة فى ظل القمر	٤٠
تبسمى	٤٧
القيثاره الحزينة ـ الساقية	٤٩
وقفة حيال القصر	٥٣
القلب الحزين	٥٧
سنبلة تغنى	٥٨
عند زهرة الفول	٦١
ظمأ العيون	٦٤

النعش ٦٧
دُرّ ودمع ـ الزهرة بين الشتاء والربيع ٧١
دمعة بغى ـ ريفية تسقط فى المدينة ٧٣
المساء ٧٨
خمر الأنوثة ٨٠
من فم الراعى ٨٥
الغدير الذهبى ٨٩
أحزان الغروب ٩٣
شاعر الفجر ـ المؤذن ١٠١
ملاك لا شيطان ١٠٤
على باب الهيكل ١٠٥
العذراء الشهيدة ١٠٨
البومة والملحد ١١١
ثورة الضفادع ١١٣
أنا ظمآن ١١٩
خفقات ١٢٠
الناى الأخضر ١٢٢
زهرتى ١٢٤
أنـا ١٢٦
راهبة الضحى ـ الفراشة ١٢٧
كلمة ختام أغانى الكوخ ١٣٣

الديوان الثانى ١٤٣

إهداء ١٤٥
من لهيب الحرمان ١٤٧
صيحة الروح.. فى يوم (عيد)! ١٥٠
آهة شقى! ١٥٢
إلى سجينة القصر! ١٥٣
دنيا أدمع ومآتم ١٥٧
صوتها فى ضميرى ١٦١
الصاخب المجنون ١٦٥
أسرعى قبل أن تموت الأغانى ١٦٩
إلى قلبى العليل! ١٧٦
الشعرة الهاربة ١٧٩
خاطرة مفاجئة! (أنا) ١٨١
حين أطرقت ١٨٣
بحيرة النسيان ١٨٩
الذهول ١٩٠
أنت دير الهوى، وشعرى صلاة ١٩٣
عارية ستائلى باى ٢٠٠
دمعة فى قلب الليل ٢٠٣
أغنيـة ذابلة ٢٠٩
الصـديق ٢١١
من نار المعترك ٢١٣

راهب الغرب ٢١٥
على مذبح الحرية ٢٢٠
إنى سائر للخلود ٢٢٩
على قبر شهيد ٢٣٤
مرثية غصن الزيتون ٢٣٦
فى وادى النسيان ٢٤١
ثورة الإسلام.. فى بدر ٢٥١
أنا شاعر الوادى وعزاف اللظى!! ٢٥٩
لم يطب للنبوغ فيك مقام ٢٦٣
الشعاع المقيد ٢٧٠
دمعة وفاء ٢٧٥
ويعيش أحرار العقول بظلها غرباء ٢٨١
زفرة على «فلسطين» الدامية ٢٨٦
جيلكم مات.. فدسوا نعشه ٢٩١
العزلة ٢٩٣
شعر ٢٩٤
من مرج عبقر ٢٩٦
وطن الفأس ٣٠١
وطن الفأس ٣٠٣
عاهل الريف «الثور» ٣٠٩
راهب النخيل ٣١٤
الشادوف ٣٢٩
إلى دخان الكوخ ٣٣٢
سنبلة تحتضر . فى ليالى الحصاد ٣٣٣
هكذا قال «النورج» ٣٣٥
هكذا قالت دودة القبر ٣٣٦
هكذا أغنى ٣٣٧

الديوان الثالث ٣٣٩

الإهداء ٣٤١
نور من الله ٣٤٥
فاروق ٣٥١
اسألوا عنه ٣٥٩
نشوة الحب ... (أغنية) ٣٦٥
باعث الجيل ٣٦٧
ركاب عيسى ٣٧٥
سبقت خطا الشمس ... (أغنية) ٣٧٨
لما رآك الحيارى ٣٨٠
يوم الفقير ٣٨٥
تشهد الفأس .. (أغنية الحفاة) ٣٩٠
سجدت لهيبته الرياح ٣٩٢
من أغانى البائسين ٣٩٨
نادمتهم يد المليك ٤٠١
وكانت له ظمأى ٤٠٥
أصغى لك السودان ٤١٠
فى وادى الشمس ٤١٢
على جبال «رضوى» ٤١٩
هذى فلسطين ٤٢٦
دجلة والنيل ٤٣٩

أرزة لبنان ٤٣٢
جار الصحراء ٤٣٤
حماك لشعبك الله ... (أغنية) ٤٣٩
من ذلك الفارس؟ ٤٤١
القاهرة تغنى ٤٤٨
عابدين ٤٥٥
هو حامى خمائلى ٤٦٠
اسقنا هذه كأسنا ٤٦٤
خمر أزار ٤٦٦
وكيف؟ ٤٦٩
جدد عزة الوادى ٤٧٤
زاد وسلام ٤٧٦
حين أشدو ٤٨١
بين يدى المليك ٤٨٥
تغريدة فى سماء عابدين . لحن الزفاف ٤٩٠
يوم التاج ٤٩٦
عرش يتهادى على النيل ٥٠٤
ميلاد الفاروق ٥٠٧
نحن السيوف (نشيد وطنى) ٥١٣
تكلم أيها البحر ٥١٥
عاش الملك ٥١٩

القصيدة الصفحة

الديوان الرابع ٥٢٣

على الأسوار ٥٢٧
من أغاني الرق ٥٣٥
مصير ٥٤٤
عبيد الرياح ٥٤٥
جلاد الظلال ٥٤٧
بهتان ٥٥٥
العزلة ٥٥٦
الشك ٥٦٤
الجزيرة ٥٧٢
الانتظار ٥٧٧
الخريف ٥٨٠
مقابر السحر ٥٨٥
ليل وريح وحب ٥٨٧
النيل ٥٩٥
حصاد القمر ٥٩٨
عرافة الزهر ٦٠٤
العطر الأسير ٦٠٦
صلاة العشب ٦٠٨
البعث ٦٠٩
عندما حيرها الصمت ٦١٢

الليل نشوان ٦١٤
الطريق إلى الله ٦١٦
اللحن المقهور ٦١٧
الزهرة اليتيمة ٦١٩
نشيد الأغلال ٦٢١
بكاء الرماد ٦٢٨
التراب الحائر ٦٢٩
خمر الزوال ٦٣١
العطر الكاذب ٦٣٧
الوهج الأخير ٦٣٩
نار الغروب ٦٤٣
المعبد المرجوم ٦٤٦
الرداء الأبيض ٦٥٢
من خريف الربيع ٦٥٥
نبي جائع ٦٥٨
نهر النسيان ٦٦٠
عرفت السر ٦٦٥

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٣١٠ / ٢٠٠٤

I.S.B.N. 977 - 01 - 9021 - 7